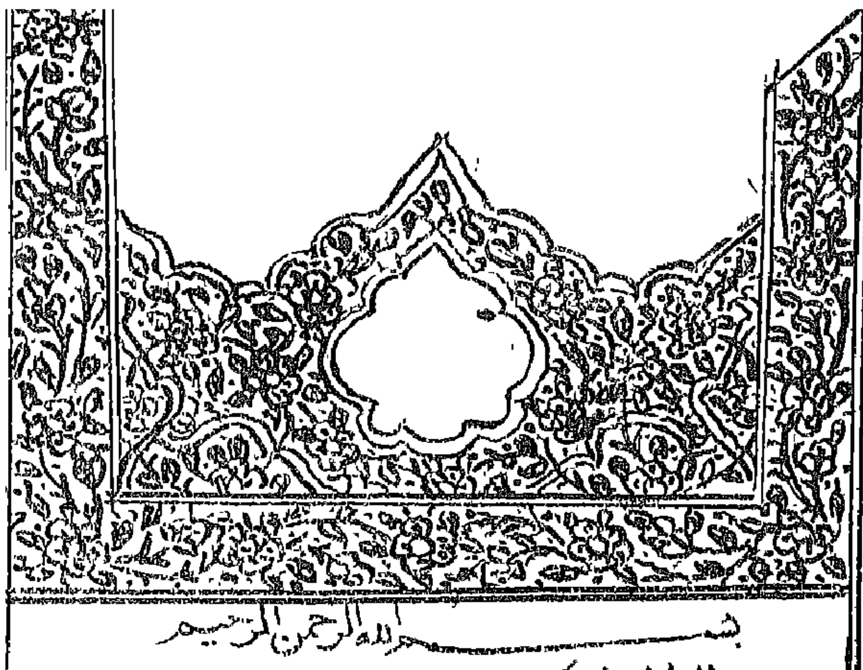
الجزء الثانى من كتاب الذهب
الابريز الذى تلقاه نجم العرفان
الحافظ سيدى احمد بن
المبارك عن قطب
الواصلين سيدى
عبد العزيز
الدباغ
م



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع في ذكر ديوان الصالحين رضي الله عنهم سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول الديوان بغار حراء الذي كان يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة قال رضي الله عنه فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الايمن والمدينة امام ركبته اليسرى واربعة اقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك ابن انس رضي الله عنه وثلاث اقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة والوكيل امامه ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مالكي ايضا من بني خالد القاطنين بناحية البصرة واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي ومع الوكيل يتكلم الغوث ولذلك سمي وكيلا لانه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان قال والتصرف للاقطاب السبعة على امر الغوث وكل واحد من الاقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته والصفوف ستة من وراء الوكيل وتكون دائرتها من القطب الرابع الى الذي على اليسار من الاقطاب الثلاثة فالاقطاب السبعة هم اطراف الدائرة

وهذا هو الصف الاول وخلفه الثاني على صفته وعلى دائرته
وهكذا الثالث الى ان يكون السادس آخرها قال ويحضره
النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة
الاقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الاول
في فسحة هنالك بين الغوث والاقطاب الثلاثة قال
رضي الله عنه ويحضره بعض الكمال من الاموات ويكونون
في الصفوف مع الاحياء ويتميزون بثلاثة امور احدها
ان زيهم لا يتبدل بخلاف زي الحي وهيئته فمرة يحلق شعره
ومرة يجدد ثوبه وهكذا واما الموتى فلا تتبدل حالتهم فاذا
رايت في الديوان رجلا على زي لا يتبدل فاعلم انه من الموتى
كان تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر فاعلم انه على تلك
الحالة مات وان رايت الشعر على راسه على حالة لا يزيد
ولا ينقص ولا يحلق فاعلم ايضا انه ميت وانه مات على تلك
الحالة ثانيها انه لا تقع معهم مشاورة في امور الاحياء لانه لا تصرف
لهم فيها وقد انتقلوا الى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الاحياء وانما
تقع معهم المشاورة في امور عالم الاموات قال رضي الله عنه
ومن آداب زائر القبور اذا اراد ان يدعو لصاحب قبر ويتوسل
الى الله تعالى بولي من اوليائه في اجابة دعوته ان يتوسل اليه
تعالى بولي ميت فانه انجح لمقصوده واقرب لاجابة دعوته ثالثها
ان ذات الميت لا ظل لها فاذا وقف الميت بينك وبين الشمس
فانك لا ترى له ظلا وسره انه يحضر بذات روحه لا بذاته
الفانية الترابية وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفافة
لا كثيفة قال لي رضي الله عنه وكم مرة اذهب الى الديوان او الى
مجمع من مجامع الاولياء وقد طلعت الشمس فاذا اراوني من بعيد
استقبلوني فنراهم بين راسي متميزين هذا بظله وهذا لا ظل

له قال رضي الله عنه والاموات الحاضرون في الديوان ينزلون
اليه من البرزخ يطيرون طيرا بطيران الروح فاذا قربوا من موضع
الديوان بنحو مسافة نزلوا الى الارض ومشوا على ارجلهم الى ان يصلوا
الى الديوان تادبا مع الاحياء وخوفا منهم قال وكذا رجال الغيب اذا
زار بعضهم بعضا فانه يجيئ بسير روحه فاذا قرب من موضعه
تادب ومشى مشي ذاته الثقيلة تادبا وخوفا قال وتحضره الملائكة
وهم من وراء الصفوف ويحضره ايضا الجن الكامل وهم الروحانيون
وهم من وراء الجميع وهم لا يبلغون صفا كاملا قال رضي الله عنه
وفائدة حضور الملائكة والجن ان الاولياء يتصرفون في امور تطيق
ذواتهم الوصول اليها وفي امور اخرى لا تطيق ذواتهم الوصول
اليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الامور التي لا تطيق ذواتهم
الوصول اليها قال وفي بعض الاحيان يحضره النبي صلى الله عليه
وسلم فاذا حضره عليه الصلاة والسلام جلس في موضع الغوث
وجلس الغوث في موضع الوكيل وتاخر الوكيل للصف واذا جاء
النبي صلى الله عليه وسلم جاءت معه الانوار التي لا تطاق وانما
هي انوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها وهي انوار المهابة والجلالة والعظمة
حتى انا لو فرضنا اربعين رجلا بلغوا في الشجاعة مبلغا لا مزيد عليه
ثم فجئوا بهذه الانوار فانهم يصعقون لحينهم الا ان الله تعالى يرزق
اولياءه القوة على تلقيها ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط
الامور التي صدرت في ساعة حضوره صلى الله عليه وسلم قال
وكلامه صلى الله عليه وسلم مع الغوث قال وكذلك الغوث اذا
غاب النبي صلى الله عليه وسلم تكون له انوار خارقة حتى لا يستطيع
اهل الديوان ان يقربوا منه بل يجلسون منه على بعد فالامر الذي
ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات الا ذات النبي صلى الله عليه
واذا خرج من عنده صلى الله عليه وسلم فلا تطيقه ذات الا ذات

الغوث ومن ذات الغوث يتفرق على الاقطاب السبعة ومن الاقطاب
السبعة يتفرق على اهل الديوان واما ساعة الديوان فقد سبق الكلام
عليها وانها هي الساعة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وانها
هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الاخير التي وردت بها الاحاديث
كحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير
فيقول من يدعوني فاستجيب له الحديث قلت ومن اراد ان يظفر
بهذه الساعة فليقرا عند ارادة النوم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس الى آخر السورة ويطلب من الله تعالى
ان يوقظه في الساعة المذكورة فانه يفيق فيها ذكره الشيخ عبد الرحمن
الثعالبي رضي الله عنه وقد جربناه ما لا يحصى وجربه غيرنا حتى
انه وقع لجماعة غير ما مرة ان يقرؤوا الآية المذكورة ويطلبون من الله
تعالى الافاقة في الساعة المذكورة كل واحد منهم يفعل ذلك في
خاصة نفسه من غير ان يعلم به صاحبه واذا افاقوا افاقوا جميعا
في وقت واحد وسمعته رضي الله عنه يقول ان الديوان اولا كان
معمورا بالملائكة ولما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم جعل الديوان
يعمر باولياء هذه الامة فظهر ان اولئك الملائكة كانوا نائبين عن
اولياء هذه الامة المشرفة حيث راينا الولي اذا خرج الى الدنيا
وفتح الله عليه وصار من اهل الديوان فانه يجيئ الى موضع
مخصوص في الصف الاول او غيره فيجلس فيه ويصعد الملك
الذي كان فيه فاذا ظهر ولي آخر جاء الى موضع ويصعد الملك
الذي في ذلك الموضع وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل
ولله الحمد كلما ظهر ولي صعد ملك واما الملائكة الذين هم باقون
فيه ويكونون خلف الصفوف الستة كما سبق فهم ملائكة
ذات النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حفاظا لها في الدنيا
ولما كان نور ذاته صلى الله عليه وسلم مفرقا في اهل الديوان

بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف قال
رضي الله عنه واذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم في الديوان
وجاءت معه الانوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع
اهل الديوان ودخلوا في نوره صلى الله عليه وسلم فما دام النبي
صلى الله عليه وسلم في الديوان لا يظهر منهم ملك فاذا خرج
النبي صلى الله عليه وسلم من الديوان رجع الملائكة الى مراكزهم
والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان في كل مدينة من
المدن عددا كثيرا من الملائكة مثل السبعين ملكا او اقل او اكثر
يكونون موجودين عونا لاهل التصرف من الاولياء فيما لا
تطيقه ذات الولي قال رضي الله عنه وهؤلاء الملائكة الذين
يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقاك على
صورة خواجة ومنهم من يلقاك في صورة فقير ومنهم من يلقاك
في صورة طفل صغير وهم منغمسون في الناس ولكن الناس
لا يشعرون وحكى لنا رضي الله عنه في هذا الباب حكايات
فيها من الاسرار ما لا يكيف ولا يطاق وسبب ذكره رضي الله
عنه لهذا الكلام انه سمعني اقول لبعض من حضر انهم ذكروا
ان من اخذ سفرا من سيدي البخاري وذهب به الى ضريح
ولي وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الولي الى الله تعالى
فان حاجته تقضى ولا سيما ان كان هو السفر الاخير ثم
استفهمته رضي الله عنه عن صحة ما ذكر فقال رضي الله عنه
ان في كل مدينة عددا من الملائكة فاذا راو العبد طلب من الله
شيئا فان راو القدر سبق به سددوه وكانوا معه فيحضره التوفيق
ويزول الشيطان من الطريق وان راوا خلاف ذلك تركوه
فحضره الشيطان وح فاذا راوا من اخذ سفرا من سيدي البخاري
ذاهبا به الى ضريح وراوا حاجته مقضية سددوه والقوا في قلبه

الالحاح والتلهف على طلبته وذهبوا معه الى الضريح هو حامل
لجرم السفر وهم حاملون لاسراره فاذا دعى امنوا على دعائه فتقضى
حاجته وان راوا الحاجة غير مقضية اخذوا اسرار الكتاب وذهب
هو بالجرم فقط ويعرض له الشيطان فى الطريق بالوسوسة
وتشتيت الفكر حتى لا تبقى له حلاوة فى الدعاء فقلت فما السر
الزائد على جرم الكتاب الذى ياخذونه فقال رضى الله عنه فما
السر الذى امتاز به جرم العسل عن جرم القطران قلت الحلاوة
قال وهى معنى زائد على جرمه قلت نعم فقال كذلك كل كتاب فيه
سر زائد عليه وكما ان العسل اذا زالت حلاوته لا ينفع فى بابه
كذلك الكتاب اذا اخذ سره قال رضى الله عنه وكم من ورقة
وكاغد مكتوب فيه اسماؤه تعالى يوجد فى الارض ساقطا ويطاه
الناس بارجلهم ولولا ان الملائكة ياخذون اسرار تلك الاسماء
لهلك جل الناس والحمد لله على فضله ومنته والله اعلم وسألته
رضى الله عنه هل يحضر الديوان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
مثل سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وغيرهما من الرسل على نبينا
وعليهم افضل الصلاة والسلام فقال رضى الله عنه يحضرونه
فى ليلة واحدة فى العام قلت فما هى قال ليلة القدر فيحضر فى
تلك الليلة الانبياء والمرسلون ويحضر الملأ الاعلى من الملائكة
المقربين وغيرهم ويحضره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
ويحضر معه ازواجه الطاهرات واكابر صحابته الاكرمين
رضى الله عنهم اجمعين وسالته رضى الله عنه عن الخلاف الذى
بين المحدثين فى تفضيل مولاتنا خديجة على مولاتنا عائشة والعكس
فقال رضى الله عنه راينا هما مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الديوان
ليلة القدر فراينا نور عائشة يزيد على نور خديجة رضى الله
عنهما ثم ذكر لنا رضى الله عنه سبب ليلة القدر فقال ان العالم

قبل خلق النور في جرم الشمس كان مظلما والملائكة عامرون له ارضا وسماء في الكهوف والسهول والجبال والاودية فلما خلق الله تعالى النور في الشمس واضاء العالم بها ضجت ملائكة السماء وملائكة الارض وخافوا من خراب العالم ومن امر عظيم ينزل بهم فنزلت ملائكة السماء الى الارض وجعلوا هم وملائكة الارض يفرون من الضوء الى الظل اى من ضوء النهار الى ظل الليل فروا من الضوء الذى لم يعرفوه الى الظل الذى يعرفونه خائفين متضرعين مجتمعين على الابتهال الى الله تعالى والتضرع له والخوف منه يطلبون منه الرضى ويلجأون اليه فى ان لا يسخط عليهم ولم يكن فى ظنهم الا ان الله تعالى اراد ان يطوى هذا العالم فاجتمعوا على التضرع والابتهال على الصفة السابقة مقدرين فى كل لحظة وقوع ما خافوه فاذا زاد اليهم الضوء فروا عنه الى الظل ولم يزالوا على تلك الحالة الضوء ينسخ الظل وهم يفرون الى ان طافوا الارض كلها ورجعوا الى الموضع الذى بدأوا منه فلما لم يروا شيئا وقع حصل لهم الامن ورجعوا الى مراكزهم فى الارض والسماء ثم صاروا يجتمعون ليلة من كل عام فهذا هو سبب ليلة القدر فقلت فهذا يقتضى ان ليلة القدر كانت قبل خلق آدم عليه السلام وفى الحديث ما يقتضى انها خاصة بهذه الامة فقال رضى الله عنه الذى اختص بهذه الامة الشريفة اجرها وخيرها والتوفيق لمعرفتها ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم واما الامم السابقون فانهم لم يوفقوا لها كساعة الجمعة فانها كانت يوم خلق الله تعالى آدم عليه السلام ولم توفق لها امة من الامم غير هذه الامة الشريفة فانها عرضت على اليهود فاختاروا السبت وعلى النصارى فاختاروا الاحد ووفقنا الله تعالى لها بمنه وجوده والله اعلم وسألته رضى الله عنه عن سبب ساعة الجمعة فقال رضى الله عنه سببها انه

تعالى لما فرغ من خلق الاشياء وكان ذلك فى اخر ساعة من يوم الجمعة اجتمعت الخلائق كلها على الدعاء والتضرع الى الله تعالى فى ان يتم النعمة على ذواتهم ويعطيهم ما يكون سببا فى بقائها ووصلا مع رضاه تعالى عليهم وعدم سخطه قال رضى الله عنه وينبغى للشخص اذا فتح عليه فى ساعة الجمعة ووفق لها ان يدعو بنحو هذا الدعاء ويسال الله تعالى خير الدنيا وخير الآخرة فان ذلك هو الذى صدر من باطن المخلوقات يومئذ ولم يكن دعاؤهم مجردا للآخرة فاذا وفق الشخص للساعة المذكورة ووافق الدعاء المذكور نجح مرغوبه قال رضى الله عنه وهذه الساعة قليلة جدا انما هى قدر الركوع مع طمانينته وذلك قدر ما يرجع كل عضو من المتحرك الى موضعه ويسكن فيه وتسكن عروقه وجواهره من الحركة الناشئة عن التحرك السابق قال رضى الله عنه وهذه الساعة تنتقل ولكن فى يوم الجمعة خاصة فمرة تكون قبل الزوال تنتقل فى ساعته ومرة تكون عند الزوال وبعده تنتقل فى ساعاته الى غروب الشمس فسمعته رضى الله عنه يقول تبقى قبل الزوال ستة اشهر وبعد الزوال ستة اشهر وسمعته مرة اخرى يقول انها فى زمنه صلى الله عليه وسلم كانت فى الوقت الذى كان يخطب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وذلك عند الزوال وفى زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه انتقلت فصارت بعد الزوال وصارت وقت الخطبة وقت اجتماع الناس للصلاة فارغا منها مع ان الخطبة والاجتماع انما شرعه النبى صلى الله عليه وسلم لادراك الساعة المذكورة قال رضى الله عنه ولكن لما كان قيام النبى صلى الله عليه وسلم ووقوفه خطيبا منتصرا خاشعا لله تعالى لا يعادله شئ حصل للوقت الذى قام فيه صلى الله عليه وسلم شرف عظيم ونور كبير فصار ذلك الوقت بمثابة ساعة الجمعة او افضل

فمن فاتته ساعة الجمعة وادرك ساعة وقوفه صلى الله عليه
وسلم لم يضع له شيء ولهذا لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم بنقل
الخطبة الى ساعة الجمعة كلما انتقلت لان ساعته صلى الله عليه
وسلم لا تنتقل فكانت اولى بالاعتبار من ساعة الجمعة التي
تنتقل لما في ذلك اعني عدم نقل الخطبة من الرفق بالامة
المشرفة وايضا فان امر ساعة الجمعة غيب وسر لا يطلع عليه
الا الخواص وساعته صلى الله عليه وسلم ظاهرة مضبوطة
بالزوال فلا تخفى على احد فكانت اولى بالاعتبار وعلى هذا فمن
لم يصل الجمعة عند الزوال وكانت عادته ان يؤخرها فقد
فرطوا في ساعة النبي صلى الله عليه وسلم يقينا وهم على شك
في ادراك ساعة الجمعة فقد ضيعوا اليقين بالشك وذلك
تفريط عظيم نسال الله التوفيق لما يحبه صلى الله عليه وسلم
فقلت ونحن في المغرب اذا خطبنا في الزوال واردنا مصادفة
ساعته صلى الله عليه وسلم فانا لا ندركها لان زوالنا يتاخر
عن زوال المدينة بكثير فينبغي لنا ان نتحرى ساعته عليه السلام
قبل الزوال وذلك يفضي الى صلاة الجمعة قبل الزوال وهذا
لا يجوز وكيف الحيلة فقال رضي الله عنه سر ساعته صلى الله
عليه وسلم سار في سائر الزوالات مطلقا فلا يعتبر زوال دون
زوال كما لا يعتبر غروب دون غروب وطلوع دون طلوع بل
المعتبر طلوع كل قطر وغروب كل مكان فانا نصلي الصبح على فجرنا
لا على فجر المدينة المنورة ونفطر على غروبنا لا على غروبها
وهكذا سائر الاحكام المضافة الى الاوقات ومن جملة ذلك
الزوال ثم طلبت من الشيخ رضي الله عنه ورغبت اليه في ان
يبين لنا كيفية انتقالها ووجه تدريجها وكيف كانت في آخر
ساعة من الجمعة ثم جعلت تنتقل قليلا قليلا بالقهقرا حتى

بلغت الى الزوال ثم زادت الى ان كانت قبله صاعدة الى اول
النهار ثم كيف ترجع عودها على بدئها الى ان ترجع الى آخر النهار
مع ان سرها السابق يقتضى ان لا تنتقل وكذلك سر ليلة القدر
يقتضى ان لا تنتقل كما لم تنتقل ساعة ثلث الليل الاخير وهى
ساعة ولادته صلى الله عليه وسلم ثم ساعة الجمعة فى غاية
الصغر فكيف تستوعب فى ستة اشهر من غروب الشمس الى
الزوال وتستوعب فى ستة اخرى من الزوال الى طلوع الشمس
اللهم الا اذا كانت تكبر فقال رضى الله عنه شرح ماسالت
عنه منى عنه قلت ولنذكر الاحاديث الشاهدة لكلام
الشيخ رضى الله عنه الدالة على انه وارد اما قوله ان ساعة
الجمعة وفقت لها هذه الامة دون غيرها من الامم فدليله
ما اخرجه مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل
الجنة بين ام اوتوا الكتاب قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا
فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذى اختلفوا
فيه هدانا اليه يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد
للنصارى واما قوله وانها تنتقل وانها قليلة جدا فدليله
ما اخرجه ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه اهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم
الساعة ومامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة شفقا
من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها
عبد مسلم وهو يصلى يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وقال
مسلم فى صحيحه فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج
منها وقال فى شان الساعة وهى ساعة خفيفة وقال لا يوافقها

مسلم قائم يصلي وقال مسلم بن الحجاج في حديث ابي موسى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ان يجلس
الامام الى ان تنقضي الصلاة قال عبد الحق ولم يسنده غير مخرمة
ابن بكير عن ابيه عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري وقد رواه
جماعة عن ابي بردة عن ابي موسى قوله اي جعلوه من قول ابي
موسى لا من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو موقوف لا مرفوع
قال عبد الحق وغيره ومخرمة لم يسمع من ابيه انما كان يحدث من
كتب ابيه وقال ابو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يوم الجمعة ثنتا عشر يعني ساعة لا يوجد عبد مسلم
يسال الله تعالى شيئا الا اتاه فالتمسوا آخر ساعة بعد العصر قال
عبد الحق في اسناده الجلاح مولى عبد العزيز بن مروان وقد ذكره
ابو عمر بن عبد البر من حديث عبد السلام بن حفص ويقال له ابن
مصعب عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الساعة التي يتحرى فيها الدعاء
يوم الجمعة هي آخر ساعة من الجمعة قال وعبد السلام ثقة
مدني وكذا قال فيه ابن معين او لعله حكاه عنه ابو عمر انظر
عبد الحق في الاحكام الكبرى وانظر ابن حجر في الفتح فانه حكى فيه
واحدا واربعين قولا وذكر دلائلها وردودها واطال في ذلك
ونسب الاقوال كلها وذكر الاحاديث الدالة عليها وبين ما هو صحيح
منها وما هو ضعيف او موقوف او غيره ولما وقفت على تلك الاقوال
كلها وحفظتها كلها وعلمت دلائلها تكلمت مع الشيخ رضي الله عنه
في الساعة المذكورة فسمعت منه اسرارا كتبت بعضها وهو ما سبق
نفع الله به آمين ولنرجع الى ما سمعت منه في امر الديوان فنقول
سمعته رضي الله عنه يقول ان لغة اهل الديوان رضي الله عنهم
هي السريانية لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة ولان الديوان

تحضره الارواح والملائكة والسريانية هي لغتهم ولا يتكلمون بالعربية
الا اذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم ادبا معه وسمعته رضي الله عنه
يقول ليس كل من يحضر الديوان من الاولياء يقدر على النظر في اللوح
المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه اليه ببصيرته
ولا يعرف فيه ومنهم من لا يتوجه اليه لعلمه بانه ليس من اهل النظر
اليه قال رضي الله عنه كالهلال فان رؤية الناس اليه مختلفة
وسمعته رضي الله عنه يقول اذا اجتمع الاولياء في الديوان رضي
الله عنهم امد بعضهم بعضا فترى الانوار تخرج وتدخل وتنفذ فيما
بينهم كالنشاب ولا يتفرقون الا على زيادة عظيمة وسمعته رضي
الله عنه يقول ان الصغير من الاولياء يحضره بذاته واما الكبير
فلا يحجر عليه يشير رضي الله عنه الى ان الصغير اذا حضره غاب عن
محله وداره فلا يوجد في بلدته اصلا لانه يذهب اليه بذاته واما
الكبير فانه يدير على راسه فيحضره ولا يغيب عن داره لان الكبير
يقدر على التطور على ماشاء من الصور ولكمال روحه تدبر له ان
شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتا بل سمعت الشيخ رضي الله عنه
مرة وانا معه خارج باب الجيسة احد ابواب فاس حرسها الله يقول
ايش هو الديوان والاولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري وسمعته
مرة يقول انما يقام الديوان في صدري وسمعته رضي الله عنه يقول
مرة اخرى السموات والارضون بالنسبة الي كالموزونة في فلاة
من الارض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه وما اشبهه اذا
شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائما رضي الله عنه وقد كنت
معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي اكابر الصالحين
مع كونه اميا فقلت فمن اين تعرفهم فقال رضي الله عنه اهل الفتح
الكبير مسكن ارواحهم قبة البرزخ فمن رايناه فيها علمنا انه من
الاكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي ابراهيم الدسوقي فقال

هو من الاكابر فجملت اذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته
فقال رضي الله عنه لو عاش سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله
عنه من زمنه الى زماننا ما ادرك من المقامات ولا ترقى مثل
ما ترقى اخوك عبد العزيز يعني نفسه من امس الى اليوم والله
ما قاله اخوك افتخارا وانما قاله تعريفا وتحدثا معكم بالنعمة وكنت
داخلا معه ذات يوم من باب الجيسة فنظر الي وقال علي في هذه
الساعة ثلاث كسوات لو اخذت واحدة منها ووضعت على
مدينة فاس لذاب جميع من فيها وجميع سورها وبنيانها ودورها
وجميع من فيها عدما محضا وكنت داخلا معه ذات يوم من
باب الفتوح فسالته عن اسمائه تعالى وعددها وان من العلماء
من قال انها اربعة الاف فقال رضي الله عنه اني في لحظة قدر
تغميضة العين وفتحها اشاهد من اسمائه تعالى ما يتوقف على مائة
الف والترقي هكذا على الدوام في كل لحظة ولنرجع الى ما نحن بصدده
فان هذا بحر لا قرار له ونحن على ساحل التمني نغترف من بحور الشيخ
رضي الله عنه على قدر الامكان فنقول سمعته رضي الله عنه
يقول قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره فيحصل بين اولياء
الله تعالى من اهل الديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف
الموجب لان يقتل بعضهم بعضا فان كان غالبهم اختار امرا وخالف
الاقل في ذلك فان الاقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون
جميعا وقد اختلفوا ذات يوم في امر فقالت طائفة منهم قليلة ان
لم يكن ذلك الامر فلنمت فقالت الطائفة الكثيرة موتوا ان شئتم
فماتت الطائفة القليلة قال رضي الله عنه فان تكافا الفريقان
حصل التصرف فيهما معا فقلت فانهم اهل بصيرة وكشف فلم
يحصل بينهم النزاع وهم يشاهدون مراد الله تعالى ببصيرتهم
فقال رضي الله عنه اذا كان الاقل سر المخالفة فان الله يحجبهم عن

المراد حتى ينفذ ما قضاه فيهم واذا تكافأ الفريقان فان مراد الحق سبحانه يخفى على الجميع لان قلوب الاولياء الاصفياء مظاهر الاقدار وقد اختلفت وتكافات فقلت فما سبب غيبة الغوث رضى الله عنه عن الديوان فقال رضى الله عنه سببه احد امرين اما غيبته فى مشاهدة الحق سبحانه اليوم على اخيه حتى تفنى العوالم فى نظره فهذا لا يحضر فى الديوان واما كونه فى بداية توليته كما اذا كان ذلك بقرب موت الغوث الذى قبله فانه قد لا يحضر فى بداية الامر حتى تتانس ذاته شيئا فشيئا قال رضى الله عنه وقد يحضر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى غيبة الغوث فيحصل لاهل الديوان من الخوف والجزع من حيث انهم يجهلون العاقبة فى حضوره صلى الله عليه وسلم ما يخرجهم عن حواسهم حتى انه لو طال ذلك اياما كثيرة لانهدمت العوالم قال رضى الله عنه واذا حضر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مع غيبة الغوث فانه يحضر معه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وامهما فاطمة تارة كلهم وتارة بعضهم رضى الله عنهم اجمعين قال وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتى يحضرن الديوان فى جهة اليسار كما سبق وتكون مولاتنا فاطمة امامهن رضى الله عنها وعنهن قال رضى الله عنه وسمعتها رضى الله عنها تصلى على ابيها صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى وهى تقول اللهم صل على من روحه محراب الارواح والملائكة والكون اللهم صل على من هو امام الانبياء والمرسلين اللهم صل على من هو امام اهل الجنة وعباد الله المؤمنين وكانت تصلى عليه صلى الله عليه وسلم لكن لا بهذا اللفظ وانما انا استخرجت معناه والله اعلم فقلت فاذا حضر الغوث فهل يقدر احد على مخالفته فقال رضى الله عنه لا يقدر واحد ان يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلا عن النطق بها فانه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الايمان

وفضلا عن شئ آخر والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان اهل
الديوان اذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله
من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل
والليلة التي تليه قال رضي الله عنه ولهم التصرف في العوالم كلها
السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم الرقا بتشديد
الراء والقاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه
وفي اهله وفي خواطرهم وما تحس به ضمائرهم فلا يحس في خاطر
واحد منهم شئ الا باذن اهل التصرف رضي الله عنهم اجمعين واذا
كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق
العرش فما ظنك بغيره من العوالم قلت ولقد قبض اصحاب المخزن
ولدا لبعض اصحابي وكان المخزن يطلبه وهو متخوف منهم فلما
قبضوه ايقن ابوه بالهلاك لشفاء في فذهبت للشيخ رضي الله عنه
فرغبته وكلمته فيه فقال رضي الله عنه ان كنت تظن ان القط ياكل
الفار بغير اذن فلان يبقى نفسه فما ظنك بشئ فلا تخف على الولد
وقل لابيه يطيب خاطره فكان الامر كذلك فانه لما بلغ الى المخزن
اطلقه بلا سبب وكان رضي الله عنه يقول اذا اردت قضاء حاجة
لك او لغيرك فاذكرها لي ولا تزد اي ولا تحرص في قضائها وتهتم
بها فان ذلك هو سبب عدم قضائها فكان الامر كذلك فكنا اذا
عرضت حاجة وذكرناها له وسكتنا جاء فيها الفرج سريعا واذا
وقع لنا بها اهتمام وعناية انغلق بابها والله اعلم وسالته رضي
الله عنه هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء فقال رضي
الله عنه نعم يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير وهذا الموضع
يقال له زاوية اسا بفتح الهمزة والسين بعدها الف خارج ارض
سوس بينها وبين ارض غرب السودان فيحضره اولياء السودان
ومنهم من لا يحضر الديوان الا في تلك الليلة وباذن الله تعالى ويسوق

اهل افاق تلك الاراضي ويجتمعون بالموضع المذكور قبل تلك الليلة
بيوم او بيومين وبعدها كذلك ويجتمع في ذلك السوق من البشر
ما لا يحصى فقلت وهل ثم جمع آخر في غير هذين الموضعين
فقال نعم يجتمعون ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط
الا في الموضعين السابقين لان الارض لا تطيقهم لانه تعالى
اراد تصرفهم في الارض وفي الخلق والله اعلم وسالته رضي
الله عنه عن المجاذيب هل لهم دخل في الديوان وهل يتصرفون
مثل ما يتصرف غير المجاذيب فقال رضي الله عنه لا دخل لهم
في الديوان ولا بايديهم تصرف واذا بلغ اليهم التصرف هلك
الناس فقلت ومتى يبلغ اليهم فقال رضي الله عنه وقت خروج
الدجال لعنه الله فيقع التصرف بايديهم ويكون كبير الديوان
منهم وليس معه عقل فيقع الخلل في التصرف ويكون
ذلك سببا في خروج الدجال قلت وقد سمعت من الشيخ
رضي الله عنه حكاية تضمنت كلاما على المجاذيب وعلى كثير من
احكامهم وفيها فوائد اخر فلنكتبها بعينها سمعته رضي الله عنه
يقول كان سيدي حماد المجذوب رضي الله عنه وهو من اهل
المغرب يطلب بسوق مصر ويسيح فيها ياكل وكان الوقت وقت
غلاء فبينما هو قاعد بحانوت رجل يطلبه ويساله شيئا
مما يتقوت به اذ حانت منه نظرة باطنية فراى ذهبا كثيرا
في زير وهو مدفون بازاء حانوت الرجل المقصود قال وكان
الرجل المقصود من العارفين فنظر الى سيدي حماد قاصدا
له فاراد ان يختبره فلما ساله سيدي حماد قال له الرجل الله
يفتح عليكم فاعاد سيدي حماد السؤال فاعاد الرجل كلامه
ثم قال ان كان هذا سيدي حماد فانا اختبره فقال لسيدي
حماد انت تطلب والذي تحت رجلك يكفيك بشير الرجل

الى الذهب المدفون لان سيدى حماد اوقفت على موضعه لما
بلغ قرب الباب فقال سيدى حماد الذى تحت رجلى ذهب وانا
انما اطلب نصف فضة اتقوت به فعلم الرجل بحاله واعطاه
عدة انصاف فضة وانصرف فقلت وما سبب معرفة الرجل
به قبل ان يراه حتى اراد ان يختبره فقال رضى الله عنه علمه به
اولا قبل ان يراه بمثابة رجل نائم مناما قريبا من اليقظة ورأى
فى منامه رجلا على صفة كذا ثم استيقظ واذا هو بالرجل واقف
بين يديه فانه ينظر هل هو الذى رآى فى منامه ام لا حتى ينقطع
الشك ويعلم ان ما رآه فى اليقظة هو ما رآه فى المنام الذى
هو شبيه اليقظة فقلت وما باله حتى قال له اولا الله يفتح
عليكم فلما علم بولايته اعطاه ما سال وزاده فان العطية
ان كانت لله عز وجل فلا ينظر فيها الى الآخذ وليا كان ام لا
فان ربهما تعالى واحد وان كانت العطية لغير الله فانها
لا تناسب حالة العارفين رضى الله عنهم فحيث منعه اولا
كان من حقه ان يمنعه ثانيا ان كان المنع لله كما انه حيث اعطاه
ثانيا كان من حقه ان يعطيه اولا ان كانت العطية لله عز وجل
فقال رضى الله عنه ان المؤمن له حق واحد وهو حق الايمان
والولى له حقان حق الايمان وحق المعرفة بالله عز وجل وهو
حيث قال له اولا الله يفتح عليكم قاله على انه اى السائل من جملة
المؤمنين فمنعه لان حق الايمان لم يستوجب نصيبا من ماله
فى تلك الساعة فلما جربه وعلم انه من العارفين تأكد امره وتزايد
حقه فاستوجب نصيبا من ماله بسبب المعرفة التى اشتركا فيها
فان وصف المعرفة بالله تعالى كعقد الاخوة بين المتواخيين فى الله
عز وجل فالمنع اولا لله عز وجل والعطية ثانيا لله عز وجل فهو
كمثل رجل ساله سائل من وراء باب فقال له الله يفتح عليكم ثم فتح

الباب وإذا السائل أخ للمسؤول فمن الواجب عليه أن لا ينزله منزلة الأجنبي حتى يمنعه بعد أن علم بأخوته كما منعه قبل أن يعلم بها فإن هذا ينافي الأخوة وما تقتضيه من صلة الرحم فقلت وما هو النصيب الذي تقتضيه المعرفة في مال المسؤول فقال رضي الله عنه هو ما يوجبه عقد الأخوة في الله تعالى فإن لم يكن لك سوى أخ في الله فله نصف مالك وإن كان لك تسعة فله عشر مالك فقلت فما باله أعطاه عشرة أنصاف ولم يعطه نصف ماله فقال رضي الله عنه لم يحضر العارف السائل في ذلك المسؤول فلعل عارفا آخر يقصده بعد ذهاب الأول ثم ثالثا ورابعا وهلم جرا والمرء سفينة نفسه في تفرقة النصيب الواجب عليه لإخوانه في الله عز وجل فقلت وأي شيء كان سيدي حماد فقال رضي الله عنه كان من المجاذيب والرجل المقصود اسمه سيدي ابراهيم كان من السالكين وكلاهما من العارفين رضي الله عنهما فقلت وما الفرق بين المجذوب والسالك مع اشتراكهما في المعرفة بالله عز وجل فقال رضي الله عنه المجذوب هو الذي يتأثر ظاهره بما يرى ويسرق ما يشاهده فيجعل يحاكيه بظاهره ويتبعه بحركاته وسكناته والشخص إذا رحمه الله تعالى وفتح بصيرته لا يزال يشاهد من عجائب الملأ الأعلى ما لا يكيف ولا يطاق فإن كان مجذوبا فإنه يتبع بظاهره ما يراه ببصيرته وما يراه ببصيرته لا ينحصر فلذا لا ينضبط له حال فإذا رأيت من المجاذيب من يتمايل طربا فإنه غائب في مشاهدة الحور العين فإن ذلك هو هيئة تحركاتهن فظاهره مشتغل بمحاكاة ما يشاهد من أمرهن وأما السالك فهو الذي لا يتأثر ظاهره بما يرى ولا يحاكي شيئا من الحركات التي يشاهدها بل هو بحر زاخر ساكن لا يظهر عليه شيء وهو أكمل من المجذوب وأجره يزيد على أجر المجذوب بالثلث وفي المشاهدة للسالك مثل قدم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله

عليه وسلم لم يكن ظاهره يتاثر بشئ ولذا ترى السالكين بعقولهم
والمجاذيب لا عقول لهم فى الغالب لان ظاهرهم اذا اشتغل بمكالمة
ظاهر غيرهم ضاع ظاهرهم الذى كان لهم فى اصل الخلقة قبل الفتح
فضاعت عقولهم تبعا لذلك قال رضى الله عنه وكان بعض السالكين
من العارفين رضى الله عنهم يحضر الديوان وكان من الاكابر وكان له
ولد من صلبه فكان يعلم انه وارثه ولكن لا يدرى هل يخرج مجذوبا
او سالكا فحمله مرة على عنقه ومشى به حتى دخل به على اهل الديوان
فى محل الديوان فقالوا ما هذا يا فلان وانت تعلم انه لا يحل لمن لا يكون
من اهل الخطوة ان يمشى به بالخطوة فقال لهم نسالكم العفو والصفح
والمجاوزة ثم تقدم الى الغوث رضى الله عنه فقال له يا سيدى قدمت
اليك هذا الجمع الشريف وحرمته وبحرمة النبى صلى الله عليه
وسلم ومجلسه ذلك الا ما اعلمتنى بشان ولدى هل يصير مجذوبا
او سالكا فقال له الغوث هذا امر لا يعلم فان نور الايمان الذى
فى السالك هو بعينه الذى فى المجذوب والمعرفة التى فى هذا هى التى
فى هذا والتفاوت الذى بينهم فى الحسنات والدرجات غيب عنا
ولا يعلم الا فى الآخرة فباى حيلة يعلم ولدك اهو مجذوب او سالك
هذا ما لا يكون فقال الغوث رضى الله عنه يا سيدى ما جعلك الله
غوثا الا وانت تعلم هذا واكثر ثم ساله بجاه النبى صلى الله عليه وسلم
الا ما بين له الحالة التى سيصير اليها الصبى من سلوك او جذب
فقال الغوث رضى الله عنه ائتونى بعود فاتوه به فقال هل من سكين
فاتوه بها فقال للصبى تقدم فجعل يتقدم حتى اجلسه بين يديه
ثم جعل ينجر العود بالسكين والصبى ينظر فجعل الغوث رضى الله
عنه ينجر ويحزن فى العود وهو يعض مرة على لسانه ومرة على شفتيه
ويحدق الصبى فى اثناء ذلك واذا الصبى يعض على لسانه اذا عض
الغوث رضى الله عنه على لسانه ويعض على شفته اذا عض الغوث

رضي الله عنه على شفقته فقال له خذ ولدك فانه سيخرج مجذوبا
فقال يا سيدي بم عرفت ذلك فقال انه يتأثر ظاهره بما يرى ويشاهد
قال رضي الله عنه والسالكون يجتنبون المجاذيب في امور ومنها
ان السالك لا ياكل مع المجذوب لان المجذوب لا يبالي بما يخرج على
لسانه من سب او غيره فيجب على السالك ان يتقي ذلك منه ومنها
انه لا يسافر معه لهذه العلة ومنها انه لا يلبس ثوبه لانه لا يتوقى
النجاسة ومنها انه لا يحل للسالك ان يتزوج مجذوبة وكذا العكس
واما الشيخ فانه قد يخرج المجذوب على السالك كما في حكاية
الصبي فانه مجذوب وابوه سالك وقد يخرج السالك على
المجذوب كما وقع لسيدي يوسف الفاسي فانه سالك وشيخه
سيدي عبد الرحمن المجذوب مجذوب فقلت فكيف يكون هذا
والمجذوب مشغول عن نفسه فكيف بغيره حتى يشتغل
بتربيته فقال رضي الله عنه ان المجذوب يتفاوت بالقوة والضعف
فمنهم من يقل جذبه ومنهم من يكثر بحيث لا يفيق والله اعلم
وسمعته رضي الله عنه يقول ان الاولياء يفعلون امورا
عظيمة يسخرهم الحق سبحانه فيها حتى يتعجب المتعجب من تلك
الافعال واذا نظرت بعين الحقيقة وجدت الفاعل لها هو الحق
سبحانه وهم محمولون كغيرهم من المخلوقات من غير فرق فقلت
فالاولياء رضي الله عنهم يشاهدون افعال الحق سبحانه واذا
كانوا مشاهدين لافعاله تعالى فكيف يشاهدون الفعل
من انفسهم ام كيف ينسبون ذلك لذواتهم فقال رضي الله
عنه ان الاولياء وغيرهم ممن اكرمه الله تعالى انما يشاهدون
افعاله تعالى في غيرهم ولا يطيق احد من مخلوقات الله تعالى
ان يشاهد افعاله تعالى في ذات نفسه ولو شاهد الافعال
الربانية في ذاته لذابت ذاته وسالت وانما يطيق المخلوق

ان يشاهد افعال الحق سبحانه بالوسائط وفى غير ذاته اما
مباشرة فى ذاته فلا يطيقه ولا يطيق المخلوق ان يشاهد
الفاعل فى ذاته ولذا خلق تعالى الوسائط وجعل الملائكة
ظروفا تظهر فيها افعاله لئلا تذوب المخلوقات وانما اطاقت
الملائكة لان ذواتها انوار صافية وليست باجرام ترابية
واعلم ان للملائكة خصوصية فى توسطهم فى الفعل ليست
لغيرهم حتى انك اذا نظرت بعد الفتح وجدتهم لا يخلو منهم
مكان من امكنة المخلوقات فتراهم فى الحجب وتحتها وفى العرش
وتحته وفى الجنة وفى النار وفى السماء والارض وفى الكهوف
والجبال والاودية وسائر البحار قال رضى الله عنه ولاجل
هذا النفع الحاصل بهم فى التوسط بين الخلق والحق سبحانه
وجب الايمان بهم دون غيرهم من الموجودات العظام كالحجب
ونحوها والله اعلم وكنت اتكلم معه رضى الله عنه ذات
يوم فذكرت له سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام
وما سخر الله له من الجن والانس والشياطين والريح وذكرت
ما اعطى الله تعالى لابيه سيدنا داود عليه السلام من
صناعة الحديد والانة حتى يكون فى يده مثل قطع العجين
وما اعطى الله لسيدنا عيسى عليه السلام من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى باذن الله سبحانه ونحو ذلك من معجزات
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفهم منى كانى اقول له وسيد
الوجود صلى الله عليه وسلم فوق الجميع ولم يظهر على يده
مثل ذلك وانه وان ظهر على يده شيء من المعجزات فمن فن آخر
فقال رضى الله عنه كل ما اعطيه سليمان فى ملكه عليه السلام
وما سخر لداود وما اكرم به عيسى عليه السلام اعطاه الله
تعالى وزيادة لاهل التصرف من امة النبى صلى الله عليه

وسلم
رضى

وسلم فان الله سخر لهم الجن والانس والشياطين والريح والملائكة
بل وجميع ما في العوالم باسرها ومكنهم من القدرة على ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى ولكنه امر غيبي مستور لا يظهر الى الخلق
لئلا ينقطعوا اليهم فينسون ربهم عز وجل وانما حصل ذلك لاهل
التصريف ببركة النبي صلى الله عليه وسلم فكل ذلك من معجزاته
عليه الصلاة والسلام ثم ذكر اسرارا لا تطيقها العقول والله اعلم
وسالته رضي الله عنه ذات يوم فقلت ان اهل التصرف رضي
الله عنهم لهم القدرة على اهلاك الكفرة اينما كانوا فما بالهم تركوهم
مع كفرهم وعبادتهم غير الله عز وجل وما كان بهذه الصفة فهلاكه
واجب فقال رضي الله عنه وقد حول وجهه الى خلف ثم
رده يقدر الولي في هذه اللحظة على اهلاك هذا البر كله ومع ذلك
فاذا حضر بين معركة من المسلمين والكفار يحرم عليه ان يتصرف
في الكفرة بشيء من ذلك السر وانما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال
من ضرب بسيف وطعن برمح ونحو ذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه
وسلم قال رضي الله عنه ولقد التقت سفينة للمسلمين وكان فيها
وليان من اولياء الله عز وجل مع سفينة للكفار فلما حمي بينهم
القتال قام احد الوليين وكان صغيرا فتصرف في السفينة بذلك
السر فانطلقت النار في سفينة الكفرة وهم يرون ولم يصدر منهم
سبب عادي يستر به تصرفه وانما احترقت السفينة بلا سبب
فلما فعل ذلك الولي ما فعل سلبه الولي الآخر الذي كان معه
وكان اكبر منه عقوبة على ما فعل قال رضي الله عنه وانما لم يجز
التصرف في الكفرة دمرهم الله بذلك السر لان صاحبه في تلك
الحالة خارج في الحقيقة عن عالم البشر والتحق بعالم آخر وكما
لا يجوز لعالم الملائكة مثلا ان يتصرفوا فيهم بما تطيقه قوتهم
كذلك لا يجوز لصاحب السر ان يتصرف فيهم بقوته بل يجري

لهم على يديه الامور التي بها بقاؤهم ودوام عيشتهم كما ان عليهم
حفظة من الملائكة يدبرون امورهم منذ نشاوا الى ان ينقرضوا *
وبالجملة فالكفرة دمرهم الله من عالم البشر فلا يستعمل معهم في
قتالهم وهلاكهم الا ما هو عادة في عالم البشر لا غير والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه يقول نظر بعض بنات النصارى لعنهم الله ذات يوم
للقمر فقالت لابيها وهي صغيرة من خلق هذا يا ابت فاشار ابوها
الى صليب في الارض فقال هذا فاخذته البنت الى قدر قامتها
وتركته في الهواء فسقط الى الارض فقالت يا ابت اذا لم يمسك
نفسه في هذا القدر القريب فمن امسكه حتى خلق القمر في علوه
وارتفاعه فسبها ابوها فقلت وهل البنت مسلمة فقال لا
فقلت وهل اسلمت بعد ذلك فقال لا فقلت فاين لها بهذا الامر من
الحق والنور الواضح الساطع فقال كان بعض اهل الحق حاضرا
فنظر اليها فتكلمت والله اعلم قلت والمراد بالبعض الحاضر هو
الشيخ رضي الله عنه والنظرة التي نظر اليها نظرة باطنية لكنه
محجوب عن ابصارهم رضي الله عنه والله اعلم وسالته رضي الله
عنه عن الولي اذا تصور في صورة غير صورته وقتل في تلك الصورة
من المتالم حينئذ روحه ام الجسم الاصلي ام المتصور فيه فقال
رضي الله عنه الذي يجب في العقيدة هو تماثل الالمين في الذاتين
والناس لا معرفة لهم بهذا لظنهم ان المقصود بالالم هو الذات وليس
كذلك انما المقصود هو الروح ثم ذكر سرا من اسرار الله تعالى يبين
به ذلك ووجه الشاهد من هذا الباب وذلك ان الولي اذا سخره
الله لموضع لا تطيقه ذاته الترابية لعائق من حر شديد او برد
شديد او نحو ذلك فان روحه تخرج من ذاته وتدخل في بعض
الاجرام المطيقة لذلك العائق وتفعل ذلك الامر قال واذا تالم
في ذات المنتقل اليها احس بالالم لاحساسه به اذا كانت

روحه في ذاته من غير فرق فقلت وما هذه الاجرام التي يقع فيها
الدخول والانتقال فقال مثل الجمل والثور ونحوهما مما يطيق ذلك
العائق فقلت فارواحهم في ذواتهم فكيف تدخلها روح الولي مع
ذلك فقال ارواحهم وان كانت في ذواتهم الا انها ليست كارواح
بني آدم فان ارواح البهائم كعقولهم وعقولهم كارواحهم فلذا
ارواحهم لا تحكم على ذواتهم كحكم ارواح بني آدم على ذواتهم فلذا
كان الولي يتصور في ذات البهائم اذا اراد ان ينفذ قدرا يتوقف
على ذلك ولا يتصور في ذات بني آدم التي فيها ارواحها فقلت
فانا نرى في بعض الاحيان ثورا مثلا لا تشويش عليه ثم يعتريه
امر فينزعج ويتحرك نحو شخص حتى يقتله فيمكن ان يكون الولي تصور
في ذاته حتى نفذ ذلك القدر فقال يمكن ذلك اذا كان ذلك الشخص
المقتول كافرا لان جند النور وجند الظلام في قتال شديد فقلت
فهذه البهائم مثل القط والكلب التي يتصور عليها الشياطين
يمكن ان تكون من هذا المعنى فقال رضي الله عنه نعم الشياطين
من الظلام والباطل والاولياء رضي الله عنهم من الحق والنور
والظلام والنور جندان فالبهائم المذكورة تارة يتصور عليها هذا
الجند وتارة يتصور عليها الجند الآخر لتنفيذ قدر فقلت فاي قدر
يتوقف على تصور الولي على صورة الحنش فقال اذا امر الله ان
يقتل زيدا بالسم فان روحه تدخل في الصورة المذكورة حتى ينفذ
القدر فقلت فلا سم في روح الولي فقال رضي الله عنه واي
شيء هو السم همة الولي وعزيمته تنفعل لها الاشياء فاذا هم بشيء
كان فسألته عن روح الولي اذا خرجت من ذاته فعلى اي حالة
تبقى ذاته فقال رضي الله عنه تبقى بلا روح فان كان من صغار
الاولياء بقيت ذاته على صورة المبهوت المخلوع لا يتكلم بشيء
واذا تكلم لا يفهم ما يقول ولا يعرفه وان كان من الكبار بقيت

ذاته على حالتها اذا كانت فيها روحها تتكلم وتضحك كانها على
حالتها الاولى فقلت فاذا بقيت بلا روح مانت فكيف ساغ من
الاول ان يبقى على هيئة المخلوع ومن الثاني ان يبقى على حالته وقد
خرجت روحها فقال رضي الله عنه اذا خرجت الروح بقيت
اثارها في الذات من حرارة ونحوها فما دامت الآثار فيها بقيت
الذات حية ولا تنتفي الاثار عنها الا بعد اربع وعشرين ساعة قال
فمن رجعت روحه لذاته قبل ذلك بقي على حياته ومن مرت على روحه
المدة المذكورة وهي مفارقة لذاته لم يمكنها الرجوع لذاته ابدا وصار
في عدد الاموات وكم من ولي تقبض روحه على هذه الحالة ولله
عناية عظيمة بمن قبضت روحه على هذه الحالة فسالته عما
سمعت من بعض الاولياء تغيب روحه عن ذاته ثلاثة ايام ثم
ترجع فان هذا يخالف ما سبق فقال رضي الله عنه هذا الذي
سمعتموه حق وتبقى غائبة سبعة عشر يوما واكثر ولكن لا بد
لها من تشوف نحو ذاتها وبتشوفها تحصل حياة الذات ثم ضرب
رضي الله عنه مثلا فقال كمن جاء الى موضع مخوف فوجد واديا
فازال ثيابه وجعل يسبح في الماء فانه في الماء وهو يخاف على ثيابه
فتراه يسبح مرة ويرفع راسه مرة اخرى نحو ثيابه خوف السرقة
عليها فكذلك الروح اذا خرجت من الذات فانها تنتبه اليها كانتباه
السابح الى ثيابه لكن انتباه السابح بالرؤية فقط والروح يخففها
انتباهها بالدخول فبانتباهها للذات يقع لها الدخول فيها ثم تخرج
لقضاء الامر الذي كلفت به ثم تنتبه للذات فتدخل فيها وهكذا
الى ان تقضي ذلك الامر في ثلاثة ايام او اكثر فلا منافاة بينه وبين
ما سبق والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان الولي
صاحب التصرف يمد يده الى جيب من شاء فياخذ منه ما شاء
من الدراهم وذو الجيب لا يشعر قلت لان اليد الذي ياخذ بها

الولي

الولى باطنية لا ظاهرية ثم حكى لنا حكاية وقعت لبعض الاولياء نفعنا الله بهم مع جار له وذلك ان ذلك الجار كانت له امراة قد اودع عندها رجل خمسة مثاقيل ثم ذهب في الحركة الى ناحية فجيج وقال ان عشت اخذتها وان مت فاعطها لاولادي فغاب المودع ثم حضرت المنية المراة فاوصت زوجها جار الولى وقالت ان جاء ربها فاعطها له فانعم لها بذلك فلما دفنها غدر في الامانة واكلها ثم جاء ربها فانكره ثم جعل يجمع ويكتسب حتى جمع خمسة مثاقيل مثل المدة السابقة ففرح بها وخرج من داره وترك الولى عند باب داره وكانا يسكنان براس الجنان من محروسة فاس امنها الله تعالى حتى جاء الى الشماعين فاشترى شمعة يقصد ان ياتي بها الى ضريح سيدي عبد القادر الفاسي نفعنا الله به فلما كان عند الفرن الذي بسبع لويات مد الولى يده من راس الجنان الى جيب الرجل وهو عند الفرن المذكور فاخذ منه الخمسة مثاقيل عقوبة على غدره بالامانة والرجل لا شعور له بشيء حتى بلغ الى الضريح المذكور فانزل عليه الشمعة وطلع لراس الجنان فلما وقع بصره على الولى الهمه الله ان يراجع ما في جيبه فادخل يده فلم يجد شيئا فغضب وجعل يتكلم مع الولى وهو لا يظن فيه ولاية ويقول والله ما بقي ولي لله لا حي ولا ميت والولى يضحك حتى كاد يسقط الى الارض من كثرة الضحك ثم استفهمه الولى وقال يا عمر عبد الرحمن اي شيء اصابك فقال له لقد خرجت وفي جيبي خمسة مثاقيل وقلت اشتري شمعة لسيدي عبد القادر الفاسي فرحا بالدراهم فكان من بركته على ان اخذها الشفارون فازداد ضحكا الولى والله اعلم قلت والولى المذكور الذي اخذ الدراهم من الجيب حسب الشيخ رضي الله عنه وقد وقع له يوما بحضرة جماعة من اصحابنا ما يقرب من هذه الحكاية مع الفقيه سيدي محمد بن علي [illegible]

رحمه الله تعالى بفتح الميم وتشديد الجيم نسبة الى مجاوة القبيلة
المعروفة بناحية تازى وذلك انه قدم من وطنه بقصد زيارة
الشيخ رضى الله عنه فخرج الشيخ اليه والى جماعة من الاصحاب
وجلس معهم عند باب داره مستند الى جدارها وسيدى محمد بن
على مستند الى جدار الدار التى تقابلها وبينهما الطريق السابلة
فقال الشيخ رضى الله عنه للفقيه المذكور وكان يحبه كثيرا هل عندكم
دراهم فقال ياسيدى ما عندى شئ فعاد الشيخ لقوله والفقيه
لقوله ثلاث مرات فقال له الشيخ انظر وكان فى جيب الفقيه ثمان
عشرة موزونة مصرورة فى خرقة فلم يمكنه الا الاقرار فقال
ياسيدى ثمان عشرة موزونة فقال الشيخ هاتها فادخل يده فى جيبه
ففتش عليها فلم يجد شيئا فبقى مبهوتا فضحك الشيخ رضى الله عنه
واخرجها له من تحته فى خرقتها وقال له مسكين ياسيدى محمد
ابن على من يقدر على هذا كيف يسعك ان تدس عليه وتخفى منه
قلت وقد ظهرت لنا كرامة اخرى فى هذا الفقيه من الشيخ رضى
الله عنه وذلك ان الفقيه المذكور كان شحيحا على الدنيا محبا لها
كثيرا وكانت عنده منها ما شاء الله وكان لا يولد له فلما التقى مع
الشيخ رضى الله عنه والقى الله فى قلبه محبته لم يزل رضى الله
عنه يامره باخراج دنياه لله عز وجل وجعلت نفس الفقيه تسمح
بذلك وتجود وكان يتعجب منها فانه لم يكن يعهد منها ذلك ثم
شدد الشيخ رضى الله عنه عليه فى اخراج ماله فى وجوه الخير
حتى كنا نرحمه ويقول القاصد منا ان الشيخ رضى الله عنه ثقل
عليه كثيرا والفقيه المذكور يفرح بذلك غاية ونحن لا نعرف العاقبة
والشيخ رضى الله عنه كان يعرفها وذلك لان الفقيه كان قد قرب
اجله ودنت وفاته فكان الشيخ رضى الله عنه يبنى له المقصود
فى الجنة ويقدم له ماله بين يديه ونحن لا ندرى فلما كاد مال

الفقيه المذكور يفنى ولم يبق الا مقدار ما ترثه زوجته وتاخذه في صداقها توفي الفقيه المذكور رحمه الله وهكذا فعل الشيخ رضي الله عنه مع صاحبه الفقيه الجليل سيدي علي بن عبد الله الصباغي المتقدم في اول الكتاب فانه منذ عرفه الح عليه في اخراج دنياه لله عز وجل فلما نفنيت دنياه توفي على اثرها وانقلب الى ما عند الله عز وجل فانظر وفقك الله النفع الحاصل من معرفة امثال الشيخ رضي الله عنه والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول الفرق بين اخذ الولي صاحب التصرف متاع الناس وبين اخذ السارق واللص له الحجاب وعدمه فالولي مشاهد لربه عز وجل مامور من قبله بالاخذ قال الله تعالى وما فعلته عن امري قال رضي الله عنه ولقد دخل سيدي منصور القطب رضي الله عنه الى مولانا ادريس نفعنا الله به فوجد سيدي ابا يعزى بن ابي زيان المكاري يزور فاخذ بلغته وخرج فقلت للشيخ رضي الله عنه في ذلك فقال الفرق بين اخذ الولي والسارق الحجاب وعدمه فسيدي منصور لكونه قطبا مشاهدا البلغة له وراها في اللوح المحفوظ من قسمته وسمع الامر من الحق سبحانه باخذها يحل له الاخذ كيف امكنه والسارق محجوب غافل عن ربه ثم حكى حكاية سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه في الثور الذي قبضه اصحابه فامرهم سيدي عبد الرحمن بذبحه واكله وامتنع سيدي يوسف الفاسي وارثه من اكله حتى جاء ربه فاخبرهم انه صدقة لسيدي عبد الرحمن واصحابه قلت وهي حكاية مشهورة وكذلك سيدي ابو يعزى السابق لو امكنه ان يعطي بلغة من لحمه لسيدي منصور لفعل اعاذنا الله من سوء الانتقاد على الكمال من العباد فهذا ما اردنا ان نذكره في هذا الباب

نفع الله به آمين الباب الخامس في ذكر التشايخ والارادة
وبعض ما سمعناه منه في هذا الباب رضي الله عنه سالـه
رضي الله عنه بعض الفقهاء عما قيل ان التربية انقطعت فهل ذلك
صحيح ام لا ونص السؤال سيدنا الامام من فتح الله عليه من
فتوحات اوليائه الكرام وتفضل عليه بالانتساب لبيت النبوة
على الموصوف بما افضل الصلاة وازكى السلام علمنا علمك الله
من علومه اللدنية ما يزيح الاشكال عن قلوب الرجال ويسرح
عقولها من العقال الى نيل العلوم الروحانية ببيان العبارة وضرب
الامثال فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الخلق عيال
الله واحب الخلق الى الله انفعهم لعياله فمنها سيدي ما نقل عن الشيخ
زروق رضي الله عنه انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق الا
التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا
نقصان هل ذلك خاص بزمانه او هي منقطعة الى نزول سيدنا عيسى
عليه السلام فان قلتم انقطع فما سبب قطعه وان قلتم هو باق فمن
الشيخ الذي تعطى له روح المريد يتصرف فيها بالخلوة وكيف يشاء
عينه لنا في اي اقليم وبلاد ممن نجح على يده احد من العباد اهـ
وهذا الفقيه الذي سبقت الاشارة اليه في تفسير ق وفي شرح
الكتابين اللذين فيهما اسماء الجنة والنار فاجاب رضي الله عنه
بان المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها
حتى تطيق حمل السر وليس ذلك الا بازالة الظلام منها وقطع
علائق الباطل عن وجهتها ثم قطع الباطل عنها تارة يكون بصفاتها
في اصل خلقتها بان يطهرها الله بلا واسطة وهذه حالة القرون
الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون فقد كان الناس في تلك
القرون متعلقين بالحق با حنين عليه اذا ناموا ناموا عليه واذا
استيقظوا استيقظوا عليه واذا تحركوا فيه حتى ان من فتح

الله ببصيرته ونظر الى بواطنهم وجد عقولهم الا النادر متعلقة بالله وبرسوله باحثة عن مرضاتهما فلهذا اكثر فيهم الخير وسطع في ذواتهم نور الحق وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيف ولا يطاق فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج اليها وانما يلقى الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه في اذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوفها الى نهج الرشاد وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه اعني قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت المطلوبات وصارت العقول متعلقة بالدنيا باحثة عن الوصول الى نيل الشهوات واستيفاء اللذات فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه وينظر اليه فيجد عقله متعلقا بالباطل وبنيل الشهوات ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة من حيث ان العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق فاذا وجده على هذه الحالة امره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الاكل فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عدد الموتى وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه وبتقليل الاكل يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة فيرجع العقل الى التعلق بالله وبرسوله فاذا بلغ المريد الى هذه الطهارة والصفاء اطاقت ذاته حمل السر فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وادخال الخلوة ثم بقي الامر على هذا مدة الى ان اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام فصار اهل الباطل يربون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الاسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق وقد يضيفون الى ذلك عزائم واستخدامات تفضي بهذا الى مكر من الله تعالى واستدراجات وكثر هذا الامر في الامصار

التي ادركها الشيخ زروق رضي الله عنه وادركها شيوخه فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله ان يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التي كثر فيها المبطلون وان يقفوا بالناس في ساحة الامن التي لاخوف فيها ولاحزن وهي اتباع السنة والكتاب اللذين لا يضل من اهتدى بهما فكلامهم رضي الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط ولم يريدوا رضي الله عنهم الانقطاع راسا للتربية الحقيقية وحاشاهم من ذلك فان نور النبي صلى الله عليه وسلم باق وخيره شامل وبركته عامة الى يوم القيامة واما قولكم فمن الشيخ الخ فجوابكم ان الشيخ الذي يلقي اليه بالقياد هو العارف باحوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي سقيت ذاته من نوره صلى الله عليه وسلم حتى صار على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وامده الله تعالى بكمال الايمان وصفاء العرفات فهذا هو الذي يلقي اليه بالقياد وتنبغي محبته وتنفع خلطته فانه يجمع العبد مع ربه ويقطع عنه الوساوس في معرفته ويرقيه في محبة النبي صلى الله عليه وسلم واما قولكم فعينوه لنا في اي اقليم اوبلد فجوابه ان الموصوف المذكور متعدد والحمد لله في البلاد والعباد فلا تخرج عن اهل السنة والجماعة واطلبه تجده فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وساله الفقيه المذكور ايضا عن الشيخ الذي يدعي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بما نصه ومنها سيدي اي الاسئلة من ادعى انه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة قال العارفون بالله لاتقبل دعواه الا ببينة وهو ان يقطع ثلاث آلاف مقام الا مقاما ويكلف المدعي بعدها ببيانها فالمطلوب من سيادتكم ادامها الله ان تعدوها لنا ولو برمز واختصار او ماتيسر منها من غير استكثار فاجاب رضي الله عنه بان في باطن كل ذات ثلثمائة

وستة

وستة وستين عرقا كل عرق حامل للخاصية التي خلق لها والعارف
ذو البصيرة يشاهد تلك العروق مضيئة شاملة فيها في خواصها
فللكذب عرق مشمول بخاصيته وللحسد عرق يضيء به وللرياء
عرق يضيء به وللغدر عرق يضيء به وللعجب عرق يضيء به وللكبر
عرق يضيء به وهكذا حتى تاتي على سائر العروق حتى ان العارف
اذا نظر الى الذوات رأى كل ذات بمنزلة فنار علقت فيه ثلثمائة
وستة وستون شمعة كل شمعة على لون لا يشابه لون غيرها
ثم هذه الخواص في كل واحدة منها تفاصيل واقسام فخاصية
الشهوة مثلا لها اقسام بحسب ما تضاف اليه فان اضيفت
الى الفروج كانت قسما وان اضيفت الى الجاه كانت قسما والى
المال كانت قسما والى طول الامل كانت قسما وهكذا خاصية
الكذب فمن حيث ان صاحبها لا يقول الحق تعد قسما ومن
حيث ان صاحبها يظن في غيره انه لا يقول الحق ويشك في كلامه
ولا يصدقه تعد قسما ولا يفتح على العبد حتى يقطع هذه المقامات
باسرها فاذا اراد الله بعبده خيرا واهله للفتح فانه يقطعها عنه شيئا
فشيئا على التدريج فاذا قطع عنه مثلا خاصية الكذب حصل على مقام
الصدق ثم على مقام التصديق واذا قطع عنه خاصية الشهوة
في المال حصل على مقام الزهد او شهوة المعاصي حصل على مقام
التوبة او شهوة طول الامل حصل على مقام التجافي عن دار الغرور
وهكذا ثم اذا فتح عليه وجعل السر في ذاته تدرج في مقامات
المشاهدة للعوالم فاول ما يشاهد الاجرام الترابية ثم الاجرام
العلوية ثم الاجرام النورانية ثم يشاهد سريان افعاله تعالى
في خليقته وله في مشاهدة الاجرام الترابية تدريج فاول
ما يشاهد الارض التي هو فيها ثم يشاهد البحور التي فيها ثم
يشاهد ما بين الارض التي هو فيها والارض الثانية بان يخرق

نظره النجوم الى الثانية ثم يشاهد الارض الثانية ثم يخوضها الى الثالثة وهكذا الى السابعة ثم يشاهد الجو الذى بينه وبين السماء الاولى ثم السماء الاولى وهكذا على نحو الترتيب السابق فى الارض ثم يشاهد البرزخ والارواح التى فيه ثم الملائكة والحفظة وامور الآخرة وعلى العبد فى كل مشاهدة من هذه المشاهدات حق من حقوق الربوبية وادب من اداب العبودية ويعرض له فى ذلك قواطع وتعتريه عوائق ويشاهد امورا هائلة قتالة فلولا توفيق الله تعالى وفضله على العبد الضعيف ورحمته به لكان اقل درجاتها يرجع بسببها من جملة الحمقى ثم قطعه لمقامات المشاهدة واهوالها اصعب عليه من قطعه مقامات خواطر النفوس لان قطعه لمقامات الخواص باطنى لا يشعر به الا بعد الفتح وقطعه لمقامات المشاهدة ظاهرى يعاينه ويراه لانه امر يخوضه بعد الفتح فاذا صفى نظره وتم نور بصيرته ورحمه الله الرحمة التى لاشقاء بعدها رزقه الله سبحانه رؤية سيد الاولين والآخرين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم فيراه عيانا ويشاهده يقظة ويمده الله تعالى بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فحينئذ يحصل على مقام الهناء والسرور فهنيئا له السعادة فاذا اعتبر العدد السابق فى الخواص والاقسام الداخلة فيهما مع المقامات التى توجد من المشاهدات السابقة وجدت ذلك ينوف على العدد المذكور ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم لا تخفى شمائله المطهرة فقد دونت العلماء رضى الله عنهم ما خصه الله تبارك وتعالى فى ظاهر ذاته وفى باطنه عليه افضل الصلاة وازكى التسليم فمن ادعى رؤيته يقظة فليسأل عن شئ من احواله الزكية ويسمع الى جوابه فانه لا يخفى من يجيب عن عيان ولا يلتبس بغيره ابدا والسلام فان قنعتم بهذا فبها ونعمت وان اردتم كلاما آخر فاعلم

ان العبد اذا فتح الله تعالى عليه امده بنور من انوار الحق يدخل على ذاته من جميع الجهات ويخرقها حتى يخرق اللحم والعظم ويعاني من برودته ومشقة دخوله على الذات ما يقارب سكرات الموت ثم ان ذلك النور من شانه ان يمد باسرار المخلوقات التى اراد الله ان يفتح على ذلك العبد فى مشاهدتها فيدخل النور على ذاته متلونا بالوان المخلوقات المذكورة فاذا اراد الله تعالى ان يفتح عليه مثلا فى مشاهدة المخلوقات التى على ظهر هذه الارض فان ذلك النور ياتيه مرة ويخرقه بالاسرار التى تكونت بها ذوات بنى آدم وياتيه مرة بالاسرار التى تكونت بها البهائم وياتيه مرة بالاسرار التى تكونت بها الجمادات من فواكه وثمار ونحوها بحيث انه لا يفتح عليه فى مشاهدة شئ منها حتى يسقى اولا باسرارها ومع ذلك فانه يعانى فى كل كرة ما يعاينه فى اول مرة ومن جملة المخلوقات سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم فاذا وعد الله عبدا بالفتح عليه فى مشاهدة ذاته الشريفة فانه لا يشاهده حتى يسقى بالاسرار التى فى ذاته الشريفة فلنفرض الذات قبل الفتح بمثابة شئ مظلم والذات الشريفة بمنزلة نور ذى شعب متنوعة تنتهى الى مائة الف او اكثر فاذا اراد الله رحمة تلك الذات المظلمة فان ذلك النور الذى يمدها ويسقيها ياتيها مرة ويخرقها بواحدة من تلك الشعب ولنفرضها مثلا شعبة الصبر فيزول بها سواد ضده من الجزع والقلق وياتيه مرة بشعبة اخرى ولنفرضها شعبة الرحمة فيزول بها سواد ضده الذى هو عدم الرحمة وياتيه مرة بشعبة اخرى ولنفرضها شعبة الحلم فيزول بها سواد ضده وهكذا حتى تاتى على جميع الشعب التى فى الذات المنورة وتزول عن الذات المظلمة جميع الاوصاف السوداوية وعند ذلك يتمكن العبد من المشاهدة فى الذات الشريفة لانه متى بقى شئ من السواد كانت

ذلك سوادا في ذاته ولا يطيق مشاهدة الذات الشريفة حتى
يخرج السواد باسره من ذاته ولسنا نريد انه اذا سقى بالاسرار التي
في الذات الشريفة انه تكون فيه على الكمال التي هي عليه في الذات
الشريفة بل نريد انه يسقى بما على ما تطيقه ذاته واصل خلقته
ولسنا نريد ايضا انه اذا سقى بشيء من تلك الشعب انه ينقص
من الذات الشريفة ويبقى محله خاليا منه فان الانوار لا تزول
عن محلها بالاخذ منها فظهر لك بهذا ان العبد لا يشاهد النبي صلى
الله عليه وسلم حتى يمحى جميع اوصافه بورود تلك الاسرار الشريفة
والانوار اللطيفة وفي ذلك قطع لمقامات لا تعد ولا تحصى *

* فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم *

وكان من حصرها في الفين او اكثر اخبر عن حالته وما وقع له من
الفتح وبقي عليه ما بقي وما سبق من نفي المشاهدة عن الذي ...
لا يسقى بجميعها فانما نفي به نفي المشاهدة على الكمال فان من بقيت
عليه شعب وحصلت له مشاهدة حصلت له لا على الكمال
والله اعلم وسأله الفقيه المذكور عن المريد الذي يزيد اذا حضر
الشيخ وينقص اذا غاب بما نصه ومعناه من الاسئلة سيدي
اذا صحب المريد شيخا كاملا عارفا بربه وادعى انه يربيه بهمته
ثم اذا غابت بشرية الشيخ بموت او سفر يجد المريد ضعفا من
نفسه في الحال والعلم والعمل فما معنى تربيته له بالحال والهمة
وانتفاعه به مع ضعف انتفاعه به اذا بعد عنه فاجاب رضي
الله عنه بان همة الشيخ الكامل هي نور ايمانه بالله عز وجل
وبه يرقي المريد ويرقيه من حالة الى حالة فان كانت محبة
المريد للشيخ من نور ايمانه امده الشيخ حضر او غاب ولو مات
ومرت عليه الاف من السنين ومن هنا كان اولياء كل قرن
يستمدون من نور ايمان النبي صلى الله عليه وسلم ويربيهم

ويرقيهم عليه افضل الصلوة وازكى التسليم لان محبتهم فيه محبة
صافية خالصة من نوايا ايمانهم وان كانت محبة المريد في الشيخ
من ذات المريد لا من ايمانه انتفع به ما دام حاضرا فاذا غابت
الذات عن الذات وقع الانقطاع وعلامة محبة الذات ان تكون
محبته في الشيخ لتحصيل نفع او لدفع ضر دنيوي او اخروي
وعلامة محبة الايمان ان تكون خالصة لوجه الله لا لغرض من
الاغراض فالمريد اذا وجد النقص من نفسه عند غيبة الشيخ
فالتقصير منه لا من الشيخ والله اعلم وسئل الفقيه المذكور
ايضا عن طريق الشكر وطريق المجاهدة ايهما اولى بما نصه ومنها
سيدي رضي الله عنكم وارضاكم ما الفرق بين طريقة الولي
العارف الشاذلي واتباعه والغزالي رضي الله عنه واتباعه حتى
ان الاولى مدارها كلها على الشكر والفرح بالمنعم من غير مشقة
ولا كلفة والاخرى مدارها على الرياضة والتعب والمشقة
والسهر والجوع وغيرهما فهل هما سيدي متوافقان على الرياضة
وانما يامر الشاذلي بالشكر بعد القرب للوصول او عنده او هو امر
بالشكر والفرح بالله من اول وهلة وحين البداية وهل الطريقان
يمكن سلوكهما لرجل واحد او لا يمكن ان ينتفع باحداهما الا
بالاعراض عن الاخرى جوابا شافيا فاجاب رضي الله عنه
بان طريقة الشكر هي الاصلية وهي التي كانت عليها قلوب
الانبياء والاصفياء من الصحابة وغيرهم وهي عبادته تعالى
على اشهاد من العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف
بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك
في القلب على ممر الساعات والازمان فلما علم منهم تبارك
وتعالى الصدق في ذلك اتاهم بما يقتضيه كرمه من الفتح
في معرفته ونيل اسرار الايمان به من عجل فلما سمع اهل الرياضة

بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم فجعلوا
يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على
ما حصلوا فالهجرة فى طريقة الشكر كانت من اول الامر الى الله والى
رسوله لا الى الفتح ونيل الكشوفات والهجرة فى طريقة الرياضة
كانت للفتح ونيل المراتب والسير فى الاولى سير القلوب والثانية
سير الابدان والفتح فى الاولى هجومى لم يحصل من العبد تشوف
اليه فبينما العبد فى مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب اذ
جاءه الفتح المبين والطريقتان على صواب لكن طريقة الشكر اصوب
واخلص والطريقتان متفقتان على الرياضة لكنها فى الاولى
رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه والزامها العكوف على بابه
والتجاء الى الله فى الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلات المتخللة
بين اوقات الحضور وبالجملة فالرياضة فيها تعليق القلب بالله عز
وجل والدوام على ذلك وان كان الظاهر غير متلبس بكبير عبادة
واذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء
ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الابدان وقال
مرة اخرى بعد قوله والهجرة فى طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل
المراتب ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الاولى فينقطع قلبه مع
الامور التى يشاهدها فى العوالم ويفرح بما يرى من الكشف والمشى
على الماء وطى الخطوة ويرى ان ذلك هو الغاية وهذا من الذين
شغلت قلوبهم عن الله عز وجل فى بداية الامور ونهايته فهو من
الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ومنهم من تتبدل نيته بعد الفتح ويرحمه
الله تعالى ويأخذ بيده فيتعلق قلبه بالحق سبحانه ويعرض عن
غيره وهذه الحالة التى حصلت لهذا بعد الفتح هى كانت البداية
فى طريقة الشكر فيا بعد ما بين الطريقتين وتباين ما بين المطلبين

وبالجملة فالسير في الاولى سير القلوب وفي الثانية سير الابدان والنية في الاولى خالصة وفي الثانية مشوبة والفتح في الاولى لعبو مى لا تشوف من العبد اليه فكان ربانيا وفي الثانية نيل بحيلة وسبب فانقسم الى الوجهين السابقين والفتح في الاولى لا يناله الا المؤمن العارف لحبيب القريب بخلاف الفتح في الثانية فانك قد سمعت ان للرهبان واحبار اليهود رياضات توصلوا بها الى شيء من الاستدراجات قال رضي الله عنه ونحن في هذا الكلام نتكلم على الرياضة مطلقا كان من المحق او من المبطل ولسنا نتكلم على رياضة ابي حامد الغزالي رضي الله عنه بالخصوص فانه امام حق وولي صدق وقولكم وهل يمكن سلوكهما لرجل واحد جوابه انه يمكن اذ لا تنافي بينهما فيمكن من الشخص ان يعلق قلبه بالله عز وجل في سائر حركاته وسكناته ويقيم ظاهره في المجاهدات والرياضات والله اعلم وسالته الفقيه المذكور ايضا بما نصه ومنها سيدي هل يمكن الانسان ان يعرف قابليته للارادة وعدمها اي القابلية الخاصة اولا يعرفه بذلك الا غيره من شيخ صالح او اخ ناصح فاجاب رضي الله عنه بان القابلية يعرفها الشخص من نفسه بان ينظر الى الغالب على فكره فهو الذي خلقت الذات له ولا بد للذات ان تتبع ما الفكر فيه سواء اقيمت فيه من اول الامر اولا فمن غلب على فكره محبة الله والميل الى جنابه واستحضار عظيم سطوته والخوف من جلاله وكبريائه فذلك علامة ارادة الخير به سواء كانت ذاته مقامة في المخالفات او في الموافقات فانها وان اقيمت في المخالفات فسيرجع الله سبحانه بها الى الخير والفلاح والرشد والنجاح ثم القابلية المذكورة كالرجلة والشجاعة تختلف بالقوة والضعف وتعلم مراتبها المختلفة فمن نظر الى جماعة من الصبيان وهم يلعبون علم من رجلته قوية ومن رجلته ضعيفة

ومن رجلته متوسطة فكذلك اهل القابلية يتفاوتون فى
حضور المعنى السابق فمنهم من هو فى الدرجة العالية بان يكون
هو الغالب عليه فى سائر اوقاته ومنهم من ياتيه فى اقل اوقاته
ومنهم المتوسط وسر ذلك ان الفكر والخواطر التى فى الباطن نور
من انوار العقل يمد بها العقل الذات على وفق القدر وما سبق
فى القسمة فان اريد بالذات الخير القى العقل عليها الفكر فيه وفى
اسبابه حتى تدركه وان اريد بالذات الشر القى العقل عليها الفكر
فيه وفى اسبابه حتى تبلغ اليه وتناله ثم الخير يتبع مراتب الفكر
الثلاثة السابقة والشر يتبع ايضا مراتب الفكر فيه ثم القابلية
لا تختص بما سبق بل كل ما سبق فى القدر ان الذات تدركه وتصل
اليه فان امر القابلية يظهر فيه فمن نظر الى جماعة من الصبيان
وسبق لواحد منهم ان يكون كاتبا والاخر ان يكون حجاما والاخر
ان يكون شرطيا مثلا فان الاول يعرف كيف يشد القلم للكتابة *
ويحصل له ذلك بادنى تنبيه ولا يعرف كيف يشد الموسى للتخفيف
ولا كيف يعلق السكين ولو نبه ما عسى ان ينبه والثانى يعرف
كيف يشد الموسى ولا يعرف كيف يشد القلم ولا السكين
والثالث يعرف كيف يعلق السكين ولا يعرف كيف يشد القلم
ولا الموسى وكل ميسر لما خلق له وكذا من غلب على فكره التجر
فى البر ونحوه واراد ابوه ان يفهمه فى الفلاحة فانه لا يجيئ منه
خير ولو اقامه ابوه فى التجارة جاء منه ما يحب وما يريد فخرج
من هذا ان قابلية كل شيء مبنية على الفكر فيه وكل واحد يعلم
ما يجول فيه فكره والله الموفق قلت وقد سمعت من الشيخ
رضى الله عنه ان امراة فى المتقدمين كان لها ابنان وبنت
ولما ارادت ان تموت قالت لعمران ابنى فلانا يخرج من الصالحين
والاخر يخرج من الظالمين والبنت سيكون لها مال كثير ودنيا

عريضة فقيل لها انقلمين الغيب فقالت ما اعلم الغيب ولكني نظرت
الى الاول فرايته شديد الخوف من الله تعالى لا يظلم احدا من
الصبيان وربه تعالى حاضر في قلبه دائما فعلمت انه سيصير
الى خير ونظرت الى الثاني فرايته على العكس فعلمت ان ماله الى الشر
ونظرت الى البنت وكانت صغيرة فوجدتها تصنع من الخرق
البالية خلاخل وقلائد ودمالج وما يلبسه النساء ويتزين
به هذا شغلها دائما فعلمت انها ستصير الى دنيا كثيرة قلت
واخبرني بعض الناس انه كان يتيما وادخلته امه في صنعة الحرير
وكان يتعاناها ويثقل عليه كثيرا حتى مر ذات يوم بقوم وهم
يتعانون صنعة الجبس وتخريمه وتزويقه قال فنظرت اليهم
فذهب عقلي معهم فعطلت ذلك اليوم صنعة الحرير وخدمت
معهم فاسرعت جوارحي في الخدمة ونشط قلبي وكاني كنت
في السجن وخرجت منه وحصل لي تيسير عظيم في فهم صنعة الجبس
وما عدت الى صنعة الحرير ابدا قلت وهو اليوم رئيس القوم الذين
يتعاطون صنعة الجبس وكل ميسر لما خلق له واخبرني بعض
الناس انه كان له حمار ضعيف وكان يسكن بازاء قوم في البادية
وكان لهم يتيم صغير لا شغل له الا الركوب على حماري ولكن يركبه
على صفة من يركب الخيل فيجعل في رجله مهمازا من شوك وللحمار
لجاما من سعف الدوم ويجعل في يده حربة من العيدان ويطلق
جريه في الحمار وكلما طردناه عاد اليه اذا غفلنا عنه فلما كبر الطفل
وبلغ رجع مع القواد الذين يسيرون الخيل للسلطان نصره الله
وكل ميسر لما خلق له ونذكرها هنا حكاية معلم الصبيان الذي
اختبرهم بان اعطاهم طيورا وامر كل واحد بذبح طائره في الموضع
الذي لا يراه احد فيه فجاؤوا وقد ذبحوا طيورهم الا واحدا منهم يقال
انه هو ابو العباس السبتي رضي الله عنه فانه رجع الى الشيخ بطائره

فقال في كل موضع اريد فيه ذبحه احيد الله مني فعلم الشيخ رضي
الله عنه انه سيصير الى مقام المعرفة واوصى عليه ولم يزل بلاحظه
والله اعلم وسمعت الشيخ رضي الله عنه يقول ان الرجل اذا كان
فيه عرق الولاية واقامه الله مع اهل المخالفة وبقي معهم مدة فانه
اذا مر به ولي من الاولياء وهو مع اولئك القوم فان عرق الولاية
الذي فيه يحيى باذن الله ويقع لصاحبه انشراح وفرح وانطلاق
صدر وهذا بمجرد مرور الولي عليهم وان كان صاحب العرق لا يعرفه
ولا تكلم معه الولي ولا جرى بينهما حديث اما اذا جرت بينهما مباشرة
وحصلت بينهما معرفة فلا تسال عن حياة العرق الذي فيه وزيادة
الخير فيه في كل لحظة واذا كان في الرجل عرق الشر الذي فيه كالسرقة
مثلا واقامه الله مع اهل الولاية والعرفان وصار يخدمهم ويخالطهم
مدة فاذا مر باولئك الجماعة سارق منهم فان الرجل الذي فيه عرق
السرقة يحيى وينشرح صدره للشر الذي فيه وتقوم قيامته
بمجرد مرور السارق عليه من غير معرفة منه ولا مخالطة له اما
اذا حصلت المعرفة بينهما فان شره يتم والعياذ بالله وكل ميسر
لما خلق له قلت وهذا باب واسع وطريق نافع يعرفه من مارس
تعليم الناس العلم او نحوه فانه اذا عرض عليه هذا الكلام في القابلية
وجده كانه نسخة منقولة مما جرى عليه في زمان التعليم ومعاناته
ولقد اقامني الله تعالى وله الفضل والمنة في مقام التعليم فبقيت
فيه نحوا من سبع وعشرين سنة وحين سمعت كلام الشيخ رضي
الله عنه في القابلية والخواطر التي تبتني عليها الذوات عرضته على
ما جرى لخلق كثير تعلموا منا فوجدته ضابطا جامعا مانعا وطرحت
عني بسببه اتعابا كثيرة كنت احملها في تعليمهم فابالغ لهم في النصح
والبيان مع اقامة الدليل والبرهان واحب لهم الخير كثيرا والمنة
لهم حتى يسكن ذلك في ذاتي ويصير ذلك كله اكلي وشربي معهم

ثم بعد ذلك لا يجيء منهم شيء وكلما بنيته معهم في مدة سنتين ينهدم
بمجرد مخالطتهم لمن هو من اهل البطالة بل ينهدم بمجرد غفلتي عنهم
وعدم تنبيههم كالدابة التي تمشي ما دامت تضرب واذا قطع عنها
الضرب وقفت وجرى لي مع خلق كثير غيرهم عكس هذا وذلك انهم بمجرد
مخالطتهم لنا ومعاشرتهم ايانا يسكن في قلوبهم ما يسمعونه منا
ثم لا يزالون في زيادة في كل مجلس يجلسونه معنا مع كوني لا ابالغ معهم
المبالغة التي كنت افعلها مع القسم الاول فلم ازل اتفكر في ذلك
واطلب السبب فيه حتى سمعت كلام الشيخ رضي الله عنه في القابلية
وذكرت له ما جرى لي مع القسم الاول فقال لي رضي الله عنه اطرح
عنك الحمل فانك تضرب في حديد بارد والناس ميسرون لما خلقوا
له والبدايات تدل على النهايات فانظر الى البدايات ونزل الناس
منازلهم هذا معنى كلامه رضي الله عنه فمن ذلك اليوم استرحت
وحصل لي علم عظيم والحمد لله باحوال الناس في القابلية في كل شيء
والحمد لله فان كنت كيسا فطنا حاذقا لبيبا فاجعل هذا الكلام نصب
عينيك فانك تطرح به عن نفسك احمالا كثيرة في معاشرة اصناف
الناس على اختلاف طبقاتهم والله الموفق ومسألة الفقيه المذكور
سؤالا يناسب هذا الباب في الجملة ونصه ومنها سيدي ما معنى
قول ابليس اللعين لولي الله سهل بن عبد الله التستري في آية
قول الله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء حتى قال له التقييد صفتك
لا صفة الحق مع كون الآية مقيدة والكلام على وفق العلم واي
حيلة للعبد حتى يقيد كلام الحق سبحانه مع ان الآية مقيدة بعد
تقييده مع ان الشيخ العارف مربي العارفين محيي الدين الحاتمي
قال واللعين استاذ سهل في هذه ومعلمه اجيبوا ماجورين وعليكم
ازكى تحية واطيب سلام قلت صفة المناظرة بين ابليس لعنه
الله وبين سهل هي ان قال ابليس ان الله تعالى يقول ورحمتي

وسعت كل شيء وانا شيء فقال له سهل فان الله يقول فسأكتبها
للذين يتقون الآية وانت لست منهم فالعموم الذى فى كل شيء
مقيد فقال له ابليس لعنه الله التقييد صفتك لا صفته سبحانه
فوقف سهل ولم يرد جوابا حتى قال الحاتمى ان سهلا شيخ ابليس
فى هذه الفائدة وهى ان التقييد صفته لا صفة الحق سبحانه
ذكر الشيخ الشعرانى رحمه الله تعالى الحكاية وسكت عنها فتخيل
السائل من سكوته صحتها فاستشكل ذلك بان التقييد من الله
لا من سهل فرفع سؤاله الى الشيخ رضى الله عنه فاجاب رضى
الله عنه بان التقييد فى الآية من الله تعالى لا من الخلق وتمسك
ابليس لعنه الله بالشبهة التى اوردها تمسك باطل والصواب
مع سهل رضى الله عنه لا مع ابليس لعنه الله ووجه مدح ذلك
الكلام الذى جرى على لسانه لعنه الله ان الحاتمى وسهلا فهما منه
ما لم يفهمه ابليس لعنه الله ولا جرى على خاطره فحرك من سهل التستري
الساكن وايقظ منه النائم والكامن ورجع الى مشاهدة ما يعرفه
من الحق سبحانه فان الصوفية رضى الله عنهم بعد الفتح ومعرفة
الحق على ما هو عليه اذا نظروا الى الحالة التى كانوا عليها قبل الفتح
يجدون انفسهم مقيدين للحق سبحانه فيما لا يحصى من التقييدات
جاهلين به لا يعرفونه حق معرفته فلما قال اللعين التقييد من
صفتك لا من صفته حصل بسبب هذا القول التفات من
سهل الى الحالتين فحصل له ما حصل وان كان اللعين لم يرد المعنى
الذى التفت اليه سهل ولا جرى على خاطره وهذا فن من سماع
الصوفية رضى الله عنهم فقد جاء بعض الاشياخ الى دار مريد له
فدق عليه الباب ولم يكن فى الدار غير المريد فقال المريد من يدق
الباب ما ههنا غيرى فسمع الشيخ قوله ما ههنا غيرى فصعق وخر
مغشيا عليه ولم يشعر المريد بشيء من ذلك فمن قال ان المريد استاذ

شيخه في هذا الباب ثم ضيق عليه وطلبت بنت من ابيها حاجة
يأتي بها من السوق فخرج الاب ليأتي بها فقالت الام لها لم كلفت
اباك فقالت البنت لها وهل عندي غيره فسمع قولها صوفي فخر
مغشيا عليه وبهذا يعلم بطلان كلام ابليس لعنه الله وصحة
ايمانات الصوفية واشار نحوهم رضي الله عنهم والله اعلم وسأله
الفقيه المذكور سؤالا لا يبعد من هذا الباب ونصه ومنها سيدي
ما نقل عن بعض العارفين ان في المخالفة مائة رحمة تعود على المؤمن
ما هي هذه المائة رحمة التي اصلها من غضب الله تعالى وعدله
فما سر انقلابها الى رحمته وفضله فاجاب رضي الله عنه بانه
المراد بهذه المعصية معصية المؤمن العارف بجلال ربه وعظمته فان
صاحب هذه المعرفة لا تصدر منه هذه المعصية الا بحكم غلبة
القدر ولسنا نعني بالعارف خصوص المفتوح عليه بل نعني به من
خلص ايمانه وصفى ايقانه فانه والحالة هذه لا يزايله الخوف من
ربه تبارك وتعالى في حالة الطاعة فكيف بحالة المعصية لان سبب
سكون الخوف في ذاته معرفته بعظيم سطوته سبحانه فاذا فرضنا
دوام هذه المعرفة وانتفاء اضدادها من الغفلة ونحوها فان الخوف
يدوم ويسكن في الذات ولا يفارقه ولو في حالة الطاعة فانه يخاف
ان يكون اتى بالطاعة على وجه يبعده من الله تعالى فترى فرائصه
ترعد من هذا الاحتمال رعدة لا يقر له معها قرار ويعتريه هذا الخوف
قبل الفعل وحين الفعل وبعد الفعل ولا يزال متشوقا لما ينزل
عليه من ربه خائفا من هيبة الربوبية وسطوتها فاذا كان هذا
حاله مع الطاعة فكيف يكون حاله مع المعصية ولقد عصى بعض
المؤمنين ربه عز وجل وعاش بعد تلك المعصية اربعا وعشرين
سنة ولم تمر عليه ساعة في هذه المدة الطويلة الا والدموع تسيل
من عينيه خوفا من تلك المعصية وعصمه الله تبارك وتعالى

ببركة هذا الخوف الناشئ عن تلك المعصية في هذه المدة الطويلة
من موافقة الذنوب واثابه فضلا منه تعالى بمراقبة علام الغيوب
في هذه المدة الطويلة وحصل لهذا العبد بسبب هذه المعصية
على ما لا يحصى من صنوف الرحمات وبالجملة فالمدار على الخوف
الساكن في الذات دائما وسببه دوام المعرفة بسطوة الربوبية
وحصلت هذه المعرفة للذات من الروح والروح من الملأ الاعلى
الذين هم اعلم الخلق بربهم عز وجل فاذا كانت الذات طاهرة فان
الروح تمدها بشيء من معارفها فيربح العبد في سائر احواله
وفي طاعته ومعصيته واذا كانت الذات غير طاهرة فان الروح
تحجب عنها معارفها فتنقطع الذات مع الشهوات وتميل مع اللذات
ويكون هذا هو الساكن فيها والحالة المحمودة تكون عندها بمنزلة
النائم والغالب هو الساكن والحكم للغالب فتصير اعماله لتحصيل
شهواته فيطيع اغراض نفسه ذاته لا لما تقتضيه العبودية من
القيام بحق الربوبية ويعصي لاستيفاء لذاته ولا يبالي فظهر انه
ليس المدار على الطاعة والمعصية بل المدار على الخوف وضده وفي
الحقيقة المدار على المعرفة والجهل والعدد المذكور اعني مائة رحمة
ليس مرادا لخصوصه بل المراد ما اشرنا اليه والله اعلم وبقي للفقيه
المذكور سؤالان فلنوردهما هنا ثم نرجع للمقصود قال الفقيه
المذكور ومنها سيدي قول العارفين ما رايت شيئا الا رايت الله
فيه فكيف يرى القديم في الحادث تعالى الله عن الحلول والاتحاد
وقولهم لا هو عينه ولا هو غيره وفيه رفع للمتناقضين وهو
محال فاجاب رضي الله عنه بان معنى القول الاول ما رايت
شيئا الا رايت فعل الله فيه فهم رضي الله عنهم لقوة عرفانهم
يشاهدون افعاله في المكونات والمخلوقات وما من مخلوق الا
[illegible] لا [illegible] فيه لا استحالة ولا حلول ولا اتحاد وثم اسرار اخرى

لا تفتش ولا تذكر وبالجملة فتحقيق الجواب لا يسطر في الكتاب واما
الكلام الثاني فغير ظاهر فان القديم مباين للحادث والمباين للشيء
لا يكون عينه قطعا وهو مغاير له بلا شك ولا ارتياب فالعينية
مرتفعة والغيرية ثابتة والله الموفق ومنها سيدي هل استحضار
صورة النبي صلى الله عليه وسلم في ذهن المؤمن وتشخصه اياها
هو من عالم الروح او من عالم المثال او من عالم الخيال وهل الصورة
الذهنية وما اشتملت عليه من تعقل المحادثة والمكالمة محفوظ
صاحبها من الشيطان مثل الرؤيا المنامية عملا بقوله صلى الله عليه
وسلم من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يستطيع ان يتمثل بي
او كما قال عليه الصلاة والسلام او هي ليست مثلها اجيبوا
ماجورين وعليكم ازكى تحية وسلام فاجاب رضي الله عنه بان
ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله فمن توجه بفكره اليه
صلى الله عليه وسلم وقعت صورته في ذهنه فان كان ممن يعلم
صورته الكريمة لكونه صحابيا او من العلماء الذين عنوا بالبحث عنها
ثم حصلوها فانها تقع في فكره على نحو ما هي عليه في الخارج وان كان
من غير هذين فانه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خلقه
وخلقه فقد توافق الصورة التي في فكره ما في الخارج وقد تخالفه
والحاضر في الفكر هو صورة ذاته صلى الله عليه وسلم لا صورة
روحه عليه الصلاة والسلام فان الذي شاهده الصحابة رضي
الله عنهم واخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ولا يجول
الفكر الا فيما يعلمه الشخص ويعرفه فقولكم هل هو من عالم الروح
ان اردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح اي من روح المتفكر
وان اردتم به الحاضر اي فهل الحاضر في افكارنا روحه صلى الله عليه
وسلم فقد سبق انه ليس اياها واما المحادثة والمكالمة اذا حصلت
لهذا المتفكر فان كانت ذاته طاهرة وشبها روحه ولم تحجب عنه

اسرارها وكانت معها كالخليل مع خليله فالمحادثة معصومة وهي حق وان كانت الذات على العكس فالامر على العكس والله الموفق انتهت اجوبته رضي الله عنه ونفعنا به آمين وقد ذكرت له رضي الله عنه ذات يوم ان بعض الصالحين كان يذكر مع جماعة من اصحابه ثم ان بعضهم تبدل لونه وتغير حاله وبدل جلسته فقيل له لم فعلت هذا فقال واعلموا ان فيكم رسول الله يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم حضرهم في تلك الساعة وانه شاهد ذلك فقلت للشيخ رضي الله عنه هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل مشاهدة فتح او مشاهدة فكر فقال مشاهدة فكر لا مشاهدة فتح ومشاهدة الفكر وان كانت دون مشاهدة الفتح الا انها لا تقع الا لاهل الايمان الخالص والمحبة الصافية والنية الصادقة وبالجملة فهي لا تقع الا لمن كمل تعلقه بالنبي صلى الله عليه وسلم وكم من واحد تقع له هذه المشاهدة فيظنها مشاهدة فتح وانما هي مشاهدة فكر وهذا القسم الذي تقع له هذه المشاهدة وهو غير مفتوح عليه اذا قيس مع عامة المؤمنين كانوا بالنسبة اليه كالعدم ويكون ايمانهم بالنسبة الى ايمانه كلا شيء والله اعلم قلت ومما يؤيد المشاهدة الفكرية وانها تقع لغير المفتوح عليه كونها تقع لمن كملت محبته في شخص وان كان غير النبي صلى الله عليه وسلم ولقد اخبرني بعض الجزاريين انه مات له ولد كان يحبه كثيرا وانه لم يزل شخصه في فكره حتى ان عقله ورحمه كاد صاحبه فكان هذا دأبه ليلا ونهارا الى ان خرج ذات يوم الى باب الفتوح احد ابواب فاس حرسها الله لشراء الغنم على عادة الجزاريين فجال فكره في امر ولده الميت فبينما هو يجول فكره اذ رآه عيانا وهو قادم اليه حتى وقف الى جنبه قال فكلمته وقلت له يا ولدي خذ هذه الشاة لشاة اشتريتها حتى اشتري اخرى وقد حصلت لي غيبة قليلة عن حسي فلما سمعني من كان قريبا اتكلم مع

الولد قالوا مع من تتكلم انت فلما كلموني رجعت الى حسي وغاب
الولد عن بصري فلم يدر ما حصل في باطني من الوجد عليه الا
الله تبارك وتعالى قلت وسمعت الشيخ رضي الله عنه يقول
ينبغي ان تكون هذه المحبة بين المريد والشيخ فانها نافعة جدا وسمعته
يقول ان اهل هذه المحبة يضرون وينفعون كما يقع ذلك من اهل
التصرف ويقول ان نار المحبة اذا اشتعلت لا يردها شيء وسمعته
رضي الله عنه يقول كان لبعض الاشياخ مريد وكان المريد يحب
الشيخ كثيرا حتى صار الشيخ لا يغيب عن حس المريد وفكره فكان
الشيخ اذا فعل فعلا في داره حاكاه المريد وهو في داره فاذا قال
الشيخ في داره مناديا لابنته يا فاطمة قال المريد في داره يا فاطمة واذا
قال الشيخ افعلوا كذا قال المريد في داره افعلوا كذا واذا جعل الشيخ
يلوي عمامته على راسه اخذ المريد شيئا وجعل يلويه على راسه
هذا دابه في احواله مع حال الشيخ دائما وبهذه المحبة البالغة الى
هذا القدر تقع الوراثة وسمعته رضي الله عنه يقول كان بعض
الناس يعشق بنتا جميلة الصورة فبلغ من محبته فيها انه اذا هتف
شخص باسمها وناداها يا فاطمة يقول العاشق نعم من غير شعور منه
قال رضي الله عنه وقد تواعيت بهذا الامر انا رايته بعيني اذا نودي باسمها
قال نعم وهو لا يشعر فاذا كانت هذه المحبة في الامور الهزلية فكيف
ينبغي ان يكون اهل الجد وقد سمعته رضي الله عنه يقول كان سيدي
منصور رحمه الله تعالى يقول ومن الحجة على من يدعي محبة الله تعالى
ما وقع لبعض اولاد النصارى فانه عشق بنتا لبعض اكابرهم
فلما اجتمع بها ونام معها في فراش واحد وذهب فكره في محاسنها
نظرت الى وجهه فرات فيه زبيبة فارادت قطعها وكانت عندها
سكين وهي مسمومة ولم تشعر بسمها فقطعت تلك الزبيبة وسرى
السم في ذاته فخرجت روحه وهو غائب في محبتها فهذا الكافر بلغ

فى محبته الشيطانية الى ان خرجت روحه وهو لا يشعر فكيف ينبغى
ان تكون حال المؤمنين مع ربهم عز وجل وسمعته رضى الله عنه
يقول ان المحب لا ينتفع بمحبة الكبير له ولو كان الكبير نبيا حتى يكون
الصغير هو الذى يحب الكبير فحينئذ ينتفع بمحبته الا الله تعالى
فانه تعالى اذا احب عبدا نفعته محبته ولو كان العبد فى غاية الاعراض
وقال رضى الله عنه ان الصغير اذا احب الكبير جذب ما فى الكبير
ولا عكس وكانت بين يديه اجاصة فقال ان هذه اذا امدها الله
تعالى بمحبة تفاحة حامضة مثلا وتمكنت فيها المحبة غاية فانها
تنسف ما فيها حتى انا اذا شققناها وجدنا حموضة التفاحة
فيها ولا نجد فى التفاحة شيئا من طعم الاجاصة الا الله تعالى فانه
اذا احبه العبد لا يجذب شيئا من اسراره تعالى ما لم يحبه الله
وسر الفرق هو ان الله تعالى لا يحب عبدا حتى يعرفه به وبالمعرفة
يطلع على اسراره تعالى فيقع له الجذب الى الله تعالى بخلاف معرفة
العبد من غير معرفة له بربه عز وجل فانها لا تقتضى شيئا فقلت
فانهم يقولون ان الشيخ يكون مع مريده فى ذات المريد ويسكن معه
فيها فقال رضى الله عنه ذلك صحيح وهو من المريد لانه اذا قويت
محبته جذب الشيخ حتى يكون على الحالة المذكورة فتصير ذات
المريد مسكنا للشيخ وكل واحد يزين مسكنه يشير الى تاثير الشيخ
فى ذات المريد اذا سكنها وسمعته رضى الله عنه يقول ان المريد
اذا احب الشيخ المحبة الكاملة سكن الشيخ معه فى ذاته ويكون
بمنزلة الحبلى التى تحمل بولدها فان حملها تارة يتم صلاحه فيبقى
على حالة مستقيمة الى ان تضعه وتارة يسقط ولا يجيء منه شيء
وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق والافاقة تختلف فقد يفيق بعد
شهر وقد يفيق بعد عام وقد يفيق لاكثر من ذلك فهكذا حالة
المريد اذا حمل بشيخه فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة

فلا يزال امر الشيخ يظهر فى ذاته الى ان يفتح الله عليه وتارة تكون
محبته منقطعة بعد ان كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض
مانع نسال الله السلامة منه فتتبدل نيته فى الشيخ وتنقطع اسرار
الشيخ عن ذاته بعد ان كانت ساطعة عليها وتارة تقف محبته فى
سيرها ثم تعود الى سيرها المدة قريبة او متوسطة او طويلة فتقف
اسرار ذات الشيخ عن ذاته فاذا رجعت المحبة رجعت الاسرار
فليختبر المريد نفسه من اى قسم هو من هذه الاقسام الثلاثة
وليسال الله تعالى العفو والعافية والتوفيق والهداية انه سميع
قريب قلت وهذه الاقسام موجودة فى المريدين فليحفظ المريد
على هذا الكلام فانه نفيس فى بابه والله اعلم وسمعته رضى الله عنه
يقول لا ينتفع المريد بمحبة شيخه اذا احبه لسره او ولايته او لعلمه
او كرمه او لنحو ذلك من العلل حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ
متوجهة اليها لا لعلة ولا لغرض مثل المحبة التى تكون بين الصبيان
فان بعضهم يحب بعضا من غير اغراض باعثة على المحبة بل مجرد
الالفة لا غير فهذه المحبة ينبغى ان تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهق
محبة المريد الى الاغراض والعلل فانها متى زهقت الى ذلك دخلها
الشيطان واكثر فيها من الوساوس فربما تنقطع وربما تقف كما
سبق فى القسمين الاخيرين والله اعلم وسالته رضى الله عنه لم
كانت المحبة للعلم والولاية والسر ونحو ذلك لا تنفع فقال رضى
الله عنه لان الاسرار والمعارف ونحوها كلها من الله تعالى وكل
واحد يحب الله تعالى فالى الآن ما احب شيخه وانما تتحقق محبته
للشيخ اذا احبه لخصوص ذاته لا لما قام بها من الاسرار فقلت
وكذا ذات الشيخ هى من الله تعالى فكل شئ منه فلم نفعت محبة البعض
دون البعض فقال صدقت وغرضنا بمحبة الذات الكناية عن كون
المحبة خالصة لله تعالى لان الذات بمجردها لا يتصور منها نفع

ولا غيره فاذا توجهت المحبة نحوها كان ذلك علامة على الخلوص
من الشوائب فقلت ان الناس لابد لهم من اغراض وارادات تعرض
حرث بقصد الفضل الحاصل له منه فيصب الحرث للفضل لا للذات فقال
رضي الله عنه نعم ولكنه اذا نوى الفضل وقصده في اول الامر
ثم شغل فكره بغيره بحيث انه لا يبقى له على بال فهذا يحصل له الفضل
الكثير وتجيئه الاصابة العظيمة واما ان شغل فكره بهذا الفضل
ليله ونهاره وجعل يفكر ويقدر كيف يكون وما يفعل به اذا كان
فهذا لا يحصل له فضل بل يركبه الوسواس قبل ان يحصل له الفضل
فلا يزال يقول في نفسه هل ادرك هذا الفضل ولعل الآفة الفلانية
تاتي عليه او يغير عليه بنو فلان ونحو هذا من الوسواس بخلاف
الاول فانه مستريح الفكر في امر الفضل وفي امر الوسواس فهكذا
حال من احب الشيخ لذاته ومن احبه لعلة وكنت اتكلم معه ذات
يوم ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس امنها الله فقال لي ان
سيدي منصورا في راس الدرب تحب ان تلتقي معه وتعرفه فقلت
يا سيدي نعم حبا وكرامة وكيف لا احب ان التقي مع القطب فقال
لي رضي الله عنه اما الآن فلو قدرنا ان اباك وامك والدامن يماثلك
في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا
عددمائة ما نظرت الى واحد منهم انتسغلي وقسمتي وهم عندي
كسائر الناس فاستيقظت من غفلتي وانتبهت من نومتي وعلمت
اني ما جئت بشيء فان المحبة لا تقبل الشركة والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه يقول ان طالب السر من المريد هو ذاته الترابية
ومعطي السر من الشيخ هو ذاته الترابية فاذا كانت الذات الترابية
من المريد تحب الذات الترابية من الشيخ محبة مقصورة عليها امدتها
باسرارها ومعارفها واذا كانت ذات المريد تحب اسرار ذات
الشيخ وزهقت المحبة اليها والى معارفها منعتها الذات الترابية

من مطلوبها ثم لا تقدر لها الروح ولا تميزها على شيء فليجتهد المريد
جهده في محبة ذات شيخه معرضا عن النفع مطلقا ولا حول ولا قوة
الا بالله والله اعلم وسألته رضي الله عنه عن المحبة هل لها من
امارة وعلامة فقال رضي الله عنه لها امارتان الامارة الاولى
ان تكون راحة المريد في ذات شيخه فلا يتفكر الا فيها ولا يجري
الا لها ولا يهتم الا لها ولا يفرح الا بها ولا يحزن الا عليها حتى تكون
حركاته وسكناته سرا وعلانية حضورا وغيبة في مصالح ذات
الشيخ وما يليق بها ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها الامارة الثانية
الادب والتعظيم لجانب شيخه حتى لو قدر ان شيخه في بئر وهو
في صومعة لرأى بعين رأسه انه هو الذي في البئر وان شيخه هو
الذي في الصومعة لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على عقله وقال رضي
الله عنه ان الناس يظنون ان الجميل للشيخ على المريد والجميل في التحقيق
للمريد على الشيخ لانه سبق ان محبة الكبير لا تنفع ومحبة المريد هي
الجاذبة فلولا طهارة ذات المريد وصفاء عقله وقبول نفسه للخير
ومحبته الجاذبة ما قدر الشيخ على شيء ولو كانت محبة الشيخ هي النافعة
لكان كل من تلمذ له يصل ويبلغ ما بلغت الرجال وسمعته رضي الله
عنه يقول علامة كون المريد يحب الشيخ المحبة الصادقة النافعة
ان تقدر زوال الاسرار والخيرات التي في ذات الشيخ حتى تكون ذات
الشيخ مجردة من ذلك كله وتكون كذوات سائر العوام فان بقيت المحبة
على حالها فهي محبة صادقة وان تزحزحت المحبة وزالت بزوال الاسرار
فهي محبة كاذبة والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول علامة
المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون افعال
الشيخ واقواله وجميع احواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد فما
ظهر له وجهه قبله وما لم يظهر له سره وكله الى الله تعالى مع جزمه
بان الشيخ على صواب ومتى جوز ان الشيخ على غير صواب فيما ظهر

له خلاف الصواب فيه فقد سقط على ام راسه ودخل في زمرة
الكاذبين قال رضي الله عنه والشيخ لا يطلب من مريده خدمة
ظاهرية ولا دنيا ينفقها عليه ولا شيا من الاعمال البدنية وانما يطلب
منه هذا الحرف لا غير وهو ان يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق
والمعرفة والبصيرة والقرب من الله عز وجل ويدوم على هذا
الاعتقاد اليوم على اخيه والشهر على اخيه والسنة على اختها فان
وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل ما يخدم به الشيخ بعد ذلك
وان لم يوجد هذا الاعتقاد او وجد ولم يدم فان عرضت فيه الوساوس
فالمريد على غير شيء وكنت ذات يوم معه بقرب باب الحديد احد ابواب
فاس حرسها الله ومعنا بعض الناس وكان يخدم الشيخ كثيرا ويتبهر
له في كل ما يعن ويعرض حتى انه لا يبلغه في ذلك احد من اصحابه
رضي الله عنه فقال له الشيخ رضي الله عنه اتحبني يا فلان لله
عز وجل فقال نعم يا سيدي محبة خالصة لوجه الله الكريم لا رياء
فيها ولا سمعة فتغير في ذلك حين سمعته فقال له الشيخ افرايت
ان سمعت اني سلبت وزالت الاسرار التي في ذاتي اتبقى على محبتك
قال نعم فقال الشيخ فان قالوا لك اني رجعت طراحا وزبالا او نحو
ذلك اتبقى على محبتك قال نعم يا سيدي قال الشيخ فان قالوا لك اني
رجعت عاصيا ارتكب المخالفات ولا ابالي اتبقى على محبتك قال نعم
قال الشيخ وان مرت علي وانا على ذلك سنة ثم سنة ثم سنة الى
ان عد عشرين سنة قال نعم ولا يدخلني شك ولا ارتياب فقلت
للرجل ويحك ان هذا امر لا تطيقه فقال له الشيخ اني ساختبرك
فقلت للرجل ويحك هذا اول الخوف عليك وكيف يطيق الاعمى
ان يختبره البصير فطلب من الشيخ العفو والعافية واعترف له
بالعجز والتقصير وانا معك في ذلك ثم تضرعنا اليه جميعا في الاقالة
والعفو فسبق ما سبق الى ان اختبره بامر فيه صلاحه فلم يظهر

له وجهه فلم يطقه فتبدلت نيته في الشيخ رضي الله عنه قلت
وسر الله لا يطيقه الا من كان غافرا صحيحا بان يكون صحيح الجزم فاذا
الجزم ماضي الاعتقاد لا يصغي لاحد من العباد وقد صلى علي من عدا
شيخه صلاته على الجنازة ولنثبت في هذا الباب حكايات ليعتبر
بها من اراد صلاح نفسه بعد تقديم كلام سمعته من الشيخ رضي
الله عنه كالمقدمة للحكايات سمعته رضي الله عنه يقول كنت
قبل ان يفتح علي اشاهد صورة هائلة سوداء طويلة جدا على صورة
جمل وقع لي هذا مرة واحدة فلما فتح علي وشاهدت من عوالم زحل
ما قدر لي فتشت عن عالم الصورة الهائلة وطلبت جنسها
في اي موضع هو فما رايت له خبرا فسالت سيدي محمد بن عبد الكريم
رضي الله عنه عن ذلك فاخبرني انه لا وجود لجنس تلك الصورة
اصلا فقلت له واي شيء شاهدت فقال ذلك من فعل الروح
اعني روح ذاتك فقلت له وكيف ذلك فقال ان الذات اذا جعلت
الشيء بين عينيها وجزمت به ساعفتها الروح في ايجاد الصورة التي
جزمت بها وجعلت تخاف منها فتساعفها الروح في ايجادها ولو
كان فيها ضرر الذات قال وجزم الذات لا يقوم له شيء لا في جانب
الخير ولا في جانب الشر قال سيدي محمد بن عبد الكريم وكنت قبل
الفتح مررت بموضع فعرض لي بحر في الطريق لا يقطع الا بالسفن
وهو من البحور التي على وجه الارض فحصل لي في الذات جزم عظيم
باني امشي عليه ولا اغرق ولا يصيبني شيء قال فوضعت رجلي
على ظهر الماء والجزم يتزايد فلم ازل امشي فوقه حتى قطعت الساحل
الآخر فلما رجعت مرة اخرى وزال الجزم من ذاتي وجعلت اشك
في المشي عليه فادليت رجلي لاختبر فغرقت في الماء فاخرجتها وعلمت
اني لا اطيق مشيا عليه قال الشيخ رضي الله عنه وما دامت الذات
جازمة بالشيخ فان الشيطان لا يقربها وانما يقربها اذا ذهب الجزم

منها وهو يعلم بذهابه لانه يجري من ابن آدم مجرى الدم فاذا رآه ذهب اقبل عليها بالوساويس حتى يفوتها الخير قال رضي الله عنه فالحزم مثل سور المدينة الحصين فمتى كان للمدينة سور فلا يطمع فيه العدو ومتى حصل في السور خلل وظهرت فيه ابواب وفرج بادر العدو للدخول فحيث الشيطان ووسوسته تابع لعيب سور الذات الذي هو الحزم فليبادر كل عاقل لصلاح سور ذاته حتى لا يقربه شيطان ولا يستفزه انسان ومن هذا المعنى سمعته رضي الله عنه مرة يقول اذا وعد الصادق احدا بشيء من امور الآخرة او الدنيا فان كان في وقت سماعه الوعد ساكنا مطمئنا جازما بصدق الوعد فهو علامة على انه يدرك ذلك الشيء لا محالة وان كان في وقت سماعه للوعد مضطربا مرتابا في صدق الوعد فهو علامة على انه لا يدرك ذلك الشيء فالحزم علامة اهل الصدق والتحقيق نسال الله تعالى بمنه وفضله ان يرزقنا ذلك ويتولى امرنا وأما الحكايات فمنها ما سمعت من الشيخ رضي الله عنه يقول كان بعض من اراد الله رحمته في الماضين يحب الصالحين فالقى الله في قلبه ان خرج من ماله فباعه وجمع ثمنه فذهب لبعض من شهر عند الناس بالصلاح وكانت تقصده الوفود من النواحي فذهب اليه هذا المرحوم بجملة ماله حتى بلغ بلده فسأل عن داره فدل عليها فدق الباب فخرج الخادم فقال ما اسمك فقال عبد العلي وكان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة المسرفين على نفوسهم وكان له نديم يتعاطى معه الشراب وغيره اسمه عبد العلي فوافق اسمه اسم هذا المرحوم فذهبت الجارية فقالت للشيخ اسم هذا الذي دق الباب عبد العلي فقال وظن انه نديمه ائذني له فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه وامرأة فاجرة معه ورزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كله فتقدم اليه فقال يا سيدي سمعت

بك من بلادى وجئتك قاصد التدلنى على الله عز وجل وهذا مالى
اتيتك به لله تعالى فقال له الشيخ يتقبل الله منكم ثم امر الجارية ان
تدفع له رغيفا فاخذه واعطاه الفاس وامره بالخدمة فى بستان
للشيخ عينه له فذهب ذلك المرحوم من ساعته ونفسه مطمئنة
وقلبه مسرور بقبول الشيخ له فذهب فرحا للخدمة وقد لقى
نصبا من سفره للشيخ وما استراح حتى بلغ البستان وجعل يخدم
بفرح وسرور ونشاط نفس فكان من قدر الله عز وجل وحسن
جميله بذلك المرحوم ان صادف مجيئه للشيخ الكذاب المسرف
وفاة رجل من اكابر العارفين وكان من اهل الديوان فحضر وفاته
الغوث والاقطاب السبعة فقالوا له ياسيدى فلان كم مرة ونحن
نقول لك اهبط الى مدينة من مدن الاسلام فعسى ان نلقى من
يرثك فى سرك ولم تساعدنا فالآن حانت وفاتك فيضيع سرك
وتبقى بلاد وارث فقال لهم ياسادتى قد ساق الله الى من يرثنى
وانا فى موضعى فقالوا له ومن هو فقال عبد العلى الذى وفد على
فلان المبطل فانظروا الى حسن سريرته مع الله عز وجل والى
تمام صدقه ورسوخ خاطره ونفوذ عزمه وصلابة جزمه فانه
رأى ما رأى ولم يتزلزل له خاطر ولا تحرك له وسواس فهل سمعتم
بمثل هذا الصفاء الذى فى ذاته افتوافقون على ارثه فقالوا نعم
فخرجت روح الولى واتصل سيدى عبد العلى بالسر واثابه الله
عز وجل على حسن نيته فوقع له الفتح وعلم من اين جاءته الرحمة وان
الشيخ الذى وفد عليه مسرف كذاب وان الله تعالى رحمه بسبب
نيته لا غير والله الموفق ومنها ما سمعته من الشيخ رضى الله
عنه قال كان لبعض المشايخ مريد صادق فاراد ان يمتحن صدقه
يوما فقال له يا فلان اتحبنى قال نعم يا سيدى فقال له من تحب
اكثر انا او ابوك فقال انت ياسيدى فقال افرأيت ان امرتك

ان تاتينى براس ابيك انطيعنى قال ياسيدى فكيف لا اطيعك
ولكن الساعة ترى فذهب من حينه وكان ذلك بعد ان رقد الناس
فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على ابيه وامه فى
منزلهما فوجد اباه يقضى حاجته من امه فلم يمهله حتى يفرغ من
حاجته ولكن برك عليه وهو فوق امه فقطع راسه واتى به للشيخ
وطرحه بين يديه فقال له ويحك اتيتنى براس ابيك فقال ياسيدى
نعم ما هو هذا فقال له ويحك انما كنت مازحا فقال له المريد اما انا
فكل كلامك عندى لا هزل فيه فقال له الشيخ رضى الله عنه انظر
هل هو راس ابيك فنظر المريد فاذا هو ليس براس ابيه فقال له
الشيخ راس من هو فقال له راس فلان العلج قال وكان اهل مدينتهم
يتخذون العلوج كثيرا بمنزلة العبيد السود ايين قال وكان ابوه
غاب تلك الليلة فخانته زوجته فى الفراش وعدت على كافرا
ومكنته من نفسها وكوشف الشيخ رضى الله عنه بذلك فارسل
المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم انه جبل
من الجبال فكان وارث سره والمستولى بعده على فتحه والله الموفق
ومنها انى سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول جاء بعض المريدين
لشيخ عارف فقال له ياسيدى القبول لله عز وجل فقال نعم
فامره بالمقام عنده والعكوف على خدمته واعطاه مساحة
فى راسها كورة حديد زائدة لا نفع فيها الا تثقيل المساحة وكان
المريد هو وارث الشيخ بشرط ان لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة
فان انتبه وقال ما فائدتها ولاى شئ تصلح ولا معنى لها الا
التثقيل فانه لا يرث منه شيئا قال رضى الله عنه فبقى فى خدمته
سبع سنين وهو يخدم بالفاس ولا تحرك له عرق وسواس
ولا هزته هواصف رياح الشيطان وصارت الكورة المذكورة
بمنزلة العدم الذى لا يرى ولا يسمع فهذه حالة الصادقين

الموفقين

الموفقين رضي الله عنهم والله تعالى الموفق وسمعته رضي الله عنه يقول كان لبعض العارفين بالله عز وجل مريد صادق وكان هو وارث سره فاشهده الله تعالى من شيخه امورا كثيرة منكرة ومع ذلك فلم يتحرك له وسواس فلما مات شيخه وفتح الله عليه شاهد تلك الامور وعلم ان الصواب مع الشيخ فيها وليس فيها ما ينكر شرعا الا انها اشتبهت عليه فمن ذلك ان امراة كانت من جيران الشيخ وكانت تذكر بالسوء وكان المريد يعرف شخصها وكان للشيخ امراة على صورتها وكان المريد لا يعرفها وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت وكان المريد لا يبلغ اليه وانما يقف بالباب فاتفق ان دخلت المراة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت للدار واتفق ان خرجت امراة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان الشيخ ارسل اليها ليقضي حاجته منها فدخلت وقام اليها الشيخ ومرت الشبيهة بها نحو البيوت فرمى المريد ببصره الى الخلوة فراى المراة مع الشيخ وهو يقضي حاجته منها فما شك انها المشهورة بالسوء وربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان ثم خرجت المراة وجاءت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد ان الشيخ تيمم من غير ضرر وربط الله على قلب المريد وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء الفلنيص عصروه واتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك انه ماء خمر وربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس فلما فتح الله عليه علم ان المراة التي وطئها الشيخ امراته لا المراة المشهورة بالسوء وعلم ان التيمم الذي فعله الشيخ لضرر كان بجسده وعلم ان الماء الذي شربه الشيخ ماء فلنيص لا ماء خمر والله الموفق وسمعته رضي

الله عنه يقول كان لبعض المريدين اخ في الله عز وجل فمات ذلك الاخ
وبقي المريد فجعل اذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين اولاده وبين اولاد
الاخ في الله وكان لهذا المريد ارض مع اخوانه فبيعت عليهم من جانب
الخوين ظلما فلما اخذ واثمنها كان نصيب المريد منها اربعين مثقالا فسكت
زمانا فقال له اخوانه ما تفعل بدراهمك فقال اقسمها بيني وبين
اولاد اخي في الله فاستحمقوه وقالوا اما لابنا مثلك في نقصان
العقل تسبب بدراهمك واشتر بها كذا واصنع بها كذا واترك
عليك هذه الحماقة التي انت مشتغل بها فارادت نفسه ان تميل
الى قولهم فقال لها يا نفسي ما تقولي لله عز وجل اذا وقفت بين
يديه غدا حين يقول لي رزقتك اربعين مثقالا فاستاثرت بها
وضيعت حق الاخوة فاليوم اضيعك كما ضيعتها فوفقه الله فقسم
الدراهم بينه وبين اولاد اخيه في الله فلما خرج من عندهم فتح الله
عليه واعطاه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وجعله من العارفين لصدق نيته ولمصادقة عزمه ونفوذ
جزمه والله الموفق وسمعت من غير الشيخ رضي الله عنه ان
بعض الاكابر كان له عدة اصحاب وكان لا يتخيل النجابة الا من واحد
منهم فاراد ان يختبرهم يوما فاختبرهم فتزلزلوا كلهم سوى ذلك الواحد
وذلك انه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فاظهر لهم صورة
امراة جاءته فدخلت الخلوة فقام الشيخ ودخل معها فايقنوا ان
الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم وخسرت نيتهم الا
ذلك الواحد فانه ذهب واتى بالماء وجعل يسخنه بقصد ان يغتسل
به الشيخ فخرج عليه الشيخ فقال ما هذا الذي تفعل فقال رايت
المراة قد دخلت فقلت لعلك تحتاج الى غسل فسخنت لك الماء
فقال له الشيخ وتتبعني بعد ان رايتني على المعصية فقال ولم
لا انبياء والمعصية لا تستحيل عليك وانما تستحيل في حق الانبياء

عليهم الصلاة والسلام ولم اخاطبك على انك نبي لا تعصى وانما اظنك
على انك بشر وانك اعرف مني بالطريق ومعرفتك بالطريق باقية
فيك فالوصف الذى عرفتك عليه لم يزل فلا تبدو لى نية ولا يتحرك
خاطر فقال له الشيخ يا ولدى تلك الدنيا تصورت بصورة امراة
وانا فعلت ذلك عمدا لينقطع عني اولئك القوم فادخل يا ولدى
وفقك الله معي الى الخلوة فهل ترى امراة فيها فدخل فلم يجد امراة
فازداد محبة على محبته والله الموفق ورايت فى كتاب محيي الدين
تلميذ تاج الدين الذاكر المصري رحمهما الله ان رجلا جاء الى بعض
الاكابر فقال له يا سيدى اريد منكم ان تعطونى السر الذى خصكم
الله به فقال الشيخ انك لا تطيق ذلك فقال المريد اطيقه واقدر
عليه فامتحنه الشيخ بامر سقط منه على ام راسه نسال الله
السلامة وذلك انه كان عند الشيخ مريد شاب حدث ابوه من
الاكابر فلما قال ذلك المريد انا اطيق السر قال له الشيخ انى ساعطيك
ان شاء الله السر فاقم بالمقام عنده ثم ان الشيخ امر الشاب الحدث
بالاختفاء فى مكان بحيث لا يظهر لاحد ثم ادخل الشيخ خلوته
كبشا فذبحه وجعل على ثيابه شيئا من الدم فخرج على المريد السابق
والسكين فى يده والدم يسيل على يده وهو فى صورة الغضبان
فقال المريد ما عندكم يا سيدى فقال ان الشاب الفلانى اغضبني
فما ملكت نفسي ان ذبحته فها هو فى ذلك المكان مذبوح يشير
الى الخلوة التى ذبح فيها الكبش فان اردت السر يا ولدى فاكتم
هذا الامر ولا تذكره لاحد وان سالنى عنه ابوه فانى اقول له مرض
ولدك ومات فانه يصدقنى ويحصل فى المسئلة لطف فعساك
يا ولدى تساعفنى على هذا الامر وتستر فيه فان فعلت فانا
اعطيك السر ان شاء الله تعالى فقال المريد وقد تمعر وجهه
وظهر غيظه حيث ظن ان الشيخ فى قبضته سافعل بكلام يظهر

منه الكذب ففارق الشيخ وذهب سريعا الى والد الشاب واعلمه
بالقصة وقال له ان الشيخ الكذاب الذى كنتم تعتقدون فيه الخير
قتل ولدكم فى هذه الساعة وجعل يرغبنى ان استره ويطلب منى
ان اكتمه عنكم وان شككتم فى الامر فاذهبوا معى الساعة فانكم
تجدون ولدكم يتشحط فى دمه فقال له الناس ويحك فان سيدى
فلانا لا يفعل هذا ولعل الامر شبه عليك فقال امرا اذهبوا معى
حتى يظهر صدقى او كذبى ففشا قوله فى الناس وسمع به ارباب
الدولة فاقبلوا الى الشيخ سراعا والمريد امامهم حتى وقفوا على
خلوة الشيخ فقرعوا الباب فخرج الشيخ وقال لهم مالكم واى شئ
اقدمكم فقالوا له الا تسمع ما يقول هذا يشيرون الى المريد فقال له
له الشيخ واى شئ اقدمكم فقالوا الا تسمع ما يقول هذا يشيرون
الى المريد فقال له الشيخ واى شئ كان فقال له المريد الذى كنت
ترغبنى فيه وتطلب منى كتمانه هو الذى كان فقال الشيخ ماوقع
بينى وبينك شئ وما كلمتك قط فقال المريد الكذب لا ينجيك
قد قتلت ولد الناس فتزاحم الناس على الشيخ من كل ناحية قتلت
ولد الناس فالآن نقتلك يا عدو الله تغش الناس بعبادتك
وتخدعهم بخلوتك فقال الشيخ سلوه من اين علم بانى قتلته
فقال المريد الم تخرج علىّ واثر الدم على يديك وثوبك فقال الشيخ
نعم وقد ذبحت شاة فقال المريد فلندخل الى الخلوة ان كنت
صادقا فدخلوا فوجدوا شاة مذبوحة فقال المريد انما اخفيت
القتيل واظهرت هذه الشاة فى موضعه لئلا تقتل به فقال
الشيخ ارايت ان اخرج الشاب ولا باس عليه اتقر انك من
الكاذبين الذين لا يفلحون فقال المريد فاخرجه ان كنت صادقا
فارسل الشيخ الى الفتى فخرج ولا علم عنده بما وقع فلما رآه الناس
تضرعوا الى الشيخ وجعلوا يسبون المريد الكاذب وعند ذلك قال

له الشيخ الست تزعم يا كذاب انك تطيق السر وتتقدم عليه فما
بالك لم تتقدم على كتم هذا الامر الذى لم يكن منه شيء وانما صنعنا
معك هذا الدواك انك تطيق السر فاذهب فقد اعطيناك السر
الذى يليق بامثالك فكان ذلك المريد من يومه ذلك موعظة
للمعتبرين ونكالا للمدعين الكاذبين نسال الله حسن التوفيق ووقع
لرجل آخر حكاية عجيبة وذلك انه كان شيخ ركب الحجيج وكان من
بلاد المغرب وكان يتمنى كثيرا بلقاء الصالحين ويحبهم ويفتش على
الذى يربح على يديه فكان هذا دأبه اذا طلع الى المشرق واذا رجع
فالتقى بمصر مع بعض الصالحين فاعطاه امانة وقال له الرجل
الذى يطلبها منك هو صاحبك فما زال يطوف على الصالحين
الذين يعرفهم واحدا واحدا حتى قدم لبلده ودخل داره وبقى
ماشاء الله فلقيه ذات يوم جاره فقال له اين الامانة التى اعطاك
فلان بمصر فعلم ان جاره هو صاحب الوقت فسقط على رجله يقبلها
ويقول يا سيدى كيف تخفون انفسكم على وما تركت صالحا يشار
اليه بالمشرق والمغرب الا اتيته وانتم جيرانى واقرب الناس الى
ثم طلب منه السر الذى خصه الله به فقال له الشيخ هذا امر
لا تطيقه فقال بل اطيقه يا سيدى فقال الشيخ فان كنت تطيقه
فاعمل بشرطى فقال وما شرطك يا سيدى فقال الشيخ شرط لا كبير
ضرر عليك فيه هو ان تحلق لحيتك الطويلة هذه فقال له يا سيدى
كيف يسوغ لى ذلك وبها اهاب واعظم فى طريق المشرق فقال
الشيخ فان اردت السر فافعل ما اقول لك فقال له يا سيدى هذا
امر لا اطيقه فقال له الشيخ وما بقى لك على ذنب حيث لم تقبل
شرطى ففارقه فلما مات الشيخ وفاته ما فاته ندم وقال لو كان
عقلى اليوم عندى فى زمان الشيخ لفعلت ما قال وندمت عليه
وسمعت من بعض الثقات ممن كان يرى النبى صلى الله عليه وسلم

في اليقظة وكان يشم رائحة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
من مدينة فاس قال كنت مع بعض الاولياء ليلة الجمعة في جامع
الاندلس بمحروسة فاس امنها الله فلما صليت الجمعة وخرجت
من الجامع فاذا برجل يقبل يد ذلك الولي ويقول يا سيدي اني
احبك لله عز وجل فقال له الولي وقد نظر فيه نظرة منكرة الم
تعلم ان الله يعلم السر واخفى يعني فهلا اكتفيت بعلم الله وحسن
جزائه فذهب الولي وجعل الذي ادعى المحبة يبكي مما سمعه من
الولي فتقدمت اليه وقلت يا هذا انك قد ادعيت امرا عظيما
ولابد للشيخ ان يختبرك فكن رجلا والا فهو الفراق بينك وبين
الشيخ قال وكان جار الشيخ في بعض بساتينه وكانت شجرة تبع
للشيخ في الحدود فكان ذلك المدعي يجنيها كل عام والشيخ يتسير
ويعفو ويصفح ويحسن جواره فلما ادعى المحبة اسقط عنه كلفة
التحمل وقال له ان الشجرة شجرتي لا شيء لك فيها فانكره المدعي
وقال هي لي فقام الشيخ معه على ساق الجد في النزاع والخصام
حتى سمعت ذلك المدعي يسب الشيخ رضي الله عنه وسمعت
هذا الرجل يقول ذهبنا الى الحج فلما زرت قبر النبي صلى الله عليه
وسلم اخذتني حالة وقلت يا رسول الله ما ظننت اني اصل
الى مدينتكم ثم ارجع الى فاس فسمعت صوتا من قبل القبر الشريف
وهو يقول ان كنت محزونا في هذا القبر فمن جاء منكم فليبق هاهنا
وان كنت مع امتي حيثما كانت فارجعوا الى بلادكم قال فرجعت
الى بلادي والله تعالى الموفق وسمعت الشيخ رضي الله عنه
يقول كان بعض الشيوخ المجاذيب يظهر مخالفة ليفر عنه
الناس حتى انه اراق على ثوبه ذات يوم خمرا فجعل الناس
يشمون منه رائحة الخمر ويفرون منه ولم يبق معه الا وارث
سره فقال فقلت هذا احمد الفرعني هؤلاء النمل يشير الى كثرة

الناس الذين كانوا يتيممونه فانه لاحاجة لى فيهم والحاجة انما هى
بك وحدك والله الموفق وسمعته رضى الله عنه يقول جاء رجل
الى بعض الاولياء وجعل يتامله ويصعد فيه النظر حتى تامله من
راسه الى رجليه فقال له الولى ما مرادك قال ياسيدى هذه غنيمتى
اردت ان تنظر الى ذاتك لتتشفع فيها غدا بين يدى الله قال الشيخ
رضى الله عنه ففرح ذلك الرجل فرحا كبيرا وكان رضى الله عنه اذا
ذكر هذه الحكاية يقول الناس يا قوت فى هذه الامة والحمد لله والله
الموفق وسمعته رضى الله عنه يقول جاء بعض الصادقين الى
من يعتقد فيه الخير فقال له انى احبك فى الله عز وجل فقال له
الشيخ وكان ذلك عند صلاة الصبح فان اردت ان ترخ فلا ترجع
الى دارك ابدا واذهب الى بلاد المشرق قال فامتثل ولم يحال لف
فرجع دنيا واخرى والله الموفق وسمعته رضى الله عنه يقول
ان الذين الفوا فى كرامات الاولياء رضى الله عنهم وان نفعوا الناس
من حيث التعريف بالاولياء فقد اضروا بهم كثيرا من حيث اقتصروا
على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئا من الامور الفانية التى تقع من
الاولياء الذين لهم تلك الكرامات حتى ان الواقف على كلامهم اذا رآى
كرامة على كرامة وتصرفا على تصرف وكشفا على كشف توهم ان الولى
لا يعجز فى امر يطلب فيه ولا يصدر منه شئ من المخالفات ولو ظاهرا
فيقع فى جهل عظيم لانه يظن ان الولى موصوف بوصف من اوصاف
الربوبية وهو انه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز وبوصف من اوصاف
النبوة وهو العصمة والامر الاول من خصائص الربوبية ولم يعطه
الله تعالى لرسله الكرام فكيف بالاولياء قال الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون وقال انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء
وقال صلى الله عليه وسلم سالت ربى عز وجل اثنين فاعطانيهما

وسالته اثنين فمنعنيهما قال تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم فقلت اعوذ بوجهك فقال قد فعلت او من تحت
ارجلكم فقلت اعوذ بوجهك فقال قد فعلت او يلبسكم شيعا
فقلت اعوذ بوجهك فقال سبق القضاء ويذيق بعضكم باس بعض
فقلت اعوذ بوجهك فقال سبق القضاء وقال تعالى في سؤال نوح
نجاة ابنه من الغرق ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وقال تعالى وضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا والناس اليوم اذا راوا وليا دعا فلم يستجب له او راوا
ولده على غير طريق وامراته لا تتقي الله قالوا ليس بولي اذ لو كان
وليا لاستجاب الله دعاءه ولو كان وليا لاصلح اهل داره ويظنون
ان الولي يصلح غيره وهو لا يقدر على اصلاح نفسه قال تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكي من يشاء واما الامر الثاني وهو العصمة فهو من خصائص النبوة
والولاية لا تزاحم النبوة قال رضي الله عنه والخير الذي يظهر على
يد الولي انما هو من بركته صلى الله عليه وسلم اذ الايمان الذي هو
السبب في ذلك الخير انما وصل اليه بواسطة النبي صلى الله عليه
وسلم اما ذات الولي فانها كسائر الذوات بخلاف الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فانهم جبلوا على العصمة وفطروا على معرفة الله تعالى
وتقواه بحيث انهم لا يحتاجون الى شرع يتبعونه ولا الى معلم
يستفيدون منه والحق الساكن في ذواتهم وهو عرف النبوة الذي
طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم قال رضي
الله عنه ولو ان الناس الذين الفوا في الكرامات قصدوا الى شرح حال

الولى الذى وقع التاليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الامور الباقية الصالحة والامور الفانية لعلم الناس الاولياء على الحقيقة فيعلمون ان الولى يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له ويريد الامر فتارة يقضى وتارة لا يقضى كما وقع للانبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ويزيد الولى بانه تارة تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس وانما امتاز الولى عنهم بامر واحد وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف وبعض من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة ان ظهرت عليه فانما هى بحسب ما يظهر لنا لا فى الحقيقة لان المشاهدة التى هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعا لا ينتهى الى حد العصمة حتى تزاحم الولاية النبوة فان المنع من المعصية ذاتى فى الانبياء عرضى فى الاولياء فيمكن زواله فى الاولياء ولا يمكن زواله فى الانبياء وسره ما سبق وهو ان خير الانبياء من ذواتهم وخير الاولياء من غير ذواتهم فعصمة الانبياء ذاتية وعصمة الاولياء عرضية فان العارف الكامل اذا وقعت منه مخالفة فهى صورية لا حقيقية قصد بها امتحان من شاهدها واختباره ولذلك اسرار فنطلب من الله تعالى ان يوفقنا للايمان باوليائه كما وفقنا للايمان بانبيائه عليهم الصلاة والسلام قال رضى الله عنه ومن علم سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى اكله وشربه ونومه ويقظته وجميع احواله فى بيته وعلم سيرته فى حروبه وغزواته وكيف يدال له مرة ويدال عليه اخرى وكيف يطلب منه اناس قوما من اصحابه ثم يذهبون ويغدرون بهم كما فى غزوة الرجيع وغزوة بئر معونة وعلم ما وقع فى قصة الحديبية وغيرها ولذلك اسرار ربانية اطلع الله تعالى عليها نبينا صلى الله عليه وسلم هانت عليه معرفة الاولياء ولا يستنكر ما يراه على ظاهرهم من الامور الفانية والاوصاف البشرية

فعلى العاقل الذى يحب الخير ويحب اهله ان يكثر من مطالعة سيرته
صلى الله عليه وسلم فانه يهديه ذلك الى معرفة الاولياء العارفين
ولا يشكل عليه شيئ من امورهم وهذا القدر هو الذى يمكن ان يبينه
القلم والعاقل اللبيب تكفيه الاشارة والله الموفق وسمعته رضى
الله عنه يقول ان الرجل قد يسمع بالولى فى بلاد بعيدة فيصوره
فى نفسه على صورة تطابق الكرامات التى تنقل عنه فاذا وجده
على غير تلك الصورة التى سبقت فى ذهنه وقع له شك فى كونه
هو ذلك الولى ثم ذكر رضى الله عنه ان رجلا من الجزائر سمع بولى
فى فاس ونقلت اليه عنه كرامات كثيرة فصوره فى نفسه فى صورة
شيخ كبير له هيبة عظيمة فارتحل اليه لينال من اسراره فلما وصل
مدينة فاس سال عن دار ذلك الولى فدل عليها وكان يظن ان
لذلك الولى بوابين يقفون على باب داره فدق الباب فخرج الولى
فقال القاصد ياسيدى اريد منكم ان تشاوروا على سيدى
الشيخ وظن ان الخارج اليه بواب فقال له الولى الذى قصدته من
بلادك وسرت اليه مسيرة شهر او اكثر هو انا لا غير فقال ياسيدى
انا رجل غريب وجئت الى الشيخ بشوق عظيم فدلنى عليه يرحمك
الله وذلك انه نظر الى الولى فلم يجد عليه اشارة ولا صورة عظيمة
فقال له الولى يامسكين انا هو الذى تريد فقال القاصد انا اقول
لكم انى غريب وطلبت منكم ان تدلونى على الشيخ وانتم تسخرون
بى فقال له الولى الله بيننا ان سخرت بكم فقال له القاصد الله
حسبك وانصرف حيث وجده على غير الصورة التى صورها فى
فكره قلت وكم واحد سقط من هذا السبب فانه اذا طالع الكتب
المؤلفة فى كرامات الاولياء صور الولى على نحو ما سمع فى تلك الكتب
فاذا عرض تلك الصورة على اولياء زمانه شك فيهم اجمعين
لما يشاهد فيهم من الاوصاف التى لا تكتب فى الكتب ولو انه شاهد

الاولياء الذين دونت كراماتهم قبل تدوينها لو وجد فيهم من
الاوصاف ما انكره على اهل زمانه وقد يبلغ الجهل باقوام الى انكار
الولاية عن كل موجود من اهل زمانهم لما استحكم في عقولهم من
حصر الولاية وتحقيقها بالضوابط فاذا نزل تلك الضوابط على موجود
من اهل زمانه وجدها لا تنطابقه فينفي الولاية عنه ويصير حاصله
انه يؤمن بولي كلي لا وجود له في الخارج ولم يدر ان الولاية هي مجرد
اصطفاء من الله تعالى لعبده ولا يقدر على ضبطها مخلوق من
المخلوقات وقد وقع لبعض الفقهاء من اهل العصر معنا حكاية
في هذا المعنى وذلك انه اتاني ببعض كتب القوم وهو يذكر فيه
شروط الولاية وضوابطها وكيف ينبغي ان يكون الولي الذي يشيخ
فقال لي اردت منكم ان تسمعوا مني ما ذكره في هذا الكتاب في الولاية
وشروط الولي وقد فهمت اشارته وانه اراد الانكار على بعض من
يشار اليه بالولاية فاراد ان يقرا علي ما في الكتاب فاذا اسلته الزمني
بما في باطنه من الانكار والاعتراض على اولياء الله عز وجل
فقلت له لا تقرا علي ما في الكتاب حتى تجيبني عن سؤال فاذا اجبتني
عنه فاقرا ما شئت اخبرني هل مؤلف هذا الكتاب احاط بخزائن
الله وعطائه وملكه العظيم او هو كما قال الخضر لموسى عليهما السلام
ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور بنقرته
من البحر فان قلتم احاط بملك الله وخزائنه فقولوه حتى اسمعه
منكم فقال الفقيه معاذ الله ان نقول ذلك وان قلتم هو كما
قال الخضر لموسى عليهما السلام فالسكوت خير له فان مثاله كنملة
لها عش صغير تاوي اليه وتسكن فيه فخرجت منه فوجدت حبة
قمح ففرحت بها وادخلتها الى مسكنها وحملها الفرح على ان جعلت
تصيح وتنادي يا جميع النمل لا ماوى الا ما عندي ولا خير الا ما انا
فيه فقلت له انها تتعب حلقها وتوجع راسها بلا فائدة فان من

علمه من علم الله كنقرة العصفور من البحر كيف يصح منه ان يقطع
على المولى الكريم ويقول انه لا يرحم هذا ولا يفتح على هذا وليس
هذا من الاولياء وضوابط الولاية لا تصدق على هذا ولا تنطابق
واذا كان الله تعالى يرحم العبد على الكفر فيعطيه الايمان ثم يفتح
عليه من ساعته فاى قاعدة تبقى للولاية ح واذا قيل لك عن
السلطان الحادث العاجز المولى على الناس انه اعتق عبده الفلانى
ومنح الحر الفلانى وخلع اليهودى الفلانى كذا وكذا فانك لا تستبعد
لانك تعتقد انه لا منازع له فى ملكه واذا كنت تعتقد هذا فى الملك
الحادث فكيف تمنع الملك القديم سبحانه من ذلك بضوابطك
وقواعدك وانك تعتقد انه فعال لما يريد وانه غالب على امره
فقال الفقيه هذا الذى قلتم صواب والله إنه لحق وطوى كتابه
وقال ان قلنا ان هؤلاء المؤلفين احاطوا بعلم الله فبئس ما قلنا
وان قلنا انهم لم يحيطوا بالنزر منه فلا ينبغى لنا ان نحجر على الله
بقواعدهم فلو سكتوا لكان خيرا لهم والمهدى من هداه الله وكم من
مهدى هدى قبل ان تكون هذه القواعد والضوابط والله الموفق
ووقعت لى مناظرة اخرى مع بعض الفقراء المنتسبين الى خدمة
الصالحين رضى الله عنهم وذلك انى كنت انا وهو نختلف الى بعض
الاولياء كثيرا فلما مات ذلك الولى جعلت اختلف الى ولى آخر
وبقى هو فى زاوية الاول فلقينى ذات يوم فقال اردت نصيحتك
يا فلان فقلت حبا وكرامة وعلى الراس والعين وقد فهمت مراده
فقال انك كنت اولا مع سيدى فلان وكانت ولايته لا يشك
فيها اثنان وقد ذهبت اليوم الى غيره فانت بمثابة من ترك
الجواهر واليواقيت واستبدلها بالاحجار فقلت انت تتكلم عن
بصيرة او عن غير بصيرة فان كان كلامك عن بصيرة فاذكرها
لنا حتى نذكر لك ما عندنا وان كان كلامك عن غير بصيرة فاذكر

دليله فقال لى ظاهر مثل الشمس فقلت له فان قال لك قائل ان كلامك هذا يبعدك من الله ويقربك من الشيطان فقلت له فما دليلك فقال لك ظاهر مثل الشمس فبم تجيبه فسكت ولم يدر ما يقول ثم قلت له انى فكرت فى دليلك وجلت بخاطرى فى برهانك فلم اجد لك دليلا الا امرا واحدا فقال لى وما هو فقلت انك تزعم انك شريك لله فى ملكه بحيث لا يعطى شيئا ولا يفتح على عبد الا باذنك والفتح على الرجل الذى تنكر عليه لم يقع باذنك ولا يقدر الله تعالى على اعطائه الا باذنك فمن هذا الطريق تهيأ لك الانكار على عباد الله الصالحين ولو كنت تعتقد ان الله لا شريك له فى ملكه ولا منازع له فى عطائه لسلمت لعباد الله ما اعطاهم ربهم عز وجل من الخيرات فقال الفقير انا تائب الى الله تعالى انا تائب الى الله تعالى انا تائب الى الله تعالى الحق ما تقول والله ما نحن الا فضوليون وما كنا ننكر الا بالباطل والله الموفق واعلم وفقك الله ان الولى المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب باسرها لقدر على احياء الشريعة وكيف لا وهو الذى لا يغيب عنه النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة ومن فهو العارف بمراد النبى صلى الله عليه وسلم وبمراد الحق جل جلاله فى احكامه التكليفية وغيرها واذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لانه اقرب الى الحق من غير المفتوح عليه ومن فكيف يسوغ الانكار على من هذه صفته ويقال انه خلاف مذهب فلان فى كذا اذا سمعت هذا فمن اراد ان ينكر على الولى المفتوح عليه لا يخلو اما ان يكون جاهلا بالشريعة كما هو الواقع غالبا من اهل الانكار وهذا لا يليق به الانكار والاعمى لا ينكر على

البصير ابدا فاشتغال هذا بزوال جهله اولى به واما ان يكون عالما
بمذهب من مذاهبها جاهلا بغيره وهذا لا يصح منه انكار الا ان
كان يعتقد ان الحق مقصور على مذهبه ولا يتجاوزه لغيره وهذا
الاعتقاد لم يصر اليه احد من المصوبة ولا من المخطئة اما المصوبة
فانهم يعتقدون الحق في كل مذهب فهي كلها عندهم على صواب
وحكم الله عندهم يتعدد بحسب ظن المجتهد فمن ظن الحرمة في
نازلة فهي حكم الله في حقه ومن ظن الحلية فيها بعينها فهي حكم الله
في حقه واما المخطئة فحكم الله عندهم واحد لا يتعدد ومصيبه
واحد ولكنهم لا يحصرونه في مذهب بعينه بل يكون الحق في نازلة
هو ما ذهب اليه امام وفي نازلة اخرى ما ذهب اليه غيره فاشتغال
هذا المنكر بزوال هذا الاعتقاد الفاسد اولى به واما ان يكون عالما
بالمذاهب الاربعة وهذا لا يتاتى منه الانكار ايضا الا اذا كان
يعتقد نفي الحق عن غيرها من مذاهب العلماء كمذهب الثوري والاوزاعي
وعطاء وابن جريج وعكرمة ومجاهد ومعمر وعبد الرزاق والبخاري
ومسلم وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وطاووس والنخعي وقتادة
وغيرهم من التابعين واتباعهم الى مذاهب الصحابة رضي الله عنهم
اجمعين وهذا اعتقاد فاسد فاشتغاله بدوائه اولى من اشتغاله
بالانكار على اولياء الله المفتوح عليهم واذا وصلت الى هنا علمت
انه لا يسوغ الانكار على الحقيقة الا ممن احاط بالشريعة ولا يحيط
بها الا النبي صلى الله عليه وسلم والكمل من ورثته كالاغواث
في كل زمان رضي الله عنهم اما غيرهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون
وكلامنا في الانكار على اهل الحق من اهل الفتح واما اهل الظلام
والضلال فلا تخفى احوالهم على من مارسهم وقد استاذن بعض
الناس شيخه في الانكار على الاولياء اهل الحق من اهل الفتح وقال له
ياسيدي لا انكر عليهم الا بميزان الشريعة فمن وجدته مستقيما

سلمت له ومن وجدته مائلا انكرت عليه فقال له شيخه اخاف ان
لا تكون عندك الصنوج كلها التى يوزن بها واذا كان عندك بعض
الصنوج دون بعض فلا يصح ميزانك يشير الى ما سبق من كونه
ينكر وهو جاهل وقد حضرت لبعض الناس وكانت له فطانة وحذاقة
فسمع سائلا يسال وليا مفتوحا عليه عن السورة التى بعد ام القران
اذا نسيها المصلى وترتب السجود القبلى عليه ثم نسيه فلم يفعله حتى
سلم وطال الحال هل تبطل الصلاة بترك السجود القبلى بناء على ان
فى السورة ثلاث سنن او لا بناء على انه ليس فيها ثلاث سنن وقد
ذهب الى الاول الشيخ الحطاب وغيره والى الثانى شراح الرسالة
وطلب السائل من هذا الولى المفتوح عليه ان يبين له الحق عند الله
تعالى فاجابه الولى سريعا الحق عند الله تعالى هو ان السورة لا يوجب
نسيانها سجود الصلاة ومن سجد لها بطلت صلاته وكان الولى
المفتوح عليه عاميا اميا وكان السائل يعرفه ويعرف ارتقاء درجته
فى الفتح فلما سمع جوابه علم انه الحق الذى لا ريب فيه واما الذى له
حذاقة وفطانة فدخله شك وارتياب فقال للسائل بعد ان قاما
عن الولى ان هذا الرجل يعنى الولى جاهل لا يعرف شيئا انظر كيف جهل
حكم الله فى هذه المسئلة الظاهرة وقال ان تارك السورة لا سجود
عليه وقد عدها ابن رشد فى السنن المؤكدة كما عد فيها الجهر والسر
فاجابه السائل بان الولى المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب بل يدور
مع الحق اينما دار فقال الذى له حذاقة وكان من طلبة العلم نحن
لا نتجاوز اقوال امامنا مالك فاجابه السائل بان هذا الذى قاله
الولى المفتوح عليه قد رواه اشهب عن مالك كما نقله فى التوضيح
فروى عن الامام ان السورة مستحبة وليست بسنة ثم ومذهب
الشافعى رضى الله عنه فعنده ان السورة من الهيآت التحسينية
وليست من السنن ومن سجد لها بطلت صلاته ثم سئل الولى

انما كان من تعيين الحق من غير تقييد ولم يكن عن خصوص المشهور
من مذهب مالك وقد عين ما سالناه عنه ووافق ذلك رواية
عن مالك وهي مذهب الشافعي رضي الله عنهما فاي تبعة بقيت
على الولي في جوابه فلما قال السائل هذا القول وسمعه الذي له
حذاقة انقطع ولم يدر ما يقول قلت وهذه طريقة المنكرين
وعادتهم لا تجد معهم الا التقصير التام وقد وقع لبعض اكابر
الفقهاء من اشياخنا رضي الله عنهم كلام مع في هذا المعنى فقال لي
يوما يا فلان اني اردت نصيحتك لمحبتي فيك وتمام مودتي اليك
فقلت يا سيدي حبا وكرامة وعلى الراس والعين فقال لي رضي الله
عنه ان الناس على طرف وانت وحدك على طرف في رجل علمت كشفه
وولايته الناس فيه على الانتقاد وانت على الاعتقاد ومن المحال
ان تكون وحدك على الحق وذكر كلاما من هذا المعنى هذه زبدته فقلت
يا سيدي من تمام نصيحتك لي ان تجيبني عما اذكره لك فان اجبتني عنه
تمت النصيحة وكان اجرك على الله فقال لي رضي الله عنه اذكر
ما شئت فقلت يا سيدي القيتم الرجل وسمعتم كلامه وتباحثتم
معه في امر من الامور حتى ظهر لكم ما عليه الناس فيه فقال لي
ما القيته قط ولا رايته اصلا فقلت له وقد طرحت الحياء والحشمة
لما بيني وبينه من الالفة والمودة يا سيدي ما ظهر لي فيكم الا انكم
عكستم الصواب وطلبتم اليقين في باب الظن الذي لا يمكن فيه
اليقين واكتفيتم في باب اليقين بالظن بل بالشك بل بالافك والباطل
فقال لي رضي الله عنه فسر لي مرادك بهذا الكلام فقلت انكم اذا
اخذتم في تدريس الفقه ونقل لكم كلام عن المدونة او تبصرة اللخمي
او بيان ابن رشد او جواهر ابن شاس ونحوها من دواوين الفقه
وامكنكم مراجعة هذه الاصول فانكم لا تثقون بنقل الواسطة
حتى تنظروها بانفسكم ولو كانت الواسطة مثل ابن مرزوق والحطاب

والتوضيح ونحوهم فهذا باب الظن وكانكم تطلبون فيه اليقين حتى لم تكتفوا فيه بنقل العدول الثقات الاثبات حتى باشرتم الامر بانفسكم ولا يمكنكم اليقين فيه ابدا وانما عارضتم ظنا اقوى بظن اضعف منه فان نقل الواسطة اقرب الى الصواب من جهة قرب زمانهما الى مؤلفي الكتب السابقة فانهم اقرب اليهم منا بلا ريب ومن جهة ان النسخ التي عند الواسطة من هذه الاصول مروية بطريق من طرق الروايات واما نحن فلا رواية عندنا فيها ولا نسخ صحيحة منها فمن الجائز ان تكون نسختكم منها زادت او نقصت فباي يقين ترد نقل الحطاب عنها مع وجود هذين الامرين فيه وفقدهما فيك واما انكم اكتفيتم بالظن في باب اليقين الذي يمكن فيه فان هذا الرجل الذي بلغك عنه ما بلغك موجود حي حاضر معك في المدينة ليس بينك وبينه مسافة ومعرفته سعادة لا شقاء بعدها ان وفق الله لمحبته واللقاء والقياد اليه وقد امكنك الوصول اليه حتى تعتقد فتسعد وتربح او تنتقد فتربح ويحصل لك اليقين باحد الامرين وتزول ظلمة الشك من قلبك ثم انك قنعت في هذا الامر الرابح والخير الراجح الذي نفعه محقق وصاحبه موفق بنقل الفسقة والكذبة وكان من عادتك انك لا تقنع في باب الظن والنفع القليل بنقل الثقات الاثبات حتى تباشر الامر بنفسك فهلا جريت على ذلك في هذا الباب الذي هو باب اليقين والنفع الذي هو سعادة محضة اليس هذا منكم رضي الله عنكم عكسا للصواب فقال رضي الله عنه قطعتني بالحجة والله لا يمكنني الجواب عن هذا ابدا واشهد علي باني تائب الى الله عز وجل ثم قلت للشيخ المذكور ان كان ولا بد لكم من التقليد فقلدني لامرين احدهما انك تعلم بصيرتي في الاشياء ثانيهما انك تعلم اني خالطت الرجل المذكور سنين كثيرة حتى علمت منه ما لم يعلمه غيري واما هؤلاء الكذبة

الفسقة فاكثرهم لم يلقه مثلكم وانما اعتمادهم على التسامع الذى
لا اصل له وسببه الحرمان والخذلان نسال الله التوفيق بمنه
وفضله فقال رضى الله عنه ما بقى مما نقول شئ آخر ثم لقينى فقيه
آخر من اشياخ الفقيه المتقدم فقال لى ذكر لى عنكم فلان حجة
قاطعة لكل منازع ثم التفت الى الفقيه المذكور فقال الم تخبرنى
ان فلانا قال لك كيت وكيت فقال نعم ثم قال لا مما بهذا الكلام
قطعت ظهرنا قلت وهذان الفقيهان هما راس الطبقة من اهل
العصر بحيث انهما لا يجاريهما احد فى وقتهما واما من دونهما من
اهل الانكار فاكثرهم يعتمدون على التسامع الذى لا اصل له كما
سبق واكيسهم الذى يعتمد فى انكاره على قوله كنا نعرف سيدى فلانا
ولم يكن كهذا يعنى ان الرجل المنكر عليه لم يكن كسيدى فلان ولم
يدر ان الزهر الوان والنخل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون
وقد دخلت مع الشيخ رضى الله عنه الى بستان فى فصل الربيع
فنظر الى اختلاف ازهاره وانواره ساعة ثم رفع راسه الى وقال
من اراد ان يعرف اختلاف الاولياء وتباينهم فى المقامات والاحوال
مع كونهم على هدى وصواب وحلاوتهم فى قلوب الناس فلينظر
الى اختلاف هذه الانوار والازهار مع حلاوتها فى القلوب فان كان
قوله ان سيدى فلانا الذى عرفناه لم يكن هكذا حصر رحمة الله فى الولى
الذى عرفه فقد حجر واسعا ولما قال الاعرابى الذى بال فى المسجد
اللهم ارحمنى وارحم محمدا ولا ترحم معنا احدا قال له النبى صلى الله
عليه وسلم لقد حجرت واسعا وان كان قوله ذلك ظنا منه ان
كل مرحوم لا يكون الا مثل الولى الذى عرفه فقد سبق انهم رضى
الله عنهم على اصناف شتى وايضا فهو مشترك الالزام فان
هذا الاعتراض لازم فى الولى الذى عرفه فانه لم يكن مثل الولى الذى

كان قبله فان اعترض على الثالث بانه ليس مثل الثانى اعترض على
الثانى بانه ليس مثل الاول الذى كان قبله وانما اطلت الكلام
فى هذا الباب وذكرت هذه المناظرات التى وقعت لنا مع الفقهاء
رضى الله عنهم حرصا على وصول الخير الى طائفة الفقهاء وطلبة
العلم ومحبة فيهم ونصيحة لهم فانهم ابتلوا بالانكار على السادات
الابرار الاخيار الاطهار فى سائر القرون والاعصار وفى جميع
البوادى والقرى والامصار وانكارهم لا يخرج عن هذا الذى
ذكرناه فى هذا الباب فمن كان منهم منصفا وتامل ما سطرناه فيه
رجع وظهر له الحق ولاح له وجه الصواب وكثيرا ما كنت اتعرض
لمناظرة الفقهاء فى هذا الباب ظنا منى انهم يعتمدون فى انكارهم
على امور صحيحة فلما اختبرتهم وجدت الامر على ما وصفت لك
والله الهادى الى الصواب لا رب غيره ولا خير الا خيره عليه توكلت
واليه انيب وسمعته رضى الله عنه يقول لا ينبغى ان ينظر
الى ظاهر الولى ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا واخرى فان فى باطن
الولى العجائب والغرائب ومامثاله الا كخنشة صوف فى وسطها
خنشة حرير لا تظهر الا فى الاخرة وغير الولى بالعكس خنشة حرير
فى وسطها خنشة صوف والعياذ بالله ولنذكر اسبابا كثيرة فى ظهور
المخالفات على ظاهر الولى سمعناها من الشيخ رضى الله عنه مفرقة
فنجمعها هنا فنقول سمعته رضى الله عنه يقول كان لبعض الاولياء
الصديقين مريد صادق فكان يحبه كثيرا واطلعه الله على اسرار
ولايته حتى افرط فى محبته وكاد يتجاوز بشيخه الى مقام النبوة
فاظهر الله على الشيخ صورة معصية الزنى رحمة بالمريد المذكور فلما رآه
رجع عن ذلك الافراط فى الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله
على المريد قال رضى الله عنه ولو دام على اعتقاده الاول لكان من
جملة الكافرين المارقين نسال الله السلامة قال رضى الله عنه وسمعته

احد الاسرار فى الامور التى كانت تظهر على النبى صلى الله عليه وسلم
من نحو قوله فى قضية تابير النخل لو لم تفعلوا لصلحت ثم تركوا التابير
فجاءت الثمر شيصا اى غير صالحة ومن نحو قوله صلى الله عليه وسلم
رايت فى منامى انا ندخل المسجد الحرام آمنين محلقين ومقصرين
ثم خرج عليه الصلاة والسلام مع اصحابه الكرام رضى الله عنهم
فصدهم المشركون ولم يدخلوا الا فى عام آخر ونحو ذلك ففعل الله
سبحانه هذه الامور مع نبيه الكريم لئلا يعتقد الصحابة فيه الالوهية
ولذا قال تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء
وقال تعالى ليس لك من الامر شئ ونحو ذلك فان المقصود من ذلك
كله هو الجمع على الله سبحانه والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول
ان الولى الكامل يتلون على قلوب القاصدين اليه فمن صفت نيته
رآه فى عين الكمال وظهر له منه الخوارق وما يسره ومن خبثت
نيته كان على الضد من ذلك وفى الحقيقة ما ظهر لكل واحد الا
ما فى باطنه من حسن وقبح والولى بمنزلة المرآة التى تتجلى فيها
الصور الحسنة والصور القبيحة فمن ظهر له من ولى كمال ودلالة
على الله فليحمد الله ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه قال رضى
الله عنه واذا اراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولى سخره
الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون انه على شاكلتهم وليس
كذلك حتى انه يتصور فى طور الولاية ان يقعد الولى مع قوم يشربون
الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه انه شارب الخمر وانما تطورت
روحه فى صورة من الصور واظهرت ما ظهرت وفى الحقيقة
لا شئ وانما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التى
تظهر فى المرآة فانك اذا اخذت فى الكلام تكلمت واذا اخذت فى الاكل
اكلت واذا اخذت فى الشرب شربت واذا اخذت فى الضحك ضحكت
واذا اخذت فى الحركة تحركت وتحاكيك فى كل ما يصدر منك وفى

الحقيقة لم يصعد ومنها اكل ولا غيره لانها ظل ذاتك والبست بذاتك الحقيقية فاذا اراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله الموفق وسمعته رضى الله عنه يقول ان الولي انما يعتبر من القاصدين اليه باطنهم واما ظاهرهم فلا عبرة به عنده والقاصدون على اربعة اقسام قسم يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد وهذا اسعدهم وقسم يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد وهذا ابعدهم وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد وهذا اضر الاقسام على الولي كالمنافق بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه اذا نظر الى ظاهره ويريد نفعه منعه الباطن واذا اراد البعد منه حيث ينظر الى باطنه اطمعه ظاهره قال رضى الله عنه والولي يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس اليه رجلان احدهما في جوف الآخر فيقول الرجل الظاهر انت سيدي وانا عند امرك ونهيك وعلى طاعتك وتصبيرك ويقول الذي في الجوف انت لست بولي والناس اخطأ وانما يظنون فيك وانا على شك في امرك وفيما يقول الناس فيك ونحو هذا فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم والقسم الاول فاذا رأى القسم الاول ربح وحصل له الخير الكثير من الولي قال في نفسه ولم لم يربح القسم الثالث مع انه يتادب ويخدم بنفسه ويقف عند الامر والنهي كالاول فيقول في نفسه لعل الخلل والنقصان من الولي فيكون هذا بابا واسعا للكلام في الاشياخ ودخول الوسوسة فيهم واما القسم الرابع وهو ما يكون باطنه معتقدا وظاهره منتقدا فلا يتصور الا مع الحسد نسأل الله السلامة والله اعلم وسألته رضى الله عنه يوما فقلت له هذه العلوم التي تبرز منكم وتتكلمون بها هل تحتاجون فيها الى قصد واستعمال ام لا فقال رضى الله عنه ان الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق

سبحانه لا يحجب عنه طرفة عين وظاهر مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له منه رحمة اطلق عليه ذلك الظاهر وانطقه بالعلوم واظهر له مالا يكيف من الخيرات ومن اراد به سوءا اولم يقسم له على يده شيء امسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف قال رضي الله عنه وما مثلت الولي مع القاصدين الا كحجر بني اسرائيل فاذا كان بين يدي اولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا واذا كان بين اعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة قلت وقد شاهدت هذا المعنى في الشيخ رضي الله عنه مرارا فاذا حضر بين يديه بعض من لا يعتقده لا تخرج منه ولو فائدة واحدة ولا يقدر على التكلم بشيء من العلوم اللدنية والمعارف الربانية حتى يقوم ذلك الشخص ويوصينا ويقول اذا حضر مثل هذا الرجل فلا تسالوني عن شيء حتى يقوم وكنا قبل الوصية جاهلين بهذا الامر فنسال الشيخ ونريد ان نستخرج منه النفائس والاسرار الربانية كي يسمعها الرجل الحاضر فينوب فاذا سالناه رضي الله عنه ح وجدناه كانه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا والعلوم التي تبدو امنه لم تكن له على بال ابدا حتى ذكر لنا السبب ففهمنا السر والحمد لله وسمعته رضي الله عنه يقول ان الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وانما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فاذا اخذت في المعصية فليست بمعصية لانها اذا اكلت حراما مثلا فانها تجر دمجعلها في فيها فانها ترميه الى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرية شقاوة الحاضرين والعياذ بالله فاذا رايت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين بان الله تعالى اراد بهم الخير او معصية فاشهد بشقا وتهم وكما ان ارواحهم هي التي تتولى كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة

والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان الولي قد يغلب
عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل
امورا ترده الى حسه وان كان فيها ما يعاب عليه من باب اذا
التقى ضرران ارتكب اخفهما فاذا رآه شخص ارتكب ذلك الامر
ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لاجله ربما بادر الى الانكار عليه
فيحرم بركته وقد تقرر في الشرع اي في الشريعة المطهرة ان
العضو اذا اصابته الاكلة وخيف على الذات منها فانه يباح
قطعه لتسلم الذات مع ان العضو معصوم ولكنه من باب
اذا التقى ضرران ارتكب اخفهما وكذلك الشخص اذا خاف على
نفسه الهلاك من شدة الجوع فانه يباح له اكل الميتة حتى
يشبع ويتزود منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه
القاعدة وهذه الامور التي ترد ذات الولي الى حسها هي المعتادة
لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت فافهم بالاشارة ففي التفصيل
والتصريح وحشة والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول
ان غير الولي اذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام لان
الحياء يغلب عليهم والمراد بالعورة العورة الحسية وهي ظاهرة والعورة
المعنوية التي تكون بذكر المجون والفاظ السفه واما الولي فانها لا تنفر
منه اذا وقع له ذلك لانه انما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته
لما هو اولى منه لان اقوى المصلحتين يجب ارتكابه ويؤجر على ستر
عورته وان لم يفعله لانه ما منعه من فعله الا ما هو اقوى منه
ولولا ذلك الاقوى لفعله فكانه فعلهما جميعا فيؤجر عليهما معا
فقلت وما هو هذا الاقوى الذي ترك لاجله ستر عورته او تكلم
لاجله بشيء من الفاظ المجون فقال رضي الله عنه كل ما يرد الذات
الى عالمها الحسي ويرد عليها عقلها فاذا كان كشف العورة يوجب
ذلك لشخص ارتكبه واذا كان التكلم بالمجون والفاظ السفه يوجب

ذلك لشخص آخر ارتكبه ايضا واذا كان غيره من الامور الفانية يوجبه
الشخص ثالث ارتكبه وهلم جرا فقلت ولم تحتاج الذات الى مايردها
الى عالمها الحسي وهل تغيب عنه فقال رضي الله عنه نعم تغيب
عنه ثم ضرب مثلا لتحقيق الغيبة فقال كرجل له ستمائة قنطار
وقد كبر وعمي وانقطع منه التدبير بالكلية ومع ذلك فله اولاد
لا يحصون وكلهم صغار لا يقدرون على شئ ثم ارسلها بقصد التجر
مع اناس ركبوا البحر في زمن هوله وكثرة عطبه وقلة السلامة منه
ولم يترك لنفسه ولا لاولاده فلسا واحدا فلا تسال عن عقل هذا
الرجل كيف يكون فانه يذهب مع اهل السفينة وينقطع عن الذات
بالكلية وح فتحصل له آفتان الاولى منهما انسداد افواه العروق
التي يكون غذاء الجسم منها بسبب احتراقها بالحرارة التي هاجت
حين اشتغال الفكر بامر السفينة قلت وقد شاهدت رجلا من
حملة القرآن العزيز ومن اهل العلم وخل في عقله نسال الله السلامة
طلب التدبير والكيمياء والكنوز وسكن ذلك في عقله واشتغل به
فكره اليوم على اليوم فجعل لونه يصفر وقل جلوسه مع الناس وصار
لا ياكل من الطعام الا ما قل ثم لم يزل امره في زيادة الى ان مات سريعا
نسال الله السلامة وسر ذلك ما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه
من انسداد افواه عروق غذاء الجسم فيتضرر الجسم بذلك ويزول
نضارته ونعومته ويحصل فيه اصفرار وذبول الى ان يبلا شيئا
ويهلك والآفة الثانية ان العقل اذا ذهب مع اهل السفينة
وانقطع عن الذات وطالت غيبته فان الروح تخرج منها ولا ترجع
اليها لانها انما دخلت في اول الامر عند النفخ كرها لا طوعا فمتى
وجدت سبيلا الى الخروج وخرجت فانها لا ترجع اليها ابدا فان
وعد الله تلك الذات بانصرام اجلها كان ذلك ابتداء مرضها وظهور
عالمها حتى ياتي امر الله وان وعدها سبحانه بالبقاء مدة كانت الروح

خارجة عنها بالعقل الذى هو سرها وتقوم بتدبيرها مع انفصالها
وانقطاعها عنها وكان ذلك سبب ابتداء الحمق ولو وجد هذا
الرجل سببا يرده الى امره الاول واخراج اهل السفينة من عقله
لبقى سالما من هذين الآفتين قال فكذلك اولياء الله تعالى تحصل
لهم الغيبات فاذا رايتهم يستعملون شيئا من المجون والضحك ونحوهما
مما يرد عليهم عقولهم ويحفظ عليهم بقاء ذواتهم فلا تبادر بالانكار
عليهم فانهم لا يستعملونه الا لهذا الغرض الصحيح فينتفع الخلق بهم
مدة بقاء ذواتهم قلت وكم مرة ونحن مع الشيخ رضى الله عنه
يقول اهدروا علينا فانه يطلع لكم بذلك اجر كثير حتى قال لى
مرة ما مثلت صاحب المشاهدة الا بنسر طائر فى الهواء وعلا
فى طيرانه والفرض ان الجو مملوء بالرياح وفى يد رجل خيط رقيق
موصول بذات النسر ومربوط فيها فاذا رآه علا فى الطيران
وارادت الرياح ان تجليه بحيث لا يرجع ابدا جعل الرجل يقبض
الخيط شيئا فشيئا وهو يخاف ان ينقطع والنسر ينزل شيئا
فشيئا الى ان يرجع الى يد صاحبه فكذلك هذه الامور الفانية
التى تعتادها الذات الترابية هى التى تردها الى عالمها الحسى
قلت ولو اردنا ان نذكر شيئا من الامور الواقعة للعارفين رضى
الله عنهم لخرجنا عن المقام والله اعلم وسمعته رضى الله عنه
يقول ان الغرض من الولى هو الدلالة على الله تعالى والجمع والتزهيد
فى سواه فاذا جعل القاصد اليه يطلب منه هذا الامر فانه يربح
معه واذا جعل يطلب منه قضاء الحوائج والاوطار ولا يسأله
عن ربه ولا كيف يعرفه مقته الولى وابغضه وهو السالم ان
نجا من مصيبة تنزل به وذلك لامور منها ان محبته للولى ليست
لوجه الله تعالى وانما هى على حرف والمحبة على حرف خسران
مبين لا ينزل عليها نور الحق ابدا ومنها ان الولى يراه فى تعلقه بغير

الله تعالى في عين القطيعة وهو يريد ان ينقذه منها والعبد يريد
منه ان يزيده منها فان الولي يراه ترك الثمرة واخذ الجمرة فالثمرة
معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه والجمرة هي القطيعة عنه
والقبض في غيره والميل الى الدنيا والركون الى زخارفها ومنها
ان الولي اذا اسا عفه في قضاء بعض الاوطار وقابله ببعض
المكشوفات ربما يظن العبد ان هذا هو الذي ينبغي ان تقع
المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل
ذلك ضلال وموجب لمقت الولي له قلت ومن مقته له ومكره
به ان يظهر على ذاته بعض المخالفات او يخبره بشيء لا يكون انه
يكون ليطرده بذلك عنه والله اعلم وسمعته رضي الله عنه
يقول ان سماع اهل العرفان ينبني على مشاهدتهم الحق سبحانه
وتكون الامور التي يسمعونها بمثابة السفينة التي يعبرون
بها بحار المشاهدة فيعتمدون على تلك الامور ويتوصلون بها
الى ما لا يكيف من المشاهدة وذلك ان المشاهد سبحانه حق قديم
لا مثل له ولا نظير فليس لهذا الذات ما تعتمد عليه الا ما يمكن
في العبارة الحادثة مما اعتادته الذات ونشأت عليه قال ولذا
اتسعت مشاهدتهم وصار وامن الكبار قرب عشقهم من عشق
اهل الغزل فيما يظهر للناس وذلك للسرور والفرح والطرب
الحاصلة لهم عند مشاهدتهم فعل الحق سبحانه في مخلوقاته
فاذا شاهدوا ذلك حصل للروح ما لا يكيف من السرور حتى
لقد حصل لبعضهم رضي الله عنه انه رأى قطا يحك حنكه
بيده فجعل الولي يبكي ودموعه تسيل وهو يسجد بين يدي
القط حتى اخضلت دموعه ما بين يديه فقلت له ما سره فقال
رضي الله عنه ان الروح شاهدت الحق سبحانه يفعل تلك الحركة
فجعلت تسجد له وتتواضع وتبكي بين يديه سبحانه والذات

تتواضع معها

تساعفها فجعلت الذات تفعل مثل ما تفعله الروح وتحاكيها
في ذلك فالناس يظهر لهم ان سجوده للقط والولي في وقت بكائه
وسجوده لم يشاهد الا الحق سبحانه فقوله يبكي وله يتضرع
ويخضع قال رضي الله عنه وهذا يحصل لهم دائما الا ان
الذات اذا غابت عن عقلها ساعفت الروح واذا لم تغب عن عقلها
منعها العقل من ذلك حفظا للظاهر فترى الولي اذا رأى الغصن
في الاشجار يتمايل يحصل له ما سبق ولذا يقولون ان ضرب
سيدي بالاحجار في عندي اعز من الاثمار لما يحصل له من
النعيم والسرور عند مشاهدة الفعل منه عز وجل والله اعلم
وسمعته رضي الله عنه يقول ان الله تعالى اذا فتح على عبد
وكان على حالة اي حالة كانت بقي عليها ولو كانت الحالة
مذمومة طبعا كجزارة وغيرها من الحرف المذمومة فيبقى
على حالته ولا ينتقل عنها لانه يرى الانتقال عنها تصنعا
للناس والتصنع للناس اعظم عند المفتوح عليه من شرب
الخمر ونحوه من المعاصي قال رضي الله عنه واعرف رجلا بالروم
من ارض الشام وفتح الله عليه وهو بحالة يتضاحك الناس
عليه فيها كحالة الرجل المشهور بمدينة فاس بمعيزوا فبقي
على حالته بعد الفتح ولم ينتقل عنها قلت وكانت حالة معيزوا
المتقدم ان الصبيان وغيرهم من ضعفة العقل يتبعونه طول
نهاره يضحكون عليه قال رضي الله عنه واعرف رجلا آخر
فتح الله عليه وكان قبل ذلك طبالا فبقي على حالته بعد الفتح
ولم ينتقل عنها قلت وقد سمعت منه رضي الله عنه في هذا
الباب اسرارا كثيرة عظيمة لا ينبغي ايداعها في الكتب والله اعلم

الباب السادس في ذكر شيخ التربية وما يتبع ذلك

من الاشارة الى الشيوخ الذين ربطهم الشيخ رضي الله عنه

وفائدة تلقين الذكر وبعض ما قيل في الاسماء الحسنى والحضرة
وما يتصل بذلك فنقول قد تكلم صاحب الرائية على شيخ التربية
وشرح الشيخ رضى الله عنه شيأ من كلامه فاحببت ان اثبت
ذلك هنا لان الكتاب موضوع لجمع كلام الشيخ رضى الله عنه قال
صاحب الرائية *
وللشيخ آيات اذا لم تكن له * فما هو الا في ليالى الهوى يسرى
قال الشيخ رضى الله عنه اى وللشيخ التربية علامات ظاهرة وهى
ان يكون سالم الصدر على الناس ليس له في هذه الامة عدو وان
يكون كريما اذا طلبته اعطاك وان يحب من اساء اليه وان يغفل عن
خطايات المريدين ومن لم تكن له هذه العلامات فليس بشيخ ثم قال
صاحب الرائية *
اذا لم يكن علم لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب به لجج البحر
قال الشيخ رضى الله عنه مراده بعلم الظاهر علم الفقه والتوحيد اى
القدر الواجب منهما على المكلف ومراده بعلم الباطن معرفة الله تعالى
ثم قال *
وان كان الا انه غير جامع * لوصفيهما جمعا على اكمل الامر
فاقرب احوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منه الطبيب على خبر
قال الشيخ رضى الله عنه اى وان وجد الشيخ الا انه وجد غير
جامع لوصف العلم الظاهر والباطن جمعا كاملا فاقرب احوال
المريد معه الى الهلاك وقوله اذا لم يكن منه الطبيب على خبر
يريد ان هذا الشيخ الذى ليس بجامع لقصور علمه لا يعلم ما يضر
المريد فاقرب احوال المريد معه الهلاك قال سيدى منصور
اذا كانت صحبتك مع شيخ كامل فاحرص ان تفنى عن مرادك
في مراده واطلب ان لا تفتش بعده فسلامتك مع غيره غريبة
ووصلك اغرب واعجب من كل شيء ثم قال

ومن لم يكن الا الوجود اقامه * واظهره منشور الوية النصر
فاقبل ارباب الارادة نحوه * بصدق يحل العسر في جلد الصخر
وآيته ان لا يميل الى هوى * فدنياه في طي واخراه في نشر

قال الشيخ رضى الله عنه ومن لم يكن من الشيوخ اثبته شيخه في المشيخة بالاذن له فيها لكونه مات عنه قبل ان يكمله ولكن اثبته فيها الناس واظهروه فيها منشور اعلام النصر بحيث نصر الله به اعلام المريدين على نفوسهم وهواهم وشياطينهم فاقبل بسبب ذلك النصر ارباب الارادة واهل الهمة الذين يرغبون في القرب الى الله عز وجل بصدق يخرق الصخور فهذا شيخ مقبول ايضا يريد لانه يحتمل ان يكون تكمل على يد رجال الغيب او لانه يأخذ على يد سيدي احمد الخضر وقوله وآيته اى علامته الظاهرة الدالة على استحقاقه رتبة المشيخة ان لا يميل الى هوى في تربيته بما يبدو من مشاهد حاله وتكون دنياه عنده في استتار وآخرته في انتشار فقوله فدنياه في طي كناية من الزهد فيها والاعراض عنها كما ان قوله واخراه في نشر كناية عن الرغبة فيها والاقبال عليها ثم قال

وان كان ذا جمع لاكل طعامه * مريد فلا تصحبه يوما من الدهر

قال الشيخ رضى الله عنه معنى كلامه ان كان شيخ التربية يجمع الناس لاكل طعامه فلا تتبعه ولا تصحبه يا مريد ابدا ابريد والله اعلم اذا كان يجمع الناس لاكل طعامه ولا اثر له فيهم بفتح فان هذا يصير الاجتماع عليه لاجل طعامه لا لاجل الله عز وجل اما اذا كان يجمع الناس عليه ليجمعهم على الله وله مع ذلك طعام فلا باس بصحبة هذا واتباعه ثم قال

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة * خلي من الاهواء ليس بمغتر

قال الشيخ رضى الله عنه المعنى لا تسال عن شيخ التربية الا من جمع ثلاثة شروط ان يكون ذا بصيرة وان يكون خاليا من الاهواء

وان لا يكون مفترا فكونه ذا بصيرة احترازا من السالك المحض الذى
ليست له معاملة القلوب فاذا سال عن شيخ التربية يحيل على سالك
آخر هو اكثر منه اجتهادا وازود ومرعلى الاوراد واحفظ للوظائف لانه
يرى ان هذا المقام هو غاية الطريق وان التفاوت بين اهله انما هو
بالقوة والضعف والسالك المحض ليس اهلا للمشيخة ولا يبلغها
وكونه خاليا من الاهواء احترازا من صاحب التعصب ولو كان
ذا بصيرة فان المتعصب للشخص اذا سال عن شيخ التربية ربما
حال عليه لاجل التعصب وكونه غير مفتر احترازا من لا يعرف اصطلاح
القوم فى وصف شيخ التربية فاذا سال عن الشيخ المربى ربما يحيل
على المجذوب المحض لما يرى معه من قوة المعرفة والاستهلاك فى
الحقيقة والمجذوب المحض ليس اهلا للمشيخة ولا يبلغها ثم قال

فمن صدئت مرآة ناظر قلبه * ارته بوجه الشمس من كلف البدر
ومن لم يكن يدرى العروض فربما * يرى القبض فى التطويل من اقبح الكسر

قال الشيخ رضى الله عنه المعنى فمن صدئت عينه يرى السواد الذى
فى وسط القمر على وجه الشمس التى لا سواد فيها اصلا لانعكاس
الحقائق فى حقه ومراده ان من لم يكن ذا بصيرة فانه يرى العيب
فى الشيخ الكامل فينفر عنه ويرى الكمال فى السالك فيدل عليه
وقوله ومن لم يكن يدرى العروض اى ومن لم يعرف ميزان الشعر
ربما يعتقد ان سقوط الخامس من عروض بحر الطويل هو من اقبح
العيوب فيه كذلك من لم يعرف اصطلاح الصوفية فى اوصاف
الشيخ المربى ربما رأى الكامل فظنه مبتدئا فنفر عنه كما دل على
المجذوب وهو لا يستحق قلت حاصل ما ذكره صاحب الرائية
فى هذه الابيات ان الشيخ اذا كان خاليا من علم الظاهر والباطن
او كان متصفا بهما لا على الكمال فانه لا خير فى صحبته وان من
كان متصفا بهما على الكمال وكانت فيه الآيات السابقة فانه يشيخ

وهذا اذا اقامه شيخه فى التربية واذن له فيها حال حياته واما ان
مات قبل ذلك ولم يكمل فى زمان شيخه فهذا ان ظهرت عليه امارات
الفتح وعلامات الخير واعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة وفتح
المريدين الفتح على يديه فهذا ايضا بشيخ واما ان لم يكن فيه الا جمع
جمع الناس على طعامه فهذا الاخير فى تمرفته وانه لا ينبغى للشخص
ان يسال عن شيخ التربية الا اذا جمع الاوصاف الثلاثة السابقة
فان غيره ربما عكس الصواب ثم اشار صاحب الرائية الى الآداب
التى تجب على المريد فى صحبة شيخ التربية فقال

ولا تقدمن قبل اعتقادك انه * مربٍ ولا اولى بها منه فى العصر
فان رقيب الالتفات لغيره * يقول لمحبوب السراية لا تسر

قال الشيخ رضى الله عنه اى ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول
فى صحبته حتى تعتقد انه من اهل التربية وانه لا احق منه بها
فى زمنه وانما وجب عليه ذلك لان الشيخ الذى يرى من مريده
الالتفات الى شيخ غيره يقطع عنه المادة والمريد الذى يدخل فى صحبة
شيخ وهو يرى ان فى الوجود شيخا مثل شيخه او اكمل منه يبقى متشوفا
الى ذلك الاكمل فى اعتقاده فيراه شيخه متشوفا اليه فيقطع عنه
المادة فلا يكون بالاول ولا بالثانى قال الشيخ رضى الله عنه وقد
راينا مثل هذا فى زماننا كثيرا والله يكون لنا وليا ونصيرا وقال
صاحب الرائية قبل هذا *

ومن بعده الشيخ الذى هو قدوة * يلقى مراد الحق فى السر والجهر

قال الشيخ رضى الله عنه ومن بعد مقام التربية اى من بعد تحصيله
طلب الشيخ الذى هو مرب فانه مقدم على النفس فى طريق الاحوال
وفائدته انه يرى العبد مطلب الحق منه فى ظاهره وفى باطنه
قال الشيخ رضى الله عنه ولا بد من شيخ يعرفك ويدلك على معرفة
الشيخ وكيف تلقاه وتجالس معه وان لم يكن هذا فاعلم انك مكسور

لا طبيب لك ولو فعلت ما فعلت والسلام ثم قال *

فقم واجتنب ما ذم العلم واجتلب * لما خص بالمدح فهو جنا الدرّ

قال الشيخ رضي الله عنه اي اذا وجدت واعطاك المولى الشيخ الذي يربيك فقم على خدمته واعرف حق صحبته واتخذه وسيلة الى الله عسى ان تدرك معرفة الله عز وجل لكن يجب عليك مع ذلك ان تترك ما عابه الشرع من الافعال الذميمة وان تكتسب ما مدحه منها فذلك هو جنا الدر والدر في الاصل اللؤلؤ العظيم وهو كناية عن التقوى والجنا القطع هذا اصله والمراد هنا الاخذ فكانه قال اذا اجتنبت المذموم شرعا واجتلبت الممدوح شرعا فقد اخذت التقوى ووصلت اليها نسال الله ان يمن علينا بها فانها التي تنبني عليها احوالك ومقاماتك ثم قال *

وان تسم نحو الفقر نفسك فاطرح * هواها وجانب مجانبة الشر

قال الشيخ رضي الله عنه وان ترتفع همتك الى طريق الفقر وهي طريق التصوف فاطرح هوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وجوه التعبدات وانواع القربات دون ان يامرها به الشيخ وباعد هواها في ذلك مباعدتك للشر بريد لان فلاح المريد فيما يختاره له الشيخ لا فيما يختاره هو لنفسه وان كان يختار لنفسه هو هلك قلت وكم مريد سقط من هذا الباب لان المريد قبل الفتح عليه اذا اختارت له نفسه الاكثار من النوافل والصيام والقيام فربما كان في ذلك لشهوة السمعة والرياء فيصير عمله لغير الله عز وجل فاذا جمعه الله بالشيخ المربي وجمعه به فانه يرى ذلك علة فيه فيريد نقله عنها فان ساعفه المريد وسبقت له العناية من الله تعالى دله على ما يليق به وانتقل به الى حالة مرضية عند الله تعالى وان لم يساعفه المريد وقال جئناه ليزيدنا وجعل ينقصنا وتمشت نيته في شيخه المربي فهذا قد استحوذ عليه الشيطان واستحكمت

فيه علة الرياء والخسران نسال الله السلامة بمنه وكرمه
ونذكر ههنا قصة النفر من الصحابة رضوان الله عليهم الذين
جاؤا الى دار النبي صلى الله عليه وسلم فسالوا ازواجه عن
عبادته صلى الله عليه وسلم وقيامه وصيامه فذكرت لهم
عبادته صلى الله عليه وسلم فاستقبلوها ثم قالوا اين نحن من النبي
صلى الله عليه وسلم فانه عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر ثم قال احدهم اما انا فاصوم الدهر وقال الآخر اما انا
فاقوم ولا انام وقال الآخر اما انا فلا اقارب النساء ثم ذهبوا
وجاء النبي صلى الله عليه وسلم على اثرهم فاخبرته عائشة رضي
الله عنها بما رات منهم وبما قالوا فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لهم اما انا فاخشاكم لله واتقاكم له واعلمكم به وانى اصوم
وافطر واقوم وانام واقارب النساء ومن رغب عن سنتي
فليس مني وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين الآية واختلفت
الرواية في تعيين اولئك النفر فمنهم من عد فيهم عثمان بن مظعون
وعبد الله بن مسعود واباهريرة ومنهم من عد فيهم سعد بن ابي
وقاص ومنهم من عد فيهم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمرو بن
العاص ومنهم من عد فيهم ابابكر الصديق رضي الله عنهم فانظر
وفقك الله كيف ردهم عليه الصلاة والسلام عن هوى نفوسهم
في الاكثار من النوافل الى ما احبه لهم واختاره من التوسط في الامور
وذلك اعظم شاهد لما يفعله الشيوخ مع المريدين الموفقين واما
غيرهم فلا كلام عليه وقد رايت بعضهم جاء الى الشيخ رضي الله عنه
واراد ان يتخذه وسيلة وكان على غاية الاكثار من العبادة حتى انه
يخرج في كل ليلة سلكة من القرآن ويقرأ دلائل الخيرات في النهار
عدة مرات ويصوم الدهر ولا تلقاه الا مصفر اللون كانه من اهل

الفتور فلم يزل الشيخ رضي الله عنه ينقله من درجة الى درجة ومن
حالة الى حالة حتى رده الى مقام التوسط ثم قال له الشيخ رضي الله
عنه ذات يوم كم من تعب اراحك الله منه يا فلان فقال جزاك
الله عنا خيرا يا سيدى فانما كانت اعمالنا ورياء فلغير الله كنا نعبد
واراحنا الله من ذلك ببركتك وقال لى الشيخ رضي الله عنه يوما
ان هذه النوافل اذا لم يفعلها الشخص فانه لا يحاسب عليها
فى الآخرة وان فعلها بنية ان يراه الناس ويمدحوه عليها فانه
يعاقب عليها فى الآخرة ويخلى دار ابيه عليها قلت لان الرياء معصية
وسمعته رضي الله عنه يقول ان المحجوب لا يخلو من الرياء والسمعة
الا اذا كان يرى فى كل لحظة ان افعاله مخلوقة له تعالى لا يغيب عنه
ذلك فى حالة الفعل ومهما غاب عنه ولو طرفة عين وقع فى الرياء
والعجب ثم قال صاحب الرائية *

وضعها بحجر الشيخ طفلا فانها * خروج بلا فطم عن الحجر والحجر

قال الشيخ رضي الله عنه اعاضع نفسك فى حجر شيخك يربيك تربية
الطفل فى حجر امه فليس لنفسك قبل فطام التربية خروج عن حجر
الشيخ وتحجيره فالحجر الاول هو الحجر المعروف الذى هو مقدم القميص
والحجر الثانى معناه المنع اى منع الشيخ للمريد عما يريده ومن هذا
الثانى الحجر عند الفقهاء الذى هو بمعنى التحجير فالحجر الاول كناية
عن نظر الشيخ وتصرفه والثانى كناية عن منعه للمريد مما لا يليق به
والله اعلم ثم قال *

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه * فلا يطمعن فى شم رائحة الفقر

قال الشيخ رضي الله عنه ومن لم يكن من المريدين وصفه مع شيخه
المربى له سلب الارادة فلا يطمع ان يشم رائحة الفقر نسأل الله الحفظ
ثم قال *

وهذا وان كان العزيز وجوده * ولكنه فى الفرض خال من العسر

قال

قال الشيخ رضي الله عنه وهذا اى كون شم رائحة الفقر مرتبطا بسلب الارادة وان كان قليلا لا يكاد يوجد ولكنه من حيث العزم عليه خال من التعذير والامتناع بريد بل هو من حيث العزم عليه ممكن والعزم هو التصميم على الفعل من غير احتمال، ثم ذكر صاحب الرائية ماسبق من قوله وللشيخ آية الابيات الى قوله فان رفيت الالتفات لغيره ويقول لمحبوب السراية لا تشترى ثم ذكر بعده قوله *

ولا تعترض يوما عليه فانه * كفيل بتشتيت المريد على الجهر

قال الشيخ رضي الله عنه ولا تعترض على شيخك ابدا فان الاعتراض على الشيخ ضامن لتشتيت المريد المعترض عليه عن ربه وعن دينه مع تركه له واعراضه عنه وطرده اياه عن صحبته واليوم في البيت بمعنى الساعة والوقت الذى هو فيه والاعتراض مقابلة القول بالرد ؟ اعلم وفقك الله ان هذه التفاسير لهذه الابيات وجدتها مكتوبة على نسخة من الرائية بخط الشيخ رضي الله عنه ولم اسمعها منه ولكنها مكتوبة بخط يده الكريمة بلا شك ولا ريب فلذا نسبتها اليه رضي الله عنه مع ان علم الشيخ رضي الله عنه اكثر بل فوق ذلك كله وودت انى اقرا هذه القصيدة عليه رضي الله عنه فانا اسمع منه الاسرار الربانية والانوار العرفانية في شرحها على عادته رضي الله عنه وبقيت ابيات اخر متعلقة بهذا الغرض لم يشرحها الشيخ رضي الله عنه فعزمت على كتبها من غير شرح ثم بدا لى ان اكتبها واشرحها بما تيسر من غير تطويل ولا اكثار قال صاحب الرائية *

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل * يرى النقص في عين الكمال ولا يدرى

اى ومن يعترض على الشيخ او على غيره من اهل الطريقة وهو جاهل فانه يرى الكمال نقصانا ويقلب الامور وهو لا يدرى واصل هذا البيت لصاحب العوارف حيث قال وينبغى للمريد كلما اشكل

عليه شيئ من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل اشياء ينكرها موسى فاذا اخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شيئ عذر بلسان العلم والحكمة اه

والرائية مختصرة من العوارف فهي اى العوارف اصل للرائية وقال ابو الحسن الششترى رضى الله عنه ولا يعترض على المشايخ فيما يصنعون فانهم لا يتصرفون الا عن اذن وبصيرة وليس هم ممن يدخلون تحت جنس العالم الاول اعنى عالم الحجاب الذين لم يتشوفوا الى عالم الملكوت ولم تفارق عقولهم الا بالظواهر خاصة بل هم معهم كائنون بائنو الحركات والسكنات والاجسام والاقوال واللسانا والحروف المنطوق بها كل ذلك متجانس مع العامة وهم محجوبون عنهم من وجه آخر فلا يعرف ما هم به وعليه الامن كان منهم اه والله اعلم ثم قال *

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده * يظل من الانكار فى لهب الجمر

المعنى ان الشيخ مصيب فى فعله فيعتقد ان الصواب فى ذلك الفعل فالمريد ان اعتقد الصواب مثل اعتقاد شيخه ربح ونجح وان خالف شيخه فى اعتقاده واعتقد ان شيخه على خطأ فى ذلك الفعل فانه لا محالة يصير امره الى فراق شيخه وعن فراق الشيخ كنى بلهب الجمر فانه يظل من الانكار فى فراق الشيخ الذى هو كلهب الجمر قال محيى الدين بن العربى رضى الله عنه ومن شرط المريد ان يعتقد فى شيخه انه على شريعة من ربه وبينة منه ولا يزن احواله بميزانه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر وهى محمودة فى الباطن والحقيقة فيجب التسليم وكم من رجل كاس خمر بيده ورفعه الى فيه وقلبه الله فى فيه عسلا والناظر يراه شرب خمرا وهو ما شربه الا عسلا ومثل هذا كثير وقد راينا من

يجسد روحانيته على صورة ويقيمها فى فعل من الافعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيه ولو قد راينا فلانا يفعل كذا وهو بمعزل عن ذلك الفعل بمعزل وهذه كانت احوال ابى عبد الله الموصلى المعروف بقضيب البان وقد عاينا هذا مرارا فى اشخاص اهـ قلت وقد سبق فى الباب الذى قبل هذا من كلام الشيخ رضى الله عنه ما هو ابهى واكثر من هذا فراجعه والله اعلم ثم قال *

فذو العقل لا يرضى سواه وان نأى * عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر

المعنى ان من له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرضى سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وان بعد الشيخ فى ظاهر الامر على الحق بعدا بينا كبعد الليل من الفجر ويقول ان للشيخ فى ذلك وجها مستقيما عسى ان يطلعنى عليه سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول ان المريد اذا عثر على شئ من هذه الامور التى تصدر من الاشياخ وتخالف الظاهر وحسن ظنه بشيخه فان الله تعالى يوقفه على اسرارها اذا فتح عليه قلت وقد سبق فى كلامه رضى الله عنه حكايات كثيرة عن المريدين الصادقين فراجعه فى الباب الذى قبل هذا والله اعلم ثم قال *

ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينا من النظر الشزر

النظر الشزر هو النظر يمينا وشمالا او هو نظر الغضبان بمؤخر العين او نظر فيه اغضاء فيه اقوال والمناسب للاول ان يكون ذا ثالث النظر لغير الشيخ فكانه يقول ولا تعرف فى حضرة الشيخ وفى محل جلوسه غيره ولا تنظر فى حضرته الى ذلك الغير يمينا او شمالا فكانه نهى عن معرفة ذلك الغير وعن الالتفات اليه واما المعنى الثانى والثالث للنظر الشزر فالمنظور اليه فيهما هو شيخ المريد فكانه يقول ولا تعرف فى حضرة الشيخ غيره ولا تنظر الى شيخك نظر غضب او ولا تنظر اليه نظرا فيه اغضاء كانه يتجاوز فيغضى

عن بعض ما فعله لكن هذان المعنيان لا يناسبان السياق فان سياق
الكلام مع مريد صديق يدوم مع شيخه حيثما دار فقيل له اذا
وصلت الى هذا المقام فلا تعرف غير شيخك وقد فلا يناسب ان
يقال له ولا تتعصب على شيخك وانما المناسب ان يقال له ولا تلتفت
الى غير شيخك لان معنى هذا الادب الجمع على الشيخ والاستغراق
فيه والانحياش اليه والغيبة في سره ليتيسر له ذلك مع الشيخ امثاله
مع الحق سبحانه لان كل ادب يستعمله المريد مع الشيخ فانه يتيسر
له مثله مع الله عز وجل واعلم ان هذا الادب لا يتاتى من المريد
ما لم يكن له من الشيخ جاذب باطني فان محبة الشيخ للمريد اذا اتصلت
اشعتها بالمريد تحوشه الى الشيخ وتخرطه من كل قاطع فاذا دامت
دام الاتصال وان انقطعت وقع الانفصال حتى قال بعض الاشياخ
لمريد له كان يلازمه كثيرا ويصلي معه الصلوات الخمس ولا يغيب
عنه في وقت من الاوقات وظن ان ذلك من محبته في الشيخ لا من
محبة الشيخ فيه فقال له الشيخ اتحبني فقال يا سيدي ومن محبتي
اليك وقع هذا الاتصال فقال له الشيخ ستعلم ففي ذلك الوقت
ما قدر على ان يصل الى الشيخ حتى مرت عليه سنة كاملة ولم يقدر
على مشاهدة شيخه فضلا عن ملازمته حتى عفا عنه الشيخ
وسامحه وقال بعض الاشياخ يوما لاصحابه اتحبوني فقالوا
نعم يا سيدي ما عندنا اعز منك فقال لهم وهل نحبكم انا فقالوا
لا ندري فقال ما جئتم بشيء انما سبقت محبتي لكم فلما اشرقت
انوارها فيكم انتجت محبتكم لي واما اصحاب الشيخ رضي الله عنه
فمنذ عرفوه بردت قلوبهم من معرفة غيره وزيارته وبعضهم يحس
بالمنع من ذلك حكى لي بعضهم انه جاء لزيارة الشيخ ووافقه
بعض الناس في الطريق وطلبوا منه ان يذهب معهم لزيارة ضريح
الولي الصالح سيدي قاسم ابي عسرية المشهور فاستحييت

وذهبت

وذهبت معهم والقلب بارد من زيارته فلما وصلت الى المشهد
اصابني وجع في بطني فبت ليلتي في ذلك المشهد والوجع يتزايد
حتى شغلني عن الزيارة ولما خرجت حين اصبح النهار من ذلك
المشهد زال الوجع وصار كانه لا شيء قال ووقع لي ذلك مرة اخرى
فعلمت ان ذلك من الشيخ رضي الله عنه قلت وعادة الشيخ
رضي الله عنه مع اصحابه ان يخبرهم بكل ما وقع لهم في الطريق
اذا قصدوا زيارته حتى انه يخبرهم بالكلام الذي يدور بينهم ويخبر
بما في بواطنهم ووقع لبعض اصحابه رضي الله عنه ما هو اقوى من
هذا وذلك انه احس بانه يمنع من زيارة الصالحين قبل ان يعرف
الشيخ بمدة تقرب من سبع سنين فحصل له قنط وظن ان ذلك شقاوة
وقساوة حتى جاء الى بعض من يظن فيه الخير وقال له يا سيدي
ان زيارة الصالحين تثقل علي فقال له انت هو الذي ثقل عليهم
فزاده قنطا على قنطه ثم قصد رجلا آخر يظن فيه الخير فشكى
اليه ذلك فقال له ان الولي قد يكون في حضرة الحق سبحانه فلا
تكون روحه بافنية القبور وقد لا يكون في الحضرة فتكون روحه
بافنية القبور فلعلك اذا جئت الى ضريحه تجده في الحضرة فلا
تكون روحه في قبره حتى يحصل لك انس به وتحصل لك وحشة
ويثقل عليك الحال فخفف عليه الامر بهذا الكلام الا انه قال ان
كنت كلما جئت وليا ازوره لا اجد روحه بفناء قبره فهذا عرف
من الشقاوة فبقي الى الآن لم يزل فلما جمعه الله تبارك وتعالى مع
الشيخ رضي الله عنه لم يكن عنده اهم من ان يساله عن هذا الامر
فقال يا سيدي ان زيارة الصالحين تثقل علي كثيرا وقد شكوت
الى سيدي فلان فقال لي كيت وكيت والى سيدي فلان فقال
لي كيت وكيت فما تقولون انتم رضي الله عنكم فقال له الشيخ
رضي الله عنه وقد نظر الى مشموم من الورد معلق في حانوت

فقال ان صاحب هذا المشموم ان اعطاه لكل احد يقلبه ويمسه
بيده فانه يفسد ويحصل فيه ذبول ويبس فالصواب في حقه
والاليق به ان يمنعه من كل احد قال فعلمت اني ممنوع من زيارة
غير الشيخ رضي الله عنه قبل ان اعرفه بسنين ووقفت حكاية
اخرى وهي ان رجلا من اصحابه رضي الله عنه كان يعتقد الخير
في بعض السادات وكان يحبه كثيرا ويزوره غالبا وله في صحبته
ما يقرب من سبع سنين حتى خامرت محبته شعره وبشره وعظمه
ولحمه حتى ملأت ذاته من قرنه الى ابهامه وكان يجزم بعد وفاة
ذلك الشيخ لا يعرف غيره ابدا لانه كان يعتقد انه لا نظير له قال
فجمعني الله مع الشيخ رضي الله عنه وبقيت معه ساعة فما قمت من
عنده حتى زالت تلك المحبة المتعلقة بذلك الميت باسرها وذهبت
من سائر جسده بشراشرها ولم يقدر من تلك الساعة على زيارة
ذلك الشيخ في قبره ابدا فسأل الشيخ رضي الله عنه فقال يا سيدي
رايت عجبا كنت احب سيدي فلانا محبة لا تكيف ولا توصف
وكنت اجزم بان غيره لا يحل محله ابدا فلما جالستك ساعة زال
ذلك كله والفرض ان ذلك الشيخ لم نتعرض له في تلك الساعة
ولا تجري له ذكر ولا تكلمنا في الاسباب التي تمحو محبته فقال له
رضي الله عنه ذلك الشيخ صادق وولي من اولياء الله تعالى
وانت في محبتك له صادق ولكن المحبة التي بينكما ليس لها اصل
تنزل عليه ثم ضرب له مثلا فقال كطفل صغير له اب ففرق الله
بينه وبين ابيه فالتقطه رجل آخر وجعل يربيه فكبر الولد ولا
يرى غير الرجل الذي كان يربيه فصار يقول له ابي ويحن له كما
يحن الولد الى ابيه حتى بقي عنده نحوا من سبع سنين ثم جاء
ابوه الذي هو ابنه من صلبه فوجد الولد جالسا بفناء دار الرجل
الذي يربيه فوقف امامه ساعة ثم مر عنه فان عروق ذلك الولد

تذهب كلها مع ابيه الذى هو من صلبه ولا يبقى شئ منها مع
الرجل المربى له فلا يحل احد فى قلبه محل ابيه من صلبه وان كان
قبل ذلك يظن ان الرجل المربى هو ابوه قال محي والله بهذا المثال
ما بقى فى قلبى من رشوحات تلك المحبة وقطعها من جدرها
وهكذا حال الاكابر رضى الله عنهم حتى قالوا ان المريدين بمثابة
اكواب الحمام فهى لمن غلب فالشيخ الذى يغضب على مريده حيث
يتركه ويذهب لغيره عاجز او عقيم فمن عجزه او عقمه ذهب مريده
لغيره وكم مرة يذهب الشيخ رضى الله عنه الى زيارة بعض الصالحين
فيخرج معه جماعة من اصحابه وفقهم الله فيقولون له انت مقصودنا
وانت الذى نزوره وذهابنا لسيدى فلان مساعفة لك ومؤانسة
لذاتك فانت مقصودنا سواء ذهبت لسيدى فلان نزوره او الى
غيره فاذا وصل الشيخ رضى الله عنه الى ضريح الولى الذى قصده
يذهب وحده او يستصحب واحدا من اصحابه ليرافقه وبقية
اصحابه قانعون بالشيخ رضى الله عنه مكتفون به معتقدون انه
لا يبلغه احد من اهل زمانه رضى الله عنه ولا من الاموات
قبله وانما يقدمون عليه ساداتنا الصحابة لا غير فهم لا يعرفون
غير الشيخ رضى الله عنه حضر الشيخ او غاب فى حياته وبعد
مماته ولما مات الشيخ رضى الله عنه كنت اتكلف الذهاب الى
زيارته فى قبره كثيرا فوقف علىّ فى المنام وقال لى ان ذاتى ليست
بمحجوبة فى القبر بل هى فى العالم كله عامرة له ومالئة له وفى اى
موضع تطلبني تجدنى حتى اذا قمت الى سارية فى المسجد وتوسلت
بى الى الله عز وجل فانى اكون معك ثم اشار الى العالم كله وانا
فيه باجمعه فحيثما طلبتني وجدتنى واياك ان تظن انى انا ربك
عز وجل فان ربك عز وجل غير محصور فى العالم وانا محصور
فيه هذا ما سمعته منه رضى الله عنه فى المنام وكذا سمعته

رضى الله عنه يقول فى حياته ان العالم كله قد يكون احيانا فى وسط
جوفى وسمعته رضى الله عنه احيانا يقول ما السموات السبع
والارضون السبع فى نظر العبد المؤمن الا كحلقة ملقاة فى فلاة
من الارض فواجب ايضا ان تختلف حضرة الشيخ فى قوله ولا تترفن
فى حضرة الشيخ غيره بحسب مقامات الاشياخ رضى الله عنهم
فحضرة شيخنا رضى الله عنه هى العالم باسره والله اعلم ثم قال
ولا تنطقن يوما المريد فان دعا * اليه فلا تعدل عن الكلم النزر
يقول والله اعلم لا تنطق فى وقت من الاوقات عند شيخك فان
سالك عن شئ فلا تعدل عن الجواب الذى تدعو اليه الحاجة الى
الاكثار والتطويل فان ذلك يزيل هيبة الشيخ وهذا والله اعلم
مالم يطلب منه الشيخ الاكثار من الكلام فان طلب منه ذلك
وكان للشيخ فيه غرض فانه ينبغى له ح الاسهاب والتطويل
مراعيا خاطر الشيخ فاذا رآه شبع من الكلام فانه يجب عليه
الرجوع الى ادبه وقد سبق ماكان يقوله لنا الشيخ رضى الله عنه
حين يغيب فى المشاهدة اهدروا على كثيرا فان الله ياجركم
على ذلك يعنى لانه يرجع بذلك الى حسه واصل هذا الكلام
الذى فى البيت لصاحب العوارف قال فيها بعد ان ذكرنا وبلات
فى قوله تعالى لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وقيل نزلت
فى اقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا سال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ خاضوا فيه
وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا ادب المريد فى
مجلس الشيخ ينبغى ان يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرته من
كلام حسن الا اذا استامره الشيخ فى ذلك ووجد من الشيخ فسحة
وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر
رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع ومايرزق من طريق

كلام

كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله تعالى وتطلعه الى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شيء لنفسه وذلك جناية المريد وينبغي ان يكون تطلعه الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يباديه الشيخ بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصديقين يرفع قلبه الى الله تعالى ويستمطر ويستسقي لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق ماخوذين الى فصل الوقت من احوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليه ثم قال ويكون الشيخ فيما يجريه الحق سبحانه وتعالى على لسانه مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ ابو السعود رحمه الله يكلم الاصحاب بما يلقى اليه ويقول انا في هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال اذا كان القائل يعلم ما يقول فكيف يكون مستمعا فرجع الى منزله فرأى في ليلته في المنام كان قائلا يقول له اليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويرجع بالصدف في مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم في المنام اشارة الشيخ في ذلك فاحسن آداب المريد مع الشيخ السكون والخمود والجمود حتى يباديه الشيخ بما فيه المصلحة قولا وفعلا اهـ والله اعلم ثم قال ＊

ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوته ＊ ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر

يقول والله اعلم لا ترفعوا ايها المريدون اصواتكم فوق صوت الشيخ فان ذلك يخل بالادب ولا تجهروا له بالقول كجهر سكان القفار والبوادي الذين معهم جفاء وجلافة ولكن عظموه وفخموه وقولوا يا سيدي ويا استاذي ويا ولي الله ونحو ذلك واصل هذا الكلام

الآية الشريفة يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون قال السهروردي في العوارف رضي الله عنه
ومن تاديب الله تعالى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي كان ثابت بن قيس بن
شماس في اذنه وقر وكان جوهري الصوت وكان اذا تكلم جهر
بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته
فانزل الله الآية تاديبا له ولغيره ثم قال بعد ان ذكر رواية في سبب
نزولها وانما نزلت في منازعة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بحضرته
قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية الى ابي بكر
ان لا يتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم الا كاخي السر فهكذا
ينبغي ان يكون المريد مع شيخه فلا ينبسط برفع الصوت وكثرة
الضحك والكلام الا اذا باسطه الشيخ فرفع الصوت القاء لجلباب
الوقار واذا سكن القلب عقل اللسان وقد ينال باطن بعض
المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع ان يشبع النظر
الى الشيخ ثم قال ابن عطاء في قوله لا ترفعوا اصواتكم زجر عن الادنى
لئلا يتخطى احد الى ما فوقه في ذلك وقال سهل لا تخاطبوه الا مستفهمين
وقال ابو بكر بن طاهر لا تبدأوه بالخطاب ولا تجيبوه الا على حدود
الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي لا تغلظوا له
في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد كما ينادي بعضكم
لبعض ولكن فخموه وعظموه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن هذا القبيل يكون الخطاب للمريد مع الشيخ
واذا سكن الوقار في القلب ظهر على اللسان كيفية الخطاب ولما
كلفت النفس بمحبة الاولاد والازواج وتمكنت اهوية النفوس

والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة هي تحت وقتها صاغها كلف النفوس وهواها واذا امتلأ القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان العبارة ثم قال بعد ان ذكر ما فعل ثابت بن قيس رضي الله عنه لما نزلت الآية من تقييده نفسه وما شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عيشته سعيدا وموته شهيدا ودخوله الجنة وما آل اليه امره من نزول قوله تعالى فيه ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية والشهادة والوصية بعد الموت واجازة ابي بكر رضي الله عنه لها قال فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وادبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق وليعلم ان الشيخ تذكرة من الله تعالى ورسوله وان الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الادب اخبر الحق عن حالهم واثنى عليهم فقال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اخلص قلوبهم واختبرها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه فكان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لما تهذب القلب فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ قال ابو عثمان الادب عند الاكابر في مجلس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الدنيا والعقبى الا ترى الى قوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ثم قال بعد كلام في قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وفي هذا تاديب للمريد في الدخول على الشيخ والاقدام عليه وترك الاستعجال وصبره الى ان يخرج الشيخ من موضع خلوته ثم قال *

ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده * فلا قبح الا دون ذلك فاستقر

قال عياض الضحك حالة تعتري بوجها سرور ويغلب فتنبسط له

عروق القلب فيجري فيها الدم فيفيض الى سائر عروق الجسد
فتثور لذلك حرارة ينبسط لها الوجه ويضيق منها الفم وينفتح
وهو التبسم فاذا زاد السرور وتمادى ولم يضبط الانسان نفسه
قهقه اهـ اى لا ترفعن بالضحك صوتك عند الشيخ فلا قبح من
الامور التى سبق ذمها والنهى عنها الادون رفع الصوت بالضحك
بحضرة الشيخ اى فهو فوقها كلها فى القبح وقوله فاستقر هكذا
بالقاف من الاستقراء فى بعض النسخ اى استقرالامور المذمومة
فانك تجد هذا الامر فوقها فى القبح وفى بعضها بالعين المهملة هكذا
فاستعر من الاستعراء وهو طلب التعرى من هذا الامر الذميم اى
فتخلص من هذا الامر وتخل عنه وفى العوارف ونصب معرفة
الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس
الحيوان ولا يكون الضحك الا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى
الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال
فيه شان من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل اياك وكثرة الضحك
فانه يميت القلب وقيل كثرة الضحك من الرعونة وروى عن
عيسى انه قال ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء من
غير ارب ثم قال وجعل ابو حنيفة رحمه الله القهقهة من
الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال نقيم الاثم مقام خروج
الخارج اهـ ثم قال ــــــ *

ولا تقعدن قدام متربعا * ولا باديا رجلا فبادر الى الستر

معناه ظاهر وقال ابو طالب المكى رضى الله عنه وكان من
هدى العلماء فى قعودهم ان يجمع احدهم فى جلسته وينصب
ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه
كذلك كان من شمائل كل من تكلم فى هذا العلم خاصة من عهد
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمان الحسن

البصرى

البصري وهو اول من تكلم في هذا العلم وفتق الالسنة به الى
وقت ابي القاسم الجنيد قبل ان تظهر الكراسي وكذلك روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء
ويحتبي بيديه وفي خبر آخر كان يقعد على قدميه ويجعل يديه
على ركبتيه ثم قال وانما كان يجلس متربعا النحويون واهل
اللغة وابناء الدنيا من العلماء المفتين وهي جلسة المتكبرين
ومن التواضع الاجتماع في الجلسة اهـ فللمريد اسوة حسنة
في النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من العلماء الزاهدين
اهل المعرفة واليقين ثم قال *

ولا باسطا سجادة بحضوره * فلا قصد الا السعي للخادم البر
وسجادة الصوفي بيت سكونه * ولا وكر الا ان يطير عن الوكر

يقول والله اعلم ولا تكن ايها المريد باسطا سجادة تجلس عليها
بحضور شيخك فان ذلك ينافي مقصودك فان مقصودك خدمة
الشيخ والقيام باموره وبذل النفس في حوايجه ومهماته واشتغالك
بالجلوس على السجادة يقتضي طلب الراحة ويوهم التساوي مع
الشيخ في الدرجة ومحل سجادة الصوفي بيت سكناه لا مجلس شيخه
بل ينبغي له في مجلس شيخه التواضع والتصاغر والاشتغال بالخدمة
وقوله ولا وكر الا ان يطير عن الوكر هو عش الطائر الذي ياوي
اليه واطلقه هنا على مجلس الشيخ الذي ياوي اليه المريدون والمعنى
وكما انه لا سجادة لك مع حضور الشيخ فلا وكر لك معه اي
لا مجلس لك معه يجتمع عليك الناس فيه وتنصرف اليك فيه
الوجوه فان في ذلك سوء ادب مع الشيخ وقطيعة وعقوقا اللهم
الا ان تكون تربيتك كملت ووصل لك الفطام واذن لك الشيخ
بالتربية والاستقلال وصرت اماما مربيا فلا باس بالجلوس حينئذ
لكن بعد الانفصال عن الشيخ وفراقه لمحل آخر وعنه كنى بقوله

الا ان يطير عن الوكر اى الا ان يكمل امره ويطير عن شيخه ويستقل بنفسه كالفرخ الذى كملت تربيته وقدر على الطيران فانه يستقل بامره ولا يحتاج الى ابيه وقوله فلا قصد الا السعى للخادم البر اى لا غرض للخادم البر الصادق فى الارادة الا السعى فى حوائج الشيخ ومهماته قال فى العوارف ومن ادابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا لوقت الصلاة فان المريد من شانه التبتل بالخدمة وفى السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز ثم قال فى موضع آخر بعد كلام والخدمة شان من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه لنفائس الاحوال فيقوم بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب اهل الله اليه فتشمله بركة ذلك ويعين الاخوان المشتغلين بالعبادة الى ان قال والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهى طريق من طرق المواجيد تكسبهم الاوصاف الجميلة والاحوال الحسنة ثم قال *

ومادمت لم تفطم فلا فرجية * عليك ولا تلقى عليها بمسجر

يقول والله اعلم ومادمت ايها المريد لم تفطم عن رضاع التربية ولم تبلغ الى درجة الاستقلال فلا ينبغى لك لباس ما هو من زى الشيوخ كالفرجية وهى لباس معروف عندهم والمسجرى هو الذى له جردة على الشئ قال ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى رضى الله عنه ويكره لبس الفرجية ايضا الا للمشايخ فانها بمنزلة الطيلسان والسجادة فالطيلسان للمشايخ والبرانس للمريدين اهـ وهذا الحكم جار فى كل زى للشيوخ لان العلة واحدة وهو يختلف باختلاف الاعراف ثم قال *

ولا ترين فى الارض دونك مؤمنا * ولا كافرا حتى تغيب فى القبر

يقول والله اعلم ولا ترين ايها المريد فى الارض مؤمنا او كافرا

ادنى منك منزلة واخفض منك عند الله مرتبة بل اعكس الامر
وقل انك دون كل احد واستمر على ذلك الى ان تموت قال ابو يزيد
البسطامي رضي الله عنه ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو
متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا
وتواضع كل احد على قدر معرفته بربه وبنفسه وقال في العوارف
وقد سال يوسف بن اسباط ما غاية التواضع فقال ان تخرج من
بيتك فلا تلقى احدا الا رايته خيرا منك ورايت شيخنا ضياء
الدين ابا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث له
ابناء الدنيا طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم
فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاوانى حتى تفرغ قال
للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء
بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته
ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فاكل واكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه
والانسلاخ من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله وقال الشيخ
ابو الحسن بن عتيق بن مؤمن القرطبي رحمه الله رايت الشيخ الفقيه
ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ... وكان من الفقهاء العلماء
يوما وهو يمشي في يوم شات كثير المطر والطين فاستقبله كلب
يمشي على الطريق الذي كان يمشي عليها قال فرايته قد لصق بالحائط
وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز ويمشي هو فلما
قرب منه الكلب رايته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل
اسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جازه الكلب وصلت
اليه فوجدته عليه كآبة فقلت يا سيدي رايتك الآن صنعت
شيئا استغربته كيف رميت نفسك في الطين وتركت الكلب يمشي
في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تفكرت وقلت

ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني
واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب
لاذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الآن
اخاف المقت من الله الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على من
هو خير مني وقال ذو النون رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه
نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى عظمة الله
تعالى وسلطانه ذهب عنه سلطان نفسه لان النفوس كلها
صغيرة عند هيبته فاذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع
تواضع للخلق لا محالة لرؤية نسبتهم من الحق تعالى ولذلك قال
في العوارف ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع للخاص على
بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق اهـ والله اعلم ثم قال

فان ختام الامر عنك مغيب * ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

يعني ان الخاتمة مجهولة وجهلها يقتضي ما سبق وهو انه لا يرى
احدا دونه فان كان الشخص ذا خسر فلا اشكال في خوفه وان
كان ذا عمل صالح فانه لا يامن مكر الله قال ابن العربي الحاتمي رضي
الله عنه ومن ادابهم مع الله تعالى وقليل فاعله ان يعتقد الانسان
ان لله نظرات في كل زمان الى قلوب عباده يخصهم فيها من معارفه
ولطائفه ما شاء فاذا فارق شخصا ساعة واحدة واعرض عنه
نفسا واحدا وهو جالس معه ثم عاد اليه فانه يتهيأ للقائه
بالخدمة والتعظيم لعل نظرة حصلت له من تلك النظرات بما
فرقه فان كان الامر كذلك يعني بان حصلت له نظرة من تلك
النظرات فقد وفى معه الادب وان لم يكن غير ذلك يعني بان
لم يحصل له شيء من تلك النظرات فقد تادب مع الله تعالى
حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الالهية وهذا مقام عزيز
قل ان ترى له ذائقا و[illegible] على حالب

عصيانه ثم زال عن تلك المعصية فانهم لا يعتقدون فيه الاصرار ويقولون لعله تاب في سره ولعله ممن لا تضره المعصية لاعتناء الباري به في عاقبة امره ومن نظر نفسه خيرا من احد من غير ان يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله عز وجل مخدوع لا خير فيه ولو اعطي من المعارف ما اعطي اه وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومن خوف العارفين علمهم بان الله عز وجل يخوف عباده بما شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الخائفين في علمهم ان الله تعالى قد اخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين واخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله اعلم بما وراء ذلك فصار من اهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لاصحابهم وهذا داخل في وصف من اوصافه وهو ترك المبالاة بما ظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك احد من اهل المقامات في مقام ولا نظر احد من اهل الاحوال الى حال ولا امن من مكر الله عز وجل عالم به في كل الاحوال اه وقال ابو حامد رضي الله عنه ان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هو ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ثم قال بعد كلام طويل قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته خمسين سنة بالتوحيد اسطوانة فمات لما قطعت له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم

لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة
لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من
باب الحجرة الى باب الدار وكان سهل يقول خوف الصديقين من
سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى
اذ قال تعالى وقلوبهم وجلة قال وكان سهل يقول المريد يخاف
من المعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول
اذا توجهت الى المسجد فكان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي
الى البيعة او لبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار
فهذا دابي كل يوم خمس مرات ووقعت حكاية غريبة من هذا
المعنى سمعتها من الشيخ رضي الله عنه سمعته رضي الله عنه يقول
لقيت بمكة شرفها الله أبا الحسن على الصدغاء الهندي فوجدته على
حالة غريبة وذلك انه اذا اراد ان يخطو خطوة يرفع رجله وترتعد
في الهواء ثم يردها فترتعد ثم يعيدها الى ناحية الخطوة فترتعد ولا
يكمل الخطوة حتى يقول من رآه ما به الا الجنون ثم هكذا في كل خطوة
وكذا اذا دفع طعاما الى فيه يقع له مثل ذلك فيمد يده الى ناحية
فمه فترتعد ثم يردها فترتعد ثم يردها الى ناحية فمه فترتعد ولا
يجعل اللقمة في فيه حتى يرحمه كل من يراه وكذا يقع له مثل ذلك
اذا اراد ان يضطجع ويبلغ به الحال الى ان وقع له ذلك في كل حركة
اختيارية منسوبة اليه حتى وقع له ذلك في تغميض الجفن وفتحه
فلما رايت منه ذلك اكربني واحزنني غاية حتى رحمته فقلت له يا ابا
الحسن ما هذه الحالة التي انت عليها وقد جعلك الله من اوليائه
وخواص اصفيائه ومن كبار العارفين به ومن اهل الديوان وذلك
سالمة صحيحة لا علة فيها فقال ما ذكرت هذا الذي حل بي لاحد
سواكم وساذكره لكم وهو ان الله تعالى وله الحمد اطلعني على
مشاهدة فعله في مخلوقاته فانا ارى فعله ساريا في الخليقة عيانا

لا يغيب على منه شيء ثم اطلعني الله تبارك وتعالى وله الحمد والمن
فضله على اسرار فعله وقضائه وقدره في خليقته فانا اشاهد
تلك الافعال واعلم لم كانت واعلم اسرار القدر فيها بحيث لا يخفى على
شيء من تلك الاسرار ثم نظرت الى فعله في فوجدته قد حجبني عن
مشاهدته ومشاهدة اسراره فوقع في ظني انه ما حجبني عن
مشاهدته الا لشر اراده بي بان يكون سخطه تعالى مقرونا بفعل من
افعالي فحجبني عن الجميع حتى لا اعلم الذي يكون هلاكي به فاجتنبه
فلذا صرت خائفا من كل فعل اختياري منسوب لي واجوز في كل
فعل من افعالي الاختيارية ان يكون هو سبب هلاكي فما من فعل من
افعالي الا وانا اخاف منه فلذلك صرت اتضرع الى الله تعالى بظاهري
وباطني واستحضر الخوف من الفعل الذي اريد ان اقدم عليه واساله
تعالى ان لا يكون ذلك الفعل سببا لهلاكي وللحركة الاولى في مد
رجلي فعل فارتعد منها فاخاف فاردها وارتعد خوفا من الرد
وهكذا في كل فعل قال الشيخ رضي الله عنه فما زلت اذكره بالله
عز وجل واذكر له سعة رحمته وقوله في الحديث القدسي انا
عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء فان ظن بي خيرا اعطيته خيرا
الحديث وهو يسمع لكلامي حتى ظننت انه سيرجع عن حالته تلك
ثم عاوده ظنه وبقي على حالته وكل من رآه يرحمه ويدعو له بتبدل
الراحة هذه او بهذه قال رضي الله عنه وتمنيت ان يراه اهل
الحجاب ويعلمون بسر حاله وشدة خوفه من الله عز وجل وعظيم
مراقبته له سبحانه في كل حركة وسكون حتى يعلموا ما هم عليه من
الانهماك في الشهوات والقطيعة عن الله عز وجل قال رضي الله
عنه وانما اخفى سبحانه فعله فيه عن مشاهدته لرحمة ارادها
به فانه لو اطلعه على ذلك وصار يشاهد الفعل فيه لذابت ذاته
ولما اراد تعالى بقاءه واستمراره الى اجل معين اخفى عليه فعله

فيه ومشاهدة فعل الرب سبحانه بالعبد كما ثبتت له ثبتت لغيره من الاولياء بل وكذا سائر الانبياء والحادث كيفما كان لايطيق * مشاهدة فعل الرب فيه والالذاب وانما الذي يطيقه الحادث مشاهدة فعل الرب في غيره والله اعلم ثم قال

* ولاتنظرن يوما الى الخلق انه * يخلي طليق الصفو في كدر الاسر

لما نهى المريد عن التكبر على الخلق والازدراء بهم حذره من الافراط في الجانب الاخر كي لايجعلهم قبلة ويرائيهم في افعاله وينظر اليهم في احواله واقواله فقال ولاتنظرن يوما اي لحظة من الزمان ووقتا من الاوقات الى الخلق فتراعيهم في احوالك وافعالك واقوالك وشؤنك كلها من عبادات وعادات فان النظر اليهم في ذلك والتقييد بهم يخلي الطليق الصافي من العلل والافات في كدر اسر العلل والافات لانك حيث نظرت الى الخلق في افعالك واقوالك يدخل عليك الرياء والتصنع لهم والتزين لهم وتحسين مواضع نظرهم منك ولهذا قال الشيخ ابو عبد الله القشيري رضي الله عنه من لم يقنع في اقواله وافعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لامحالة وقال بشر الحافي رضي الله عنه ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا افتضح وقال ايضا لايجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وقال بعضهم ولا تطمع في المنزلة عند الله وانت تريد المنزلة عند الناس قال في العوارف وهذا اصل ينفسد به كثير من الاعمال اذا اهمل وينصلح به كثير من الاحوال اذا اعتبر وهذا الكلام هو اصل هذا البيت وكنت مع الشيخ رضي الله عنه ذات يوم بباب الحديد فنظر الي وقال لايطمع احد في معرفة الله وهو لايعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يطمع احد في معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لايعرف شيخه ولا يطمع احد في معرفة شيخه وهو لم يصل على الناس صلاته على الجنازة فاذا اخرج الناس من

نظره

نظرة وصار لايبالى بهم فى اقواله وافعاله وشؤنه كلها جاءته
الرحمة من حيث لا يحتسب ويعجب الشيخ رضى الله عنه من
لايبالى بنظر الناس اليه ويحكى لنا فى هذا الباب اسرار نفيسة
وفقنا الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه آمين والله اعلم ثم قال

وان نظم الحق الكرامات اسطرا * فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر
سوى الشيخ لا تكتمه سرا فانه * بساحة كشف السر يجرى على بحر

سبق ان المريد اذا صلى على الناس صلاته على الجنازة وخرجوا من
نظره فان الرحمة تاتيه من حيث لا يحتسب ولذلك قال وان
نظم الحق الكرامات اى وان رحمك الله سبحانه حيث اغمضت
نظرك فيه وظهر لك كرامات كثيرة فالادب ان تكتمها ولا تذكرها
لاحد سوى الشيخ فلو تكتمه شيئا منها فانه طبيبك العارف بعللك
التى تقطع عنك الطريق ومن كان بهذه الصفة فهو جدير بان
تكشف له الاسرار وترفع دونه الاستار وقوله فانه بساحة
كشف السر يجرى على بحر اى فان الشيخ لمعرفته بعللك بمثابة من
يجرى على بحر فى ساحة كشف السر والساحة هى المحل هنا والمعنى
فان الشيخ يجرى على بحر فى محل كشف السر قال فى العوارف ومن
الادب ان لا يكتم عن الشيخ شيئا من حاله ومواهب موارد فضل
الحق عنده وما يظهر له من كرامة او اجابة ويكشف للشيخ من
حاله ويعلم الله تعالى منه وما يستحيى من كشفه يذكره ايماء وتعريضا
فان المريد متى انطوى ضميره على شيئ لا يكشفه للشيخ تصريحا
وتعريضا يصير على باطنه عقدة فى الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل
العقدة وتزول ثم قال فى آداب الشيخ ومن جملة مهام الادب
حفظ اسرار المريدين فيما يكاشفون ويمنحون من انواع المنح فسر
المريد لا يجاوز ربه وشيخه ثم يحسن الشيخ فى نفس المريد ما يجده
فى خلوته من كشف او سماع خطاب او شيئ من خوارق العادات

ويعرفه ان الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله تعالى اي الغرض
منه قلت وكنت اتكلم ذات يوم مع الشيخ رضي الله عنه في قوله
تعالى الست بربكم قالوا بلى فذكر لي في ذلك كلاما نفيسا فتاولت
فيه تاويلا يحصل في الصلاة ففرحت به وذكرته الشيخ رضي
الله عنه فساعفني في اول الحال ثم بعده بايام قال لي اترك ذلك
عنك فلم افهم سره ولم يزل رضي الله عنه يزجرني عن ذلك حتى
تبين لي بعد ذلك انه لو طال علي لجرني الى امور قبيحة فحمدت الله
تعالى وعلمت انه من بركته رضي الله عنه وشكوت له ذات يوم
رضي الله عنه شيئا من الامور التي تعرض لنا فقال لي رضي الله
عنه انه لا يقع لك ولا يعرض لك بعد هذا ابدا فكان الامر كذلك
وكانما ضرب بيني وبينه بسور وشكوت له رضي الله عنه ذات
يوم امرا نزل بي فيه ضرر في الدين والدنيا لا تؤمن غائلته فقال
لي رضي الله عنه اما في الدنيا فلا تخش منه ابدا ولا يقع لك
منه شر اصلا واما في الاخرة فانا اتكفل لك على الله تعالى انك
لا تسال عن هذا الامر ولا تحاسب عليه فكان الامر في الدنيا كما
قال رضي الله عنه ونرجوا من الله سبحانه ان يكون الامر في الاخرة
كما قال رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول لنا لا تكتموا عني
شيئا من الامور التي تنزل بكم في الدين والدنيا واخبروني حتى
بالمعاصي التي تقع لكم وان لم تخبروني اخبرتكم فانه لا خير في
صحبة يستتر معها شيء من احوال المتصاحبين وكان رضي الله
عنه يقول اما انا فلا اكتم منكم شيئا من اموري ثم يشرح لنا
رضي الله عنه حاله حتى بلغ الى وقته ذلك ويذكر لنا جميع
ما وقع له من العاديات وغيرها ويقول لنا رضي الله عنه ان
لم اخبركم ولم اطلعكم على احوالي فان الله يعاقبني ويحاسبني
لانكم تظنون بي الخير فاصبروا حتى اذكر لكم الامور الباطنية

التي لم تطلعوا عليها من شاء منكم بعد ذلك ان يبقى معي فليبق وىحل يحل لي اكل طعامه وقبول هديته ومن شاء ان يذهب فليذهب فان سكوتي عن ذكر تلك الامور غش لكم وما كان رضي الله عنه لاصحابه الا رحمة محضة يشفع لهم في زلاتهم ويتكفل لهم بنوائبهم ويتحمل لهم كلما يخشون عاقبته ويهتم لامورهم اكثر ما يهتم لامورهم وقال لي رضي الله عنه ذات يوم الرجل الذي لا يشاطر صاحبه في سيئاته ما هو بصاحب له وقال انه لم تكن الصحبة الا على الحسنات فما هي بصحبة وبالجملة فما كان رضي الله عنه الا رحمة مرسلة من الله عز وجل فعلى مثله يبكى الباكون ولو ردنا تفصيل ايمان الجزئيات الواقعة لنا معه ولغيرنا في هذا الباب لطال الكلام فظهر بهذا قوله في العوارف وبالقلب مع الشيخ تحل العقدة والله اعلم ثم قال *

وفي الكشف ان كوشفت راجع له * انتوضح ما كوشفت مبتسم الثغر

اي راجع ايها المريد شيخك في الكشف ان كوشفت بشئ انه اي الشيخ مبتسم الثغر لايضاح الكشف اي انه مسرور وراض بسؤالك له عن الكشف فيوضح لك سره قال السهروردي رضي الله عنه وقد تتجرد للذاكر الحقائق من غير مثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالى اياه ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لامن باطنه كالهواتف يعلم بذلك امرا يريده الله له اولغيره فيكون ذلك اخبارا من الله تعالى اياه ليزداد يقينه وفوق هذا كله من كوشف بصرف اليقين بخلاف ما قبله من الكشف فانه قد يقع للبراهمة والفلاسفة والدهريين والرهبانيين وغيرهم ممن سلك طريق الخذلان والردى يكون ذلك في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مقام الطرد

والبعد ابقاءً لهم فيما اراد منهم من العمى والضلال والردى والوبال
حتى لا يغتر السالك بشيء من ذلك ويعلم انه لو مشى على الهواء
والماء لا ينفعه ذلك حتى يؤدى حق التقوى والزهد اهـ الغرض
منه مختصرا وملفقا فلذا احتيج الى الشيخ فى الكشف حيث كانت
غائلته لا تؤمن ثم قال *

ولا تنفرد عنه بواقعة جرت * ففى عشا عيناك والسمع فى وقر

العشا ضعف فى البصر والوقر ثقل فى الاذن وقيل ذهاب السمع
كله واما الواقعة فالذى يؤخذ من كلام صاحب العوارف انها
ظهور الحقائق فى صورة مثال كما ان الكشف ظهور الحقائق لا فى
صورة مثال مثال ذلك الظفر بالعدو فان النائم قد يرى فى منامه
انه يظفر بعدوه فاذا ظفر به بعد ذلك كانت رؤياه لا تحتاج الى
تعبير وقد يرى النائم فى منامه الظفر به فى صورة مثال كما اذا رأى
انه قتل حية فاستيقظ فظفر بعدوه فحقيقة الظفر ظهرت فى صورة
مثال فيحتاج رؤياه الى تعبير وفى القسم الاول ظهرت له تلك الحقيقة
بلا صورة فما يكاشف به الشخص فى حال يقظته ان كان فى غير
صورة مثال فهو كشف وان كان فى صورة مثال فهو واقعة وقد
تكون مثالا فارغا خاليا من الفائدة ليس وراءه معنى ولا حاصل
نظير اضغاث احلام التى تقع فى المنام فلا تكون واقعة لان
شرط صحة الواقعة الاخلاص فى الذكر اولا ثم الاستغراق فى الذكر
ثانيا وعلامة ذلك الزهد فى الدنيا وملازمة التقوى فالمعنى ح
ولا تنفرد عن الشيخ بواقعة جرت لك فانك ضعيف السمع والبصر
والشيخ هو الناقد النافذ قال فى العوارف ومن آداب المريد
مع الشيخ ان لا يستقل بواقعة وكشف دون مراجعة الشيخ
فان الشيخ علمه اوسع وبابه المفتوح الى الله تعالى اكبر فان كانت
الواقعة صحيحة امضاها الشيخ وان كان فيها شبهة ازالها الشيخ

ثم اطال فى ذلك وقال ايضا ومن لطائف ما سمعت من اصحاب
شيخنا رضى الله عنه انه قال ذات يوم لاصحابه نحن محتاجون
الى شئ من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم وما يفتح الله عليكم ائتونى
به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسماعيل البطائحى
ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذى فتح لى فى واقعتى
فاخذ الشيخ الكاغد فلم يكن الا ساعة واذا بشخص دخل ومعه
ذهب فقدمه بين يدى الشيخ ففتح القرطاس واذا هو ثلاثون
صحيحا فنزل كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسماعيل
او كلام هذا معناه وقال ايضا وقد تنكشف الحقائق فى لبسة الخيال
او فى صورة مثال كما تنكشف الحقائق للنائم فى لبسة الخيال كمن
رأى فى المنام انه قتل حية فيقول المعبر تظفر بالعدو ثم اطال فى ذلك
وبين فيه الفرق بين الواقعة والكشف وبين الواقعة الصحيحة
والتى هى خيال محض وافى فى ذلك بنحو الورقة من القالب الكبير
وقد لخصت زبدته فى شرح هذا البيت والذى قبله والله اعلم ثم قال

وفر اليه فى المهمات كلها * فانك تلقى النصر فى ذلك القرب

معناه ظاهر قال فى العوارف وليعتقد المريد ان الشيخ باب فتحه
الله الى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج واليه يرجع وينزل
بالشيخ حوائجه ومهماته الدينية والدنيوية ويعتقد ان الشيخ
ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع فى ذلك الى الله للمريد
كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة
فى النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو امانة
الله عنده ويستغيث الى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج
نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فارسال
الرسول يختص بالانبياء والوحى كذلك والكلام من وراء حجاب

بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ اهـ وقال
ايضا ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ
فى شئ من امر دينه او دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ
والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع
كلامه فكما ان للدعاء اوقاتا وادابا وشروطا لانه مخاطبة لله تعالى
فالقول مع الشيخ ايضا آداب وشروط لانه من معاملة الله تعالى
ويسال الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من
الادب اهـ وقد سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول الشيخ للمريد
فى درجة لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فايمانه
معلق به وكذا سائر اموره الدينية والدنيوية وارباب البصائر
يشاهدون ذلك عيانا وكنت اخرج معه رضى الله عنه كثيرا
وانا لا اعرف درجته فكان يقول لى مثلك مثل من يصل يمشى
على اعالى اسوار المدينة وشرفاتها مع ضيق المحل الذى تجعل
فيه رجلاك وبعد محل السقوط فلم افهم معنى هذا الكلام الا
بعد حين فكان بعد ذلك اذا جرى هذا الكلام على خاطرى
يحصل لى منه روع عظيم وخوف شديد وقلت له ذات يوم
انى اخاف من الله تعالى من امور فعلتها فقال لى ما هى فذكرت
له ما حضر فقال لى رضى الله عنه لا تخف من هذه الاشياء ولكن
اكبر الكبائر فى حقك ان تمر عليك ساعة ولا اكون فى خاطرك
فهذه هى المعصية التى تضرك فى دينك ودنياك وقلت له مرة
ياسيدى انى بعيد من الخير فقال رضى الله عنه اطرح عنك
هذا وانظر الى منزلتك عندى فعليها تعمل وكنا معه رضى الله
عنه على حالة قل ان يسمع بمثلها لا ينزل بنا امر مهم او غيره
الا ذكرناه له ويحمله علينا عيانا ويبرح خاطرنا منه بمجرد ذكره
له وكان رضى الله عنه عاذبا ويحبنا ويزيل الحياء عنا

ويفاتحنا بالامور قبل ان نسأله عنها ويقول لنا لا تجعلوني في مقام الشيخ انما انا لكم بمنزلة الاخ ومقام الشيخ لا تطيقون القيام بآدابه فانا اسامحكم واجعلكم في حل من ذلك واجعلوني بمنزلة الاخ تدوم الصحبة بيننا وبينكم والله يجازيه عنا افضل الجزاء بمنه وكرمه ولو رمنا ان نشرح هذه النبذة التي اشرنا اليها من حال الشيخ رضي الله عنه لطال الحال والله اعلم ثم قال

ولا تكن ممن يحسن الفعل عنده * فيفسد الا ان يفر الى الكسر

في هذا البيت تحذير من العجب الذي يضر بالعمل اي ولا تكن من الذين تحسن عندهم اعمالهم وتعجبهم فانها تفسد بذلك لان العجب مفسد للاعمال وقوله الا ان يفر بالياء من اسفل في بعض النسخ وفي بعضها بالتاء من فوق والمعنى ظاهر عليهما اي لكن اذا فررت من ذلك العجب والاستحسان الى الرجوع الى الله تعالى فان فعلك لا يفسد لانك اذا رجعت الى الله تعالى تجده هو المتصرف فيك والمجري ذلك عليك وانك وعاء من جملة الاوعية لا فرق بينك وبين غيرك وترى نفسك فيما صدر منك من الاستحسان كمن يفتخر بفعل غيره فتستبدل العجب بالحياء من الله تعالى والخوف من مقته والشكر له على جزيل نعمته والعجب دليل على عدم قبول العمل حتى قال بعض العارفين من علامة قبول العمل نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية يدل له قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل انه لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع اليه وقال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما كل شيء من افعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل انه لم يقبل منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل القبول اهـ ثم قال

ومن حل من صدق الانابة منزلا * يرى العيب في افعاله وهو مستبري

اى ومن حل ونزل من صدق الانابة الى الله والرجوع اليه الرجوع الكلى منزلا يرى العيب فى افعاله التى تقرب الى مولاه بها وهو مستبرئ اى وهو برئ والسين والتاء زائدتان وانما كان بريئا من ذلك العيب الذى رآه لكونه قد اتى بها على ما ينبغى شريعة وحقيقة فى ظاهره وفى باطنه لكنه يتهم نفسه ولا يامن ان يكون قد خفى عليه شئ من دسائسها وقد قال ابو يعقوب اسحاق بن محمد النهرجورى رضى الله عنه من علامة من تولاه الله فى احواله ان يشاهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مشاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله عز وجل فى قصده وسيره وقال ابو عمر اسماعيل بن نجيد رضى الله عنه لا يصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون افعاله عنده كلها رياء واحواله كلها دعاوى فالنفس مجبولة على ضد الخير ولولا فضل الله علينا ورحمته قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال عز من قائل وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال بعض السادات رضى الله عنه ما هناك الا فضله ولا نعيش الا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن امر عظيم فلذا تبرا الاكابر من اعمالهم الصحيحة فضلا عن غيرها حتى قال ابو يزيد لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ وقال ابو سليمان الدارانى ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبته قلت هذا ما يتعلق بشرح الابيات التى ذكرها صاحب الرائية فى الشيخ المربى وادابه وآداب المريد معه وهى من انفس ما يسمع وينبغى للمريد ان يحفظ هذه القصيدة فانها قصيدة منورة فان لم يمكنه حفظها كلها فليحفظ الابيات المتعلقة بالشيخ المربى وصاحب الرائية

هو الامام ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي سلوي الاصل ولد بسلا سنة احدى وثمانين وخمسمائة ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر حرسها الله وبها توفي في ربيع الاول سنة احدى واربعين وستمائة ولقبه هنالك تاج الدين وكنيته ابو العباس كان رضي الله عنه وافر الحفظ من علم البيان نحويا اديبا شاعرا محسنا محققا لعلم الكلام بارعا في اصول الفقه متقدما في التصوف واليه انقطع وعليه عول وفيه صنف ونظم في مقاصده وتدريج سلوكه قصيدته هذه التي سماها انوار السرائر وسرائر الانوار واخذها الناس عنه واشتهرت في الاقطار لاجادة نظمها وضبطها قال صاحب اثمد العينين ان هذه القصيدة حجة عند اهل الطريقة ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها ثم نقل عن الشيخ ابي عبد الله محمد الهزميري رضي الله عنه انه كان كثيرا ما يحرض عليها اصحابه وجميع تلامذته شديد العناية بها ويلتزم الخير للمداوم عليها قال وكان هو يديم الكلام عليها ويشرح بعض مقاماتها واخذ الناظم رضي الله عنه عن جماعة بمراكش ثم جال في طلب العلم واخذ بفاس عن الامام الاصولي العابد الزاهد ابي عبد الله محمد ابن علي بن عبد الكريم المعروف بابن الكتاني الفندلاوي والشيخ الامام العلامة النحوي ابي ذر مصعب بن الامام النحوي ابي عبد الله محمد بن مسعود بن ابي ركب الخشني الاشبيلي ثم الفاسي من ذرية ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه الصحابي المشهور والشيخ ابي العباس بن ابي القاسم بن القفال ووصل الى الاندلس فاخذ عن بعض اهلها ثم شرق وحج وروى ببغداد عن الامام العالم ابي محمد عبد الرزاق بن قطب الصديقين وحجة الله للعارفين

محيي الملة والدين ابي محمد عبد القادر بن ابي صالح الشريف
الحسني المعروف بالجيلاني والشيخ المحدث التاريخي ابي الحسن
محمد بن احمد بن عمران القطيعي والشيخ ابي محمد قميص بن فيروز
ابن عبد الله الحنبلي واخذ علم الكلام عن الامام الشيخ الكبير
تقي الدين ابي العز مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين الازدي
الشافعي المعروف بالمقترح واخذ اصول الفقه بالاسكندرية
عن الشيخ الامام علم الاعلام شمس الدين ابي الحسن علي بن اسمعيل
ابن حسن بن عطية الابياري المالكي واخذ التصوف ذوقا
واشراقا ببغداد عن شيخ شيوخ وقته وقدوة اهل عصره
ترجمان الطريقة وسلطان اهل الحقيقة شهاب الدين ابي
حفص ويكنى ايضا بابي عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الله القرشي التيمي البكري الصديقي ثم الشافعي المعروف
بالسهروردي صاحب عوارف المعارف التي هي اصل هذه
القصيدة والله اعلم واخذ الطب عن ابي بيان وروى عنه
الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن ابراهيم القيسي السلاوي
نزيل تونس لقيه بالفيوم من مصر والله اعلم فصل
واذ فرغنا من شيخ التربية وادابه واداب المريد معه فلنرجع
الى الكلام على الاشياخ الذين ورثهم الشيخ رضي الله عنه فنقول
سمعته رضي الله عنه يقول ورثت عشرة من الاولياء وهم
سيدي عمر بن محمد الهوراي المقيم على ضريح سيدي علي بن
حرزهم نفعنا الله به وسيدي عبد الله البرناوي وكان من
الاقطاب وقد سبق في اول الباب كيفية التقاء الشيخ
رضي الله عنه به وسمعته رضي الله عنه يقول ان سيدي
عبد الله البرناوي سقي بانوار نيف وسبعين من اسماء الله
الحسنى وسيدي يحيى صاحب الجريد وكان من الاقطاب

ايضا وكان شديد الاتباع فى ظاهره وفى باطنه لشريعة النبى صلى الله عليه وسلم وكان يتولى التصرف فى جميع من يزور الصالحين الموتى فهو ينظر فى حوائجهم ويقضى ما قضاه الله منها قال لى رضى الله عنه هذا لما تكلمت معه فى شان بعض السادات الموتى ممن كثر زيارة الناس له وظهر النفع عليه وشفاء المرضى عند ضريحه فقال لى رضى الله عنه ان قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم لها شان عظيم عند الله ولو انها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه احد وظننت فيه وليا وجعلت ترغب الى الله تعالى فى ذلك الموضع فان الله تعالى يسرع لها بالاجابة وسيدى يحيى اليوم يعنى يوم الحكاية هو الذى يتولى التصرف فى ذلك وقد يقع هذا ايضا فى الاولياء الاحياء فقد يكون الرجل مشهورا بالولاية عند الناس وتقضى بالتوسل به الى الله الحوائج ولا نصيب له فى الولاية وانما قضيت حاجة المتوسل به على يد اهل التصرف وهم رضى الله عنهم الذين اقاموا ذلك الرجل فى صورة الولى ليجتمع عليه اهل الظلام مثله وهم الذين يتصرفون تبعا للقدر فهو عندهم بمنزلة الصورة التى يجعلها صاحب الزرع فى فدانه ليطرد بها العصافير فتظن الصورة رجلا فتهرب منه وذلك فى الحقيقة من فعل صاحب الفدان لا من فعل الصورة فكذلك اهل التصرف رضى الله عنهم يقيمون ذلك الرجل ويجمعون عليه اهل الظلام مثله والمتصرف فيهم خفى عنهم ولم يظهر لهم لانه حق وهم لا يطيقون الحق وسمعته رضى الله عنه يقول جاء رجل الى طريق مخوف بعد المغرب وقد جلس له رجلان احدهما فى اول الشعبة والآخر فى وسطها فلما اراد ان يدخل الشعبة وكان مشيئا على بعض من لا شئ عنده فقال يا سيدى فلان قدمت

عليك بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الا ما فككتني
من هذه الشعبة وعد تك على قال رضي الله عنه فسمعه
بعض اهل التصرف وقد استعظم اسم النبي الشريف صلى الله
عليه وسلم وجاهه الذي قدمه على شيخه فلم يكن له بد ان يقضي
تلك الحاجة فذهب بنفسه مع ذلك الرجل وانسه في قلبه
وقطع معه تلك الشعبة وهو لا يراه وطبع الله على الرجلين
اللصين فلم يفعلا شيئا فلم يشك ذلك المريد ان شيخه هو الذي
قضى حاجته فلما وصل اليه دفع له اربعة مثاقيل وعدة والله
اعلم وسيدي منصور بن احمد من اهل جبل حبيب وكان
ايضا قطبا يتصرف في امر البحر وقال لي الشيخ رضي الله عنه
اما ترى اللحم اذا قطع ترتعد منه بعض الجهات احيانا فقلت نعم
فقال رضي الله عنه كذلك كانت ذات سيدي منصور رضي
الله عنه حين فتح الله عليه ترتعد جوامرها كلها اجلالا لله تعالى
ومهابة وبقيت على ذلك مدة وسمعته رضي الله عنه يقول
اني رايت سيدنا ابراهيم خليل الرحمن على نبينا وعليه الصلاة
والسلام يطلب الدعاء الصالح من سيدي منصور رضي الله
عنه وكم من فائدة علمية عرفانية حكاها لنا الشيخ رضي الله
عنه عن هذين القطبين الجليلين سيدي يحيى وسيدي منصور
ولكنا قوم مفرطون فلا نسمع منه في اول معرفتي له الا ونحن
انا وسيدي يحيى وسيدي منصور وفعلت انا وسيدي يحيى
وسيدي منصور وقال سيدي يحيى كذا وكذا وقال سيدي
منصور كذا وكذا فكنا نزهد فيما نسمع حتى ظهر لنا التفريط
في امرنا وعند ذلك وفقنا الله والحمد لله وله الشكر على تقييد
ما سمعته بعد ذلك وضاع ما كان قبل ذلك فاني ما اشتغلت
بالتقييد الا بعد وفاة هذين السيدين الجليلين رضي الله

عنهما وسيدى محمد الهواج من اهل الجزائر من الفحص وكان
قطبا ايضا وسبق كيفية اجتماع الشيخ رضى الله عنه معه
وكانت حكاية الشيخ عنه رضى الله عنه قليلة ما اعلمه حكى
عنه الا ثلاث حكايات قد كتبت التى وقفت له معه فى العين
التى بدار ابن عمر وقد سبقت وسيدى احمد بن عبد الله المصرى
وكان غوثا وسبقت الحكايات التى اوصى بها الشيخ رضى الله
عنه فى اول الكتاب وسيدى على بن عيسى المغربى وكان قطبا
ايضا وكانت مسكنته بجبل الدروز من ارض الشام وحكى
لنا الشيخ رضى الله عنه حكاية طويلة فى سبب انتقاله من ارض المغرب
الى ارض الشام طال عهدى بها وسيدى محمد بن على الكميونى
وسيدى محمد المغربى وسيدى عبد الله الجوازى بجيم معقودة
وكان مسكنه بالديوير بمراكش وزاد فى آخر سنة تسع وعشرين
بورانة رجل آخر من اكابر الاولياء كما سمعت ذلك منه رضى
الله عنه واسم الرجل سيدى ابراهيم الملز بفتح اللام وبعدها
ميم مسكنة بعدها لام مفتوحة وبعد اللام زاى ساكنة
ذكر لى رضى الله عنه اسم هذا الولى وقال لى اعقل عليه ثم
بعد مدة سالنى عنه فوجدنى قد نسيته فذكره لى مرة
اخرى ثم اوصانى عليه ثم بعد مدة اخرى سالنى عنه فوجدنى
ايضا قد نسيته فذكره لى ايضا وزجرنى فقيدت اسمه وعقلت
عليه والحمد لله قال وهذا الرجل من اهل الجزائر بجيم معقودة
ثم بعد ذلك هممنا ان نساله عمن ورثه بعد ذلك ثم قلت للشيخ
رضى الله عنه وهل يفترق ما ورثته منهم فقال رضى الله
عنه ورثت من النسمة معرفة الله وورثت من الاول
معرفة الله ثم ضرب مثالا بفارس على فرس وقد اشتاق
رجل الى نعته فلقيه بعض الناس وجعل ينعت له الفرس

وصفة قوائمه وكيفية لونه وحالة جريه وان رقبته طولها
كذا وكذا و ذكر له جميع حلية الفرس وكيفية اجراء الفارس
له ولم يذكر من صفة الفارس شيئا والغرض ان نعته للفرس
وجريه ليس بمجرد خبر بل يحصل معه عيان ومشاهدة الفرس
وجريه ببركة الناعت ثم جاء من ذكر له الفارس ونعته له
وذكر له حليته وصفته وازال عنه الحجاب حتى شاهده
عيانا وضرب لى مثلا آخر مرة اخرى فقال ان الذى حصل لى
من سيدى عمر مثل ان يقول رجل لرجل سر مع هذه الطريق
فانك تجد فيها الماء ولم يذكر له اين الماء منها فذهب وهو
لا يدرى اين الماء حتى جاء من عين له موضع الماء واوقفه عليه
وقال لى مرة اخرى مثل ما حصل لى من سيدى عمر كرجل صاد
لرجل صيدا وطرحه بين يديه وذهب وتركه فلم يدر ما يفعل به
حتى جاء رجل آخر بنار وحطب واوقد له النار واتاه بسكين
وقال له خذ السكين واقطع بها ما شئت من اللحم وطيب وكل
فقلت وهل كان سيدى عمر من القسم الثانى المفتوح عليهم فقال
نعم ولكن فتحه ضعيف فقلت وهل يحضر الديوان فقال نعم
وليس كل من يحضر الديوان يعرف ما فيه وما دخل وما خرج
وما زاد وما نقص فقلت كانه بمثابة مجالس العلم فليس كل من
يحضرها يعرف ما فيها فقلت وكيف كان التقاؤك مع سيدى
عمر فقال شيخت غير واحد ممن لا سر معه ثم ان الله تعالى جذب
قلبى الى سيدى عمر وكان يجمعنا سيدى على بن حرزهم كان هو
فيه ونحن نأخذ صدقته فرمقته فاعجبتنى حالته فجعلت
اطلب له الورد وهو يتغافل عنى وانا ازداد شوقا وتشوقا حتى
بت معه ليلة بضريح سيدى على بن حرزهم فوقعت الحكاية
السابقة فى تلقين الورد واجتماعه بسيدنا الخضر عليه السلام

وسال

وسال وانا حاضر رضي الله عنه عن فائدة الورد الذي يعطيه
الاشياخ فقال رضي الله عنه تسالني عن الصادقين او عن الكاذبين
فقال عن الصادقين فقال رضي الله عنه فائدته ان الله تعالى
حفظ على هذه الامة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي اذا فعلت
في الظاهر حفظت الايمان في الباطن وان الشيخ الصادق معمور
الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى ان المريد اذا قال لا اله الا
الله قبل ان يلقي الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل والشيخ
يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته فاذا القن المريد صارت حالته
في المزيد فلا يزال يترقى الى ان يبلغ مقام الشيخ ان قدر الله له ذلك
ثم ضرب مثلا بالحكاية الشهيرة التي وقعت للملك له ولد عزيز
عليه ثم نزل به ضر عظيم فجمع الاطباء لدواء ولده وتوعدهم بوعيد
شديد ان لم يبرأ ولده فاتفق الاطباء على ان دواءه في عدم اكل اللحم
فذكروا ذلك للوالد فابى عليهم وقال لا اترك اللحم ولو خرجت روحي
في هذه الساعة فحار الاطباء ودهشوا في امرهم ونزل بهم ما لا
يطيقونه حيث امتنع الولد من اتباع سبب الشفاء وكلموا عليه
المرة بعد المرة فلم يزده ذلك الا نفورا فذهب رجل منهم واغتسل
وتضرع الى الله تعالى ونوى ان لا ياكل اللحم ما دام المريض لا ياكله
ثم جاء الى المريض فقال له لا تاكل اللحم فامتثل امره وسمع قوله
وبرئ لحينه فتعجب بقية الاطباء من ذلك فاخبرهم بما فعل قال
رضي الله عنه وايضا فان اهل العرفان من اولياء الله تعالى اذا
نظروا الى ذوات المحبوبين فراوا ذاتا طاهرة قابلة لحمل سرهم مطيقة
له فانهم لا يزالون معها بالتربية بتلقين الذكر وغيره ويكون هذا
المطيق للسر هو مقصود الشيخ لا غير فاذا جاء الى الشيخ غيره ممن
ليس بمطيق وطلب منه التلقين فانه لا يمتنع لانه لا يقطع على
احد فلذا تجد الشيوخ يلقنون كل احد مطيقا كان ام لا مع فائدة

اخرى تظهر فى الاخرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم يكون بيده
يوم القيامة لوآء الحمد وهو نور الايمان وجميع للناس ثم تحته خلفه من
امته ومن غير امته مع سائر الانبياء وتكون كل امة تحت لوآء نبيها
ولوآء نبيها يستمد من لوآء النبى صلى الله عليه وسلم وهو مع امهم
على احد كتفيه وامته المطهرة على الكتف الآخر وفيها الاولياء بعد
الانبياء ولهم الوية مثل ما للانبياء ولهم من الاتباع مثل ما للانبياء
ويستمدون من النبى صلى الله عليه وسلم ويستمد اتباعهم منهم
كحال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمريد اذا لم يكن مطيقا
فانه ينتفع فى الآخرة بشيخه الذى لقنه قال رضى الله عنه ولا
ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر بل حتى يتعلم
منه كيفية الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وينتفع منه
بمحض النفع فى الباطن وسمعت من غير الشيخ رضى الله عنه حكاية
تقرب من قصة الاطباء وهى ان عبدا مملوكا لرجل استشفع لبعض
اهل الخير ليكلم سيده لعله يعتقه فلم يجبه لذلك حتى مر عليه
ازيد من عام ثم ذهب معه الى سيده فكلمه فى عتقه فاجابه
الى ذلك وعتقه ففرح العبد بالحرية واستبشر بها وقال للشفيع
لم تاخرت بشفاعتك هذه المدة ولو كلمته فى اول ما رغبتك لاعتقنى
وكان اجر هذه المدة فى ميزانك فما الذى حملك على التاخير حتى مضت
هذه المدة فقال الشفيع انا لا اكلم احدا فى امر الا اذا عملت به
ولما رغبتنى ان اكلم سيدك لم يكن عندى عبد اعتقه فلم ازل اكتسب
فى تلك المدة حتى جمعت قيمة رقيق ثم اشتريته واعتقته وبعد
ذلك كلمت سيدك فقبل رغبتى ولو انى كلمت سيدك قبل ان
اعتق ما ظننته يفعل ما تريد والله اعلم وسمعته رضى الله
عنه يقول فى اسم الله العظيم الاعظم انه كمال المائة وليس من
التسعة والتسعين وان كثيرا من معانيه فى الاسماء التسعة

والتسمين وانه هو ذكر الذات لا ذكر اللسان فتسميه يخرج من
الذات كطنين النحاس الصفر وهو يثقل على الذات ولا تطيق
الذات ذكره الا مرة او مرتين في اليوم فقلت ولم فقال رضي الله
عنه لانه لا يكون الا مع المشاهدة التامة وذلك ثقيل على هذه
الذات واذا ذكرته الذات تفز العالم كله هيبة واجلالا ومخافة
قال رضي الله عنه وكان في السيد عيسى بن مريم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام قوة على ذكره وكان يذكره في اليوم اربع
عشرة مرة والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول في اسماء
الله الحسنى ان معانيها حصلت للانبياء عليهم الصلاة والسلام
من مشاهدات فمن شاهد معنى وضع له اسما فالمعاني ظهرت
لهم على قدر مشاهدتهم في الله عز وجل والاسماء خرجت منهم
بحسب ذلك قال رضي الله عنه فجميع الاسماء حصلت بوضع
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسيدنا ادريس اول من وضع
عليما وقويا وعظيما ومنانا وهكذا كل نبي وضع شيئا منها ولكنهم
وضعوها بلغتهم ومزية القرآن انه جمعها كلها واتى بها مع ذلك
بلغة العرب لا بالسنة الانبياء المتقدمين قال رضي الله عنه
واول من وضع اسم الجلالة ابونا آدم على نبينا وعليه الصلاة
والسلام وذلك ان الله سبحانه لما نفخ فيه الروح نهض مستوفزا
فقام على رجل واتكأ على ركبة الرجل الاخرى فحصلت له في تلك
الحالة مع ربه مشاهدة عظيمة فانطق الله لسانه بلفظ يؤدي
الاسرار التي شاهدها من الذات العلية فقال الله وقد خرج
في علمه سبحانه انه يتسمى بهذه الاسماء الحسنى فلذا اجراها
على لسان انبيائه واصفيائه قال رضي الله عنه ولو وضع سيد
الوجود صلى الله عليه وسلم للمعاني التي حصلت له من مشاهدته
التي لا انطباق اسماء لذاب كل من سمعها ولكنه سبحانه لطيف

بعباده والله اعلم قلت واياك ان تظن ان هذا الكلام فيه مخالفة
للعقيدة وهي ان الاسماء الحسنى قديمة فان المراد بقدمها
قدم معانيها لا الفاظها الحادثة لان كل لفظ عرض وكل عرض
فهو حادث لا سيما اذا كان سببا لامثال الالفاظ والاصوات
وذلك واضح والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان
في اسم الجلالة ثلاثة اسرار الاول ان مخلوقاته تعالى لا احد
لها وانها مختلفة فتنقسم الى انس وجن وحيوان وغير ذلك
من الانواع التي لا يعلمها اكثر الخلق ومع هذه الكثرة فهو
تعالى واحد في ملكه لا مدبر معه ولا وزير له فهو وحده
تعالى يتصرف فيها بجملتها ولا يفوته منها شيء ولا يخرج
عن قدرته تعالى منها واحد فهو قاهر الكل محيط به كما قال
تعالى والله من ورائهم محيط الثاني انه يتصرف فيها
كيف شاء فيغني هذا ويفقر هذا ويعز هذا ويذل هذا
ويجعل هذا ابيض وهذا اسود ويجيب سؤال هذا ويمنع
هذا ويفرق بينهما في الازمنة والامكنة وبالجملة فهو كل
يوم في شان ولا يشغله شان عن شان ولا اعتبار له لا للمخلوقات
فهو يفعل ما يشاء لا ما تشاء هي سبحانه لا اله الا هو الثالث
انه تعالى مقدس منزه لا يكيف ولا يشبه بشيء من المخلوقات
ومع ذلك فله السطوة والقهر حتى انه لولا الحجاب الذي تحتجب
به المخلوقات لرجعوا هباء منثورا ولفنوا فناء وصاروا دكا
رميما عند تجليه لهم تعالى بل لا يبقى لهم اثر حتى يقول القائل
ما كان في هذا العالم شيء من المخلوقات اصلا الا انه تعالى
برحمته وعظيم حكمته لما سبق في قضائه ان يوصل اهل كل
دار اليها اذا اراد ان يخلق مخلوقا اي مخلوق كان لا يخلقه
حتى يخلق حجابه قبله قال رضي الله عنه وهذه الاسرار

بها لها

يعلمها ارباب البصيرة من مجرد النطق باسم الجلالة من غير احتياج الى مشاهدة شيء من المخلوقات فقلت ومن اين ذلك فضرب رضي الله عنه لنا مثلا فهمنا من معناه انه انما كان ذلك من حيث انه اسم جامع لجميع الاسماء والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول الله تعالى مقدس منزه لا يشبه بشيء من المخلوقات وكل ما يصوره الفكر فانه بخلاف ذلك قال رضي الله عنه لان كل ما يصوره الفكر فهو موجود في مخلوقات ربنا سبحانه لان الفكر لا يصور الا ما هو مخلوق فكل ما في الفكر له مثل والله لا مثل له فقلت فان الفكر يتصور انسانا مقلوبا يمشي على راسه فقال رضي الله عنه والله لقد شاهدته يمشي كما تصوره الفكر ويده ساترا بها فرجه فهي بمنزلة الحجاب له ولا يزيلها الا اذا اراد قضاء حاجته من حدث او جماع قال رضي الله عنه ولقد جلست ذات يوم مع سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي فقال لي تعال حتى نصور في افكارنا اغرب صورة ثم ننظر في مخلوقات الله اهي موجودة ام لا فقلت صور ما شئت فقال نصور مخلوقا يمشي على اربع وهو على صورة جمل وظهره كله افواه كافواه العكروشة التي في جنبها وعلى ظهره صومعة على لون مخالف للونه صاعدة الى فوق وفي راسها شرافات منها اي من شرافة منها يبول ويتغوط ومن شرافة اخرى يشرب وبين الشرافات صورة انسان براسه ووجهه وجميع جوارحه فما فرغ من تصويره حتى راينا هذا المخلوق وله عدد كثير واذا بالذكر منه يجري على الانثى فتحمل منه وفي عام آخر يجري عليه الانثى بان ينقلب الحال فيرجع الذكر انثى والانثى ذكرا قلت وهذا من اغرب ما يسمع والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يتكلم في المشاهدة ويعظم امرها ويشير الى عجز اكثر

الخلق عنها ويذكر الاسباب في عجزهم الى ان حكى لنا عن نفسه
حكاية فقال رضي الله عنه لقيت بعض اوليائه تعالى في آخر
سنة سبع وعشرين فقلت ادع الله تعالى لي ان يرزقني مشاهدة
فقال لي دع عنك هذا ولا تطلبها منه تعالى حتى يكون هو الذي
يعطيها لك من غير سؤال فانه ان اعطاها لك من غير سؤال
اعانك عليها واعطاك القوة عليها قبل ان تنزل هي بك واذا جعلت
تسألها منه سبحانه وتكثر منه فانه لا يجيب سؤالك ولكن
نخاف ان يكلك الى نفسك فتعجز عنها قال فقلت اطلب الله لحد
فاني اطيقها فقال لي انظر الى عالم الانس فنظرت اليه فقال اجمعه
كله بين عينيك حتى يكون في مثل دور الخاتم فقلت جمعته
فقال انظر الى عالم الجن وافعل به كذلك ففعلت فعلت فقال
انظر الى عالم الملائكة ملائكة الارض والسموات والعرش
وافعل بهم كذلك فقلت فعلت قال وجعل يعدد العوالم عالما
عالما حتى عد انواعا كثيرة وذكر عالم الجنة وجميع ما فيه وعالم
النيران وجميع ما فيه ويأمرني ان اجمع ذلك بين عيني وانا
اجمعه واقول فعلت ثم قال انظر الى هذا الذي بين عينيك
مجموعا وانظر اليه بنظرة واحدة واجتهد هل تقدر على استحضار
الجميع في تلك النظرة الواحدة ففعلت فلم اقدر فقال لي انت
لم تطق ان تشاهد هذه المخلوقات وعجزت عن استحضارها
في نظرك فكيف بمشاهدة الخالق سبحانه فعلمت الحق وبكيت
بدموع القلب على حرصي على شيء لا اطيقه قال رضي الله
عنه واستحضار هذه المخلوقات في نظر واحد لا يطيقه
بشر ولا يقدر عليه انسان قال رضي الله عنه وكذا من يرى
النبي صلى الله عليه وسلم من اولياء الله تعالى في اليقظة فانه
لا يراه حتى يرى هذه العوالم كلها ولكن لا ينظر واحد وقال

لى رضى الله عنه مرة فى اول ما لقيته وتكلمت معه فى الروح
انه لا يحيط بها عاقل ولا يعرف حقيقتها الا اذا كوشف بالعوالم
كلها قبل ان يعرفها ومتى بقى عليه بعضها ولم يكاشف به ثم
كوشف بالروح فانه يفتتن قال رضى الله عنه ولو جلست
مع انجب عالم وجعل يسالنى عن الروح وانا اجيبه من سؤالاته
فانه تمر عليه اربع سنين ولا تنقطع اعتراضاته فيها لكثرة اشكالاتها
وخفاء امرها والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يضرب مثلا
فى كون العبد لا يطيق معرفة ربه سبحانه على ما هو عليه فى
كبريائه وعظمته فيقول ان الآنية من الفخار لو امدها الله تعالى
بالادراك وسالها سائل عن صانعها المعلم الذى صنعها كيف
هو وكيف طوله وكيف لونه وكيف عقله وكيف ادراكه وكيف
سمعه وكيف بصره وكم حياته فى هذه الدار وما هى الآلات
التى صنعها بها الى غير ذلك من اوصاف المعلم صانعها الظاهرة
والباطنة فانها لا تطيق معرفة ذلك ولا تطيق ذاتها حمل
تلك المعارف ولا يطيق مصنوع ابدا معرفة صفات صانعه
على ما هو عليه قال رضى الله عنه فاذا كان هذا العجز فى حادث
مع حادث فما بالك بالصانع القديم سبحانه فلا يطيق مخلوق
اى مخلوق كان معرفته بالحقيقة لا فى هذه الدار ولا فى تلك
الدار ابد الابدين ودهر الداهرين والله اعلم وسمعته رضى
الله عنه يقول ان الذكر فيه ثقل على الذات اكثر من العبادة قال
والمراد بالذات الذات الخبيثة فانها مسقية بالظلام والذكر
يسقيها بالنور وهى لا تقبله للظلام الذى فيها فهو يريد ان يقلبها
عن طبعها ويخرجها عن حقيقتها كمن يريد ان يجعل فى المراة طبع
الرجل ويجعل فى الرجل طبع المراة وكمن يريد ان يجعل طعم القبح
وحلاوته ومذاقه فى غيره من المحبوب فلا تسال عن تدبيره

وحيرته قال بخلاف العبادة فانها شغل لظاهر الذات فهي بمنزلة
الخدمة بالفاس فالثقل فيها انما هو من جهة تعب الذات وكلها
والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان في اسمائه تعالى
اسما اذا سقي العبد بنوره بكي دائما فقلت وما هو فقال القريب
فقلت كانه انما بكي لان رجوعه من غفلته الى ربه بمنزلة من
رجع من سفره الى اعز خلق الله عنده كامه مثلا فتراه يبكي اذا
رآها فقال رضي الله عنه بكاؤه مع امه محض فرح وسرور
ومع ربه عز وجل فيه ذلك وشيء آخر وهو الحياء العارض
له من تذكره مخالفة اوامر ربه زمان غفلته قال رضي الله عنه
ومن اسمائه تعالى اسم اذا سقي العبد بنوره ضحك دائما ابدا
وكان بمنزلة من جاءه جماعة ولنفرضهم ستين رجلا مثلا
فازالوا ثيابه وجعلوا يدغدغونه ويغمزونه باصابعهم في اضع
ضحكه وهو بين ايديهم لا يقدر على الخلاص منهم فقلت وما هو
هذا الاسم فقال المتعالي فزادركتني هيبة منعتني من تمام السؤال
الذي في خاطري اذ كان مرادي ان اساله عن انوار الاسماء الحسنى
كلها قال رضي الله عنه ولا زمان اصعب على الولي من زمان
سقيه بانوار الاسماء لاضطراب ذاته بين مقتضياتها فكل
اسم يقتضي منه خلاف ما يقتضيه الآخر قال رضي الله عنه
ومنهم من يسقى بواحد فيدوم حكمه عليه من ضحك دائما
وبكاء دائما وغير ذلك ومنهم من يسقى باثنين ومنهم من
يسقى باكثر من ذلك فقلت وبكم سقيتم انتم فقال رضي الله عنه
وهو الصادق فيما يقول سقيت بسبعة وتسعين اسما
بالمائة كلها الا ثلاثة فقلت انما هي تسعة وتسعون فقال
رضي الله عنه والمكمل للمائة لم يعد فيها لان الناس لا يطيقونه
وهو اسم الله العظيم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل

به اعطى وقد سبق كلامه رضى الله عنه فى هذا الاسم وهو
دال على معرفته به غاية فانا راينا من الاولياء الصادقين رضى
الله عنهم ونفعنا بهم وسمعت كلامهم فى هذا الاسم الاعظم
فما سمعت فيه مثل كلامه رضى الله عنه ولا كتبت فيه كل
ما سمعته فى شانه قال رضى الله عنه ولا يسقى بهذا العدد
يعنى العدد الذى سقى هو به الا واحد من الاولياء قلت
وهو الغوث ثم هذا الذى قاله فى اول الامر وسمعت منه
فى آخر امره رضى الله عنه انه سقى بالعدد كله اعنى المائة وان
السقى بها ينقسم الى سقيين احدهما فى مقام الروح فمن
الاولياء من يسقى بواحد ومنهم من يسقى باكثر ولا يكمل
المائة كلها الا الغوث السقى الثانى فى مقام السر قال رضى
الله عنه ولا يستكمل المائة فيه مخلوق من المخلوقات الا
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قلت وفى طى هذا الكلام
اسرار وانوار يعرفها اربابها رزقنا الله رضاهم والله اعلم
وسمعته رضى الله عنه يتكلم على اسمائه تعالى وعلى الذين
يذكرونها فى اورادهم فقال رضى الله عنه ان اخذوها عن
شيخ عارف لم تضرهم وان اخذوها عن غير عارف ضرتهم
فقلت وما السبب فى ذلك فقال رضى الله عنه الاسماء الحسنى
لها انوار من انوار الحق سبحانه فاذا اردت ان تذكر الاسم فان كان
مع الاسم نوره وانت تذكره لم يضرك وان لم يكن مع الاسم نوره
الذى يحجب العبد من الشيطان حضر الشيطان وتسبب فى ضرر
العبد والشيخ اذا كان عارفا وهو فى حضرة الحق دائما واراد ان
يعطى اسما من اسماء الله الحسنى لمريده اعطاه ذلك الاسم مع
النور الذى يحجبه فيذكره المريد ولا يضره ثم هو اى النفع به على
النية التى اعطاه الشيخ ذلك الاسم بها فان اعطاه بنية ادراك

الدنيا ادركها اوبنية ادراك الآخرة ادركها اوبنية معرفة الله
تعالى ادركها واما ان كان الشيخ الذى يلقن الاسم محجوبا فانه يعطى
مريده مجرد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد نسال الله
السلامة فقلت فالقرآن العزيز فيه الاسماء الحسنى وحملته
يتلونه ويتلون الاسماء الحسنى التى فيه دائما ولا تضرهم فما
السبب فى ذلك مع انها لا يا خذونها عن شيخ عارف فقال
رضى الله عنه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
ارسله الله بالقرآن لكل من بلغه القرآن من زمانه صلى الله
عليه وسلم الى يوم القيامة فكل تال للقرآن فشيخه فيه هو
النبى صلى الله عليه وسلم فهذا سبب حجب حملة القرآن
نفعنا الله بهم ثم هو صلى الله عليه وسلم لم يعط لامته الشريفة
القرآن الا بقدر ما يطيقونه ويعرفونه من الامور الظاهرة
التى يفهمونها ولم يعطهم القرآن بجميع اسراره وانواره وانوار
الاسماء التى فيه ولو كان اعطاهم ذلك بانواره لما عصى احد
من امته الشريفة ولكانوا كلهم اقطابا ولا تضرر احد بالاسماء
قط قال رضى الله عنه وفى سورة يس اسمان فى اولها العزيز الرحيم
واسمان فى وسطها وهما العزيز العليم وفى ص اسمان وهما
العزيز الوهاب وهذه الاسماء صالحة لخير الدنيا وخير الآخرة
قال رضى الله عنه وفى سورة الملك قوله تعالى الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير وهو نافع لمن نزل به فقر او ضر او جهل او
بلاء او مصيبة فاذا اكثر من تلاوة الآية فان الله تعالى بمنه
وفضله وكرمه يعافيه مما نزل به والله اعلم قلت وقد شاهدت
بعض اصحابنا ممن نزل به الحب المعروف عند العامة بالبيش
من الادواء العاضلة فجاء الى الشيخ رضى الله عنه فى قيد حياته
فشكى له ذلك وخاف منه خوفا شديدا فامره رضى الله عنه

بتلاوة الآية الشريفة فرضي الله عنه من حيث لا يحتسب
والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول في سبب الحضرة
ان الحضرة لم تكن في القرن الاول يعني قرن الصحابة ولا في القرن
الثاني يعني قرن التابعين ولا في القرن الثالث يعني قرن تابع
التابعين وهذه القرون الثلاثة هي خير القرون كما شهد به الحديث
الشريف وسبب ذكره لهذا الكلام ان سائلا سأله عن الحضرة
قال رضي الله عنه فكرهت ان اجيبه بصريح الحق وانا عامت
فلا يقبله مني فقلت هذه المسألة يسأل عنها علماؤنا رضي الله
عنهم هل فعلها النبي صلى الله عليه وسلم او لم يفعلها قط فان
قالوا لم يفعلها قط سألناهم هل فعلها ابو بكر رضي الله عنه او لم
يفعلها قط فان قالوا لم يفعلها قط سألناهم هل فعلها عمر رضي
الله عنه او لم يفعلها قط فان قالوا لم يفعلها قط سألناهم هل
فعلها عثمان رضي الله عنه او لم يفعلها قط فان قالوا لم يفعلها
قط سألناهم هل فعلها علي رضي الله عنه او لم يفعلها قط فان
قالوا لم يفعلها قط سألناهم هل فعلها احد من الصحابة رضي الله
عنهم اجمعين او لم يفعلها احد منهم قط فان قالوا لم تثبت عن
واحد منهم سألناهم هل فعلها التابعون او لم يفعلها احد منهم
قط فان قالوا لم تثبت عن واحد منهم سألناهم هل فعلها من
اتباع التابعين احد او لم يفعلها فان قالوا لم تثبت عن واحد منهم
علمنا ان ما لم يفعله هؤلاء القرون الثلاثة لا خير فيه قال رضي
الله عنه وانما ظهرت الحضرة في القرن الرابع وسببها ان اربعة
او خمسة من اولياء الله تعالى ومن المفتوح عليهم كان لهم اتباع
واصحاب وكانوا رضي الله عنهم في بعض الاحيان ربما شاهدوا
عباد الله من الملائكة وغيرهم يذكرون الله تعالى قال والملائكة
عليهم الصلاة والسلام منهم من يذكر الله بلسانه وبذاته كلها

فترى ذاته تتحرك يمينا وشمالا وتتحرك اماما وخلفا فكان الولى
من هؤلاء الخمسة اذا شاهد ملكا على هذه الحالة تعجبه حالته
فتتأثر ذاته بالحالة التى يشاهدها من الملك ثم تتكيف ذاته
بحركة الملك فتتحرك ذاته كما تتحرك ذات الملك وتحكى ذاته ذات
الملك وهو لا شعور له بما يصدر منه لغيبته فى مشاهدة
الحق سبحانه ولا شك فى ضعف من هذه حالته وعدم
قوته فاذا رآه اتباعه يتحرك بتلك الحركة تبعوه فهو يتحرك
بحركة الملك وهم يتحركون بحركته ويتزيون بزيه الظاهر ثم
هلك الاشياخ الخمسة اهل الباطن والصدق رضى الله
عنهم فاشتغل اهل الزى الظاهر بالحضرة وزادوا فى حركتها
وجعلوا لها آلة وتكلفوا لها وتوارثتها الاجيال جيلا بعد
جيل فقد علمت ان سببها ضعف من الاشياخ المذكورين
اوجب لهم عدم ضبط ظواهرهم واهل القرون الثلاثة
رضى الله عنهم لم تكن فى ازمنتهم ولا سمعت عن احد منهم
والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول فى نظر البصيرة
ان فيه ثلثمائة الف جزء وستة وستين الف جزء وجزء واحد
منها فى نظر العين والباقى من الاجزاء فى ذات العارف الوارث
الكامل فينظر بذاته كما ينظر احدنا بعينيه ولكن نظره بمجموع
الاجزاء كلها قال وهذا لا يكون الا لرجل واحد يعنى به الفرد
الذى تحته الاقطاب السبعة فقال بعض الحاضرين وكنا
بداره بمدينة تطاون وكان لا يعرف مقام الشيخ رضى الله
عنه ان سيدى عبد الوهاب الشعرانى ذكر انه اجتمع فى الملكوت
بسيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى احمد بن حسين الرفاعى
وسيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنهم ووقعت لهم
حكاية فى ذلك العالم فذكرها سيدى ابراهيم لبعض اصحابه

فقالوا يا سيدى من يشهد لك وكان بمصر مع اصحابه والشيخان الآخران بالعراق فقال سيدى ابراهيم ها هما يشهدان بذلك بشير الى الشيخين فحضرا فى الحين وشهدا له فقال الرجل فهولاء ثلاثة وكلهم كمل فقال الشيخ رضى الله عنه تلك الحكاية يفعلها اضعف ما فى الاولياء ولقد رايت وليا بلغ مقاما عظيما وهو انه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش والحشرات والسموات ونجومها والارضين وما فيها وكرة العالم باسرها تستمد منه ويسمع اصواتها وكلامها فى لحظة واحدة ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير ان يشغله هذا عن هذا بل اعلى العالم واسفله بمنزلة من هو فى حيز واحد عنده ثم يرجع هذا الولى فينظر فيرى مدده من غيره وهو النبى صلى الله عليه وسلم ويرى مدد النبى صلى الله عليه وسلم من الحق سبحانه فيرى الكل منه تعالى قال وسمعت هذا الولى يقول اذا نظرت الى كون المدد من غيرى اجد نفسى كالضفدع والخلق كلهم اقوى منى واقدر قلت وهذه صفة شيخنا رضى الله عنه غوث الزمان والاقطاب السبعة تحته وقال له رضى الله عنه مرة انى ارى السموات السبع والارضين السبع والعرش داخلة فى وسط ذاتى وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابا وفى كل حجاب سبعون الف عام وبين كل حجاب وحجاب سبعون الف عام وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها فكل هولاء المخلوقات لا يقع فى فكرهم شئ فضلا عن جوارحهم الا باذن رجل رحمه الله تعالى قلت ولهذا الكلام شرح يعرفه اربابه رزقنا الله رضاهم وجعلنا من زمرتهم وحزبهم آمين آمين آمين يارب العالمين

واما قوله رضي الله عنه ان اسمى الاولياء يفعل تلك الحكاية
فقد صدق رضي الله عنه في ذلك فقد شاهدت من اخذ في بداية
الفتح واوائل الكشف يفعل مثل ذلك مع كونه الى الآن ما صح له
ايمان الصوفية رضي الله عنهم وسألته رضي الله عنه فقلت
وموروثه صلى الله عليه وسلم له مائة الف واربعة وعشرون
الف ذات فبالله لم يرثها الغوث كلها فقال رضي الله عنه لا يطيق
احد ما يطيقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الوراثة في الغوث
انه ليس ثم ذات شربت من ذات النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ذات الغوث رضي الله عنه والله اعلم الباب السابع
في تفسيره رضي الله عنه لبعض ما اشكل علينا من كلام الاشياخ
رضي الله عنهم فمن ذلك انه شرح لنا رضي الله عنه بعض
الالفاظ من صلاة القطب الكامل الوارث الواصل مولانا
عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فسمعته رضي الله عنه
يقول في شرح قوله اللهم صل على من منه انشقت الاسرار
حاكيا عن سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي رضي الله عنه
ان الله تعالى لما اراد اخراج بركات الارض واسرارها مثل
ما فيها من العيون والآبار والانهار والاشجار والثمار والازهار
ارسل سبعين الف ملك الى سبعين الف
ملك ثلاث سبعينات من الالوف فنزلوا يطوفون في الارض
فالسبعون الاولى يذكرون اسم النبي صلى الله عليه وسلم وادنا
بالاسم الاسم العالي على ما يأتي في شرح وتنزلت علوم آدم والسبعون
الثانية يذكرون قربه صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل *
ومنزلته صلى الله عليه وسلم منه والسبعون الثالثة تصلي
عليه صلى الله عليه وسلم ونوره صلى الله عليه وسلم مع الطوائف
الثلاث فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم

وحضوره بينها ومشاهدتها قربه صلى الله عليه وسلم من ربه
عز وجل قال وذكروه على الارض فاستقرت وعلى السموات فاستقلت
وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت باذن الله تعالى وعلى مواضع
عينيه فنضحت بالانوار التى فيها فهذا معنى قوله انشقت منه
الاسرار قلت فهذا معنى قول دلائل الخيرات وبالاسم الذى
وضعته على الليل فاظلم وعلى النهار فاستنار وعلى السموات
فاستقلت وعلى الارض فاستقرت وعلى الجبال فرست وعلى البحار
فجرت وعلى العيون فنبعت وعلى السحاب فامطرت فقال رضى
الله عنه نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم فببركته تكونت الكائنات والله اعلم قلت وقد سبق
كلام سيدى احمد بن عبد الله الغوث رضى الله عنه وقوله
لمريده يا ولدى لولا نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر
سر من اسرار الارض فلولا هو ما تفجرت عين من العيون ولا جرى
نهر من الانهار وان نوره صلى الله عليه وسلم يا ولدى يفوح
فى شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب فيقع لها الاثمار
ببركته صلى الله عليه وسلم ولولا نوره صلى الله عليه وسلم
ما اثمرت ويا ولدى ان اقل الناس ايمانا من يرى ايمانه على ذاته
مثل الجبل واعظم منه فاحرى غيره وان الذات تكل احيانا
عن حمل الايمان فتريد ان ترميه فيفوح نور النبى صلى الله عليه
وسلم عليها فيكون معينا لها على حمل الايمان فتستحليه وتستلذه
فراجعه فى اول الكتاب والله اعلم وسمعته رضى الله عنه مرة
اخرى يقول فى شرح من منه انشقت الاسرار انه لولا هو
صلى الله عليه وسلم ما ظهر تفاوت الناس فى الجنة والنار
ولكانوا كلهم على مرتبة واحدة فيهما وذلك انه تعالى لما خلق
نوره صلى الله عليه وسلم وسبق فى سابق علمه تفاوت

الناس في قبوله والميل عنه ظهر ذلك عليهم حيث خلق ذلك
النور فعلم هنالك ان منهم من يبلغ من الخشوع درجة كذا ومن
المعرفة درجة كذا ومن الخوف درجة كذا وان لون كذا من نوع
كذا وفلانا شرب منه نوعا آخر قبل ظهورهم وهم في عدم العدم
قال رضي الله عنه فتفاوت المراتب وتباينها هو معنى انشقاق
الاسرار منه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وسمعته رضي
الله عنه مرة اخرى يقول ان اسرار الانبياء والاولياء وغيرهم
كلها ماخوذة من سر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان له
سرين احدهما في المشاهدة وهو موهوب والآخر يحصل من
هذا السر وهو مكسوب فلنفرض المشاهدة بمثابة ثوب ما بقي
صاحب حرفة من الحرف الا وضع فيه شيئا من صنعته
ولنفرض صاحب المشاهدة كشارب لذلك الثوب باسره فاذا
شرب الخيط الذي صنعه الحرار مثلا امده الله تعالى بمعرفة
صناعة الحرير وكل ما تحتاج اليه في امورها وشؤونها كلها واذا
شرب الخيط الذي صنعه النساج مثلا امده الله تعالى بصناعة
النسج ومعرفة جميع ما تتوقف عليه وهكذا تاتي على سائر
الصنائع والحرف التي نعرفها والتي لا نعرفها فكذا مشاهدته
صلى الله عليه وسلم نفرضها مشتملة على جميع المعارف التي
سبقت بها ارادته تعالى قلت ووجه الشبه بينها وبين
الثوب السابق تباين الامور ففي الثوب السابق تباينت فيه
الصنائع والحرف وفي المشاهدة الشريفة تباينت فيه الاسماء
الحسنى وظهرت فيها اسرارها وانوارها ووجه آخر ان الصنائع
المتباينة اجتمعت كلها في الثوب السابق وكذا انوار الاسماء
الحسنى كلها اجتمعت في مشاهدته صلى الله عليه وسلم ووجه
آخر ان تلك الصنائع المتباينة بمعرفتها يقع التصرف في موضوعاتها

وكذا الاسماء الحسنى بالسقى بانوارها يقع التصرف فى هذا العالم فوجه الشبه مركب من مجموع هذه الاشياء الثلاثة وهو تباين الامور فى الشئ مع استيفائها فيه وكون التصرف يضاف اليهما والله اعلم ثم قال رضى الله عنه فتكون ذاته صلى الله عليه وسلم مشتملة على جميع مايلزم فى تلك المشاهدة وممدودة بسائر اسرارها من رحمة الخلق ومحبتهم والعفو عنهم والصفح والحلم والدعاء لهم بخير لعل الله تعالى يقويهم على الايمان بالله عز وجل قال رضى الله عنه وبهذا كان صلى الله عليه وسلم يدعو لابى بكر الصديق رضى الله عنه والناس اليوم لا يعرفون قيمة هذا الدعاء قلت يعنى انه لما فرضنا المشاهدة مشتملة على سائر الاسماء الحسنى وفرضنا صاحبها صلى الله عليه وسلم كالشارب السابق للشرب السابق لزم قطعا ان تكون ذاته صلى الله عليه وسلم مسقية بجميع انوار الاسماء الحسنى وممدودة باسرارها فيكون فى ذاته صلى الله عليه وسلم نور الصبر ونور الرحمة ونور الحلم ونور العفو ونور المغفرة ونور العلم ونور القدرة ونور السمع ونور البصر ونور الكلام وهكذا حتى تاتى على جميع الاسماء الحسنى فتكون انوارها فى الذات الشريفة على الكمال ثم قال الشيخ رضى الله عنه فنلتفت الى غيره من الملائكة والانبياء والاولياء فنجدهم قد تفرق فيهم بعض ما فى الذات الشريفة مع كون السقى وصل اليهم من الذات الشريفة فالاسرار الموجودة فى ذواتهم انشقت منه صلى الله عليه وسلم حتى انى سمعته رضى الله عنه يقول لولا الدم الذى فى الذات واللحم والعروق المانع من معرفة حقائق الامور لم يتكلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منذ وجد والى ان ظهر نبينا صلى الله عليه وسلم الا بامر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا تكون اشارتهم الا اليه

ولا يكونون ولا يتم الا عليه حتى انهم يصيرون لمن تبعهم بالمدد
انما يجنوا منه وان مددهم جميعا انما هو منه صلى الله عليه وسلم
وانهم في الحقيقة نائبون عنه لا مستقلون وانهم بمنزلة اولاده
وهو صلى الله عليه وسلم بمنزلة الاب لهم حتى يكون الخلق
كلهم فيه سواء ودعوة الجميع اليه صلى الله عليه وسلم واحدة
فان هذا هو الكائن في نفس الامر والامم الماضية تجري دعوتهم
وانفصالهم عن هذه الدار يعلمونه يقينا وفي الآخرة يظهر لهم
عيانا وعند دخول الجنة يقع الفصل بينهم وبين الجنة حيث
تنكمش عنهم وتنقبض وتقول لهم لا اعرفكم لستم من نور
محمد صلى الله عليه وسلم فيقع الفصل فانهم وان سبقوا
عليهم فهم ممتدون من انبيائهم وانبياؤهم عليهم الصلاة والسلام
ممتدون من النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الجميع ممتد منه
صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه لولا الدم وما سبق
في الارادة الازلية لكان هذا الواقع في دار الدنيا فقلت ولم
منع هذا الدم من معرفة الحق فقال رضي الله عنه لانه يجذب
الذات الى اصلها الترابي ويميل بها الى الامور الفانية فتشتاق
للبناء والغرس وجمع الاموال وغير ذلك يميل بها الى ذلك في كل
لحظة وهو عين الغفلة والحجاب عنه تعالى ولولا ذلك الدم
لم تلتفت الذات الى شيء من هذه الفانية اصلا قلت ولا يخفى
ان حجابيته تختلف فهي كثيفة في حق العوام ضعيفة في حق الخواص
وتقرب من الانتفاء في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومنتفية
راسا في حق سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وقد سبق
ما يدل على ذلك في الكتاب والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول
في قوله وانفلقت الانوار ان اول ما خلق الله تعالى نور سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها

ثم

ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والارواح
والجنة والبرزخ اما العرش فانه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك
النور من النور المكرم وهو اى النور المكرم نور نبينا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه اى العرش ياقوتة عظيمة لايقادر
قدرها وعظمها وخلق فى وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار
مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو
الجوهرة ثم ان الله تعالى امد تلك الجوهرة وسقاها بنوره صلى الله
عليه وسلم فجعل يخرق الياقوتة ويسقى الجوهرة فسقاها مرة
ثم مرة ثم مرة الى ان انتهى الى سبع مرات فسالت الجوهرة باذن
الله تعالى فرجعت ماء ونزلت الى اسفل الياقوتة التى هى العرش
ثم ان النور المكرم الذى خرق العرش الى الجوهرة التى سالت ماء
لم يرجع فخلق الله منه ملائكة ثمانية وهم حملة العرش فاقتصر
صفائه وخلق من ثقله الريح وله قوة وجهد عظيم فامرها تعالى
ان تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تخدم وجعل
البرد يقوى فى الماء فاراد الماء ان يرجع الى اصله ويجمد فلم تدعه
الرياح بل جعلت تكسر شقوقه التى تجمد وجعلت تلك الشقوق
تتغير ويدخلها النقل والتنوية وشقوق تزيد على شقوق ثم
جعلت تكبر وتتسع وذهبت الى جهات سبع واماكن سبع فخلق
الله منه الارضين السبع ودخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب
يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه
السموات السبع ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها
اولا وآخرا فجعلت النار تزيد فى الهواء من قوة خرق الريح للماء
والهواء وكلما زندت نارا اخذتها الملائكة وذهبت بها الى محل
جهنم اليوم فذلك اصل جهنم فالشقوق التى تكونت منها
الارضون تركوها على حالها والضباب التى تكونت منه السموات

تركوه على حاله ايضا والنار التى زندت فى الهواء اخذوها ونقلوها الى محل آخر لا نهم لو تركوها لاكلت الشقوق التى منها الارضون السبع والضباب الذى منه السموات السبع بل وتاكل الماء وتنشره بالكلية لقوة جمد الريح ثم ان الله تعالى خلق ملائكة الارضين من نوره صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يعبدوه عليها وخلق ملائكة السموات من نوره صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يعبدوه عليها واما الارواح والجنة الا مواضع منها فانها ايضا خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره صلى الله عليه وسلم واما البرزخ فنصفه الاعلى من نوره صلى الله عليه وسلم فخرج من هذا ان القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والارضين كلها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وان العرش والماء والجنة والارواح خلقت من نور خلق من نوره صلى الله عليه وسلم ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات ايضا سقى من نوره صلى الله عليه وسلم اما القلم فانه سقى سبع مرات سقيا عظيما وهو اعظم المخلوقات بحيث انه لو كشف نوره بجرم الارض لتدكدكت وصارت رميما وكذا الماء فانه سقى سبع مرات ولكن ليس كسقى القلم واما الحجب السبعون فانها فى سقى دائم واما العرش فانه سقى مرتين مرة فى بدء خلقه ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته وكذا الجنة فانها سقيت مرتين مرة فى بدء خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الامم الماضية ومن هذه الامة فانهم سقوا ثمان مرات الاولى فى عالم الارواح حين خلق الله نور الارواح جملة فسقاه الثانية حين جعل يصور منه الارواح فعند تصوير كل روح سقاها بنوره صلى الله عليه وسلم الثالثة يوم الست بربكم

فانه

فان كل من اجاب لله تعالى من ارواح المؤمنين والانبياء عليهم
الصلاة والسلام سقي من نوره صلى الله عليه وسلم لكن منهم
من سقي كثيرا ومنهم من سقي قليلا فمن هنا وقع التفاوت
بين المؤمنين حتى كان منهم اولياء وغيرهم واما ارواح الكفار
فانها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه فلما رات ما وقع
للارواح التي شربت منه من السعادة الابدية والارتقاءات
السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام والعياذ
بالله الرابعة عند تصويره في بطن امه وتركيب مفاصله وشق
بصره فان ذاته تسقى من النور الكريم لتلين مفاصله وتنفتح
اسماعها وابصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها الخامسة
عند خروجه من بطن امه فانه يسقى من النور الكريم ليلهم الاكل
من فيه ولولا ذلك ما اكل من فمه ابدا السادسة عند التقامه ثدي
امه في اول رضعه فانه سقي من النور الكريم ايضا السابعة عند
نفخ الروح فيه فانه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها
الروح ابدا ومع ذلك فلا تدخل فيها الا بكلفة عظيمة وتعب
يحصل للملائكة معها ولولا امر الله تعالى لها وهم فيتهابه ما قدر
ملك على ادخالها في الذات وسمعته رضي الله عنه مرة اخرى
يقول مثل الملائكة الذين يريدون ان يدخلوا الروح في الذات
كعبيد صغار للملك يرسلها الى الباشا العظيم ليدخلوه الى السجن
فاذا نظرنا الى الغلمان الصغار والى الباشا العظيم وجدناهم
لا يقدرون على مغالبة الباشا في امر من الامور واذا نظرنا الى
الملك الذي ارسلهم وانه الحاكم في الباشا وغيره حكمنا بانه
يجب ان يذل لهم الباشا وغيره واذا اراد والادخالها في الذات
حصل لها كرب عظيم وانزعاجات كثيرة وتجعل ترغرغ بصوت
عظيم فلا يعلم ما نزل بها الا الله تعالى والله اعلم الثامنة عند

تصويره عند البعث فانه يسقى من النور الكريم لتستمسك ذاته
قال رضى الله عنه فهذا السقى فى هذه المرات الثمان اشترك
فيه الانبياء والمؤمنون من سائر الامم ومن هذه الامة ولكن
الفرق حاصل فان ماسقى به الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قدر لا يطيقه غيرهم فلذلك حازوا درجة النبوة والرسالة
واما غيرهم فكل سقى بقدر طاقته واما الفرق بين سقى هذه الامة
الشريفة وبين سقى غيرها من سائر الامم فهو ان هذه الامة
الشريفة سقيت من النور الكريم بعد ان دخل فى الذات الطاهرة
وهى ذاته صلى الله عليه وسلم فحصل له من الكمال ما لا يكيف
ولا يطاق لان النور الكريم اخذ سر روحه الطاهرة وسر ذاته
الطاهرة صلى الله عليه وسلم بخلاف سائر الامم فان النور فى سقيها
انما اخذ سر الروح فقط فلهذا كان المؤمنون من هذه الامة الشريفة
كملا وعدولا وسطا وكانت هذه الامة خير امة اخرجت للناس
ولله الحمد والشكر قال رضى الله عنه وكذا سائر المخلوقات سقيت
من النور الكريم ولولا النور الكريم الذى فيها ما انتفع احد منها
بشئ قال رضى الله عنه ولما نزل سيدنا آدم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام الى الارض كانت الاشجار تتساقط ثمارها
فى اول ظهورها ولما اراد الله تعالى تثميرها سقاها من نوره
الكريم صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم جعلت تثمر ولقد كانت
قبل ذلك كلها اذا كان تنفتح ثم تتساقط ولولا نوره صلى الله عليه
وسلم الذى فى ذوات الكافرين فانها سقيت به عند تصويرها فى البطون
وعند نفخ الروح وعند الخروج وعند الرضاع لخرجت اليهم جهنم واكلتهم
اكلا ولا تخرج اليهم فى الآخرة وتاكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور
الذى صلحت به ذواتهم والله اعلم وسمعته رضى الله عنه مرة
اخرى يقول لما خلق الله تعالى النور الكريم وخلق بعده القلم

والعرش

والعرش واللوح والبرزخ والجنة ويخلق الملائكة الذين هم سكان
العرش والجنة والحجب قال العرش يارب لم خلقتني فقال الله تعالى
لاجعلك حجابا تحجب احبابي من انوار الحجب التي فوقك فانهم
لا يطيقونها لاني اخلقهم من تراب ولم يكن في ذلك الوقت اعداء
ولا دارهم التي هي جهنم فظن الملائكة انا احبابه الذين يخلقهم
تعالى من تراب يخلقهم في الجنة ويسكنهم فيها ويحجبهم بالعرش
ثم خلق الله تعالى نور الارواح جملة فسقاه من النور المكرم ثم
ميزه تعالى قطعا قطعا فصور من كل قطعة روحا من الارواح
وسقاهم عند التصوير من النور المكرم ايضا ثم بقيت الارواح
على ذلك مدة ومنهم من استحلى ذلك الشراب ومنهم من لم يستحله
فلما اراد تعالى ان يميز احبابه من اعدائه وان يخلق لاعدائه دارهم
التي هي جهنم جمع الارواح وقال لهم الست بربكم فمن استحلى
ذلك النور وكانت منه اليه رقة وحنو عليه اجاب مميزو رضى
ومن لم يستحله اجاب كرها وخوفا فظهر الظلام الذي هو اصل جهنم
فجعل الظلام يزيد في كل لحظة وجعل النور ايضا يزيد في كل لحظة
ايضا فعند ذلك علموا قدر النور المكرم حيث راوا من لم يستحله
استوجب الغضب وخلقت جهنم من اجلهم والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه يقول مرة اخرى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وان سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه
ما يناسبه وكتب له فان النور المكرم ذو الوان كثيرة واحوال
عديدة واقسام كثيرة فكل واحد شرب لونا خاصا ونوعا خاصا
قال رضي الله عنه فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
شرب من النور المكرم فحصل له مقام القربة وهو مقام يحمل صاحبه
على السياحة وعدم القرار في موضع واحد وسيدنا ابراهيم
عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام

الرحمة والتواضع ثم المشاهدة الكاملة فتراه اذا تكلم مع احد
يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم انه يتواضع له
وهو انما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته وسيد ناموسى
عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام
مشاهدة الحق سبحانه فى نعمه وخيراته وعطاياه التى لا يقدر
قدرها وهكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة
الكرام والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول انما ظهر الخير
لاهله ببركته صلى الله عليه وسلم واهل الخير هم الملائكة والانبيا
والاولياء وعامة المؤمنين فقلت وكيف يفرق بينهم فقال رضى الله
عنه الملائكة ذواتهم من النور وارواحهم من النور والانبياء عليهم
الصلاة والسلام ذواتهم من تراب وارواحهم من نور وبين
الروح والذات نور آخر هو شراب ذواتهم وكذا الاولياء غيران
الانبياء عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التى
لا تكيف ولا تطاق واما عوام المؤمنين فهم ذوات ترابية وارواح
نورانية ولذواتهم شبه عرق من ذلك النور الذى للاولياء والانبياء
عليهم الصلاة والسلام فقلت ومانسبة هذه الانوار من نور
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكيف استمدادها منه فضرب رضى
الله عنه مثلا عاميا على عادته نفعنا الله به وقال كمن جوع جماعة
من القطط مدة حتى اشتاقوا للاكل اشتياقا كثيرا ثم طرح خبزة
بينهم فجعلوا ياكلون منها اكلا حثيثا والخبزة لا ينقص منها قلامة
ظفر فكذا نوره صلى الله عليه وسلم تستمد منه العوالم ولا ينقص
شيئا والحق سبحانه وتعالى يمده بالزيادة دائما ولا نعلم فى الزيادة
بان يتسع فراغها بل الزيادة باطنة فيه لا تظهر ابدا كما ان النقص
لا يظهر فهذا النور المكرم تستمد منه الملائكة والانبياء والاولياء
والمؤمنون والمدد مختلف كما سبق والله اعلم وسمعته رضى الله عنه

يقول انوار الشمس والقمر والنجوم مستمدة من نور البرزخ ونور البرزخ مستمد من النور المكرم ومن نور الارواح التي فيه ونور الارواح مستمد من نوره صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه وانما ظهرت الانوار فيها عند قرب خلق آدم وبعد خلق الارض وجبالها فكانت الملائكة والارواح يتعبدون الله تعالى فلم يفجأهم الا والانوار ظهرت في الشمس والقمر والنجوم ففر الملائكة الذين في الارض من نور الشمس الى ظل الليل فجعلت الشمس تتبعه وهم يذهبون معه الى ان عادوا الى المكان الذي بدأوا منه وحصل لهم هول عظيم وظنوا ان ذلك حدث لامر عظيم فاجتمع ملائكة كل ارض في ارضهم وفعلوا ما سبق واما ملائكة السموات والارواح التي في البرزخ فانهم لما رأوا ملائكة الارض فعلوا ما فعلوا نزلوا معهم الى الارض فاما ارواح بني آدم فوقفوا مع ملائكة الارض الاولى واجتمع الجميع من ملائكة الارض والسموات والارواح على تلك الليلة فلما رجعت الشمس الى موضعها الاول ولم يحدث شيء امنوا فرجعوا امر اكرهم ثم صاروا يفعلون ذلك كل عام فهذا سبب ليلة القدر والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول في قولهم وفيها ارتقت الحقائق ان المراد بالحقائق اسرار الحق تعالى التي فرقها في خلقه وهي ثلثمائة وستة وستون سرا ظهرت في الحيوانات على ما اراد الحق سبحانه وظهرت في الجمادات كذلك وهكذا سائر المخلوقات قال رضي الله عنه ففي النبات مثلا سر منها وهو النفع فهذا النفع حقيقة من حقائق الحق سبحانه اى المتعلقة به لان كل حق فهو متعلق به سبحانه كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ثم هذا النفع ارتقى في النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ مقاما لم يكن لغيره الا ترى النفع السابق في استمداد المكونات كلها من نوره صلى الله عليه وسلم ولم يثبت هذا لمخلوق قال رضي

الله عنه وفى الارض مثلا سر الحمل لما فيها وهو حقيقة من حقائق
الحق سبحانه وقد ارتقى فى النبى صلى الله عليه وسلم الى حد لايطاق
حتى انه لو حمل ما فيه من الاسرار والمعارف على المخلوقات
لتها فتوا ولم يطيقوا ذلك وفى اهل المشاهدة مثلا سر من الاسرار
وهو انهم لا يغفلون عنه تعالى طرفة عين وهذا المعنى ارتقى فيه
النبى صلى الله عليه وسلم الى حد لا يطاق كما سبق فى مشاهدته
الشريفة وفى الصديقين سر من اسرار الحق سبحانه وهو الصدق
وقد ارتقى فى النبى صلى الله عليه وسلم الى حد لا يطاق وفى
اهل الكشف سر من اسرار الحق سبحانه وهو معرفة الحق على
ما هو عليه وقد ارتقى فى النبى صلى الله عليه وسلم الى حد لايبلغ
كنهه وبالجملة فارتقاء الحقائق على قدر السقى من انوار الحق
سبحانه ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى الانوار
ومنه تفرقت لزم ان الحقائق ارتقت فيه على قدر نوره ونوره
لا يطيقه احد فارتقاء الحقائق الذى فيه لا يطيقه احد والله
اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول فى قوله وتنزلت علوم
آدم ان المراد بعلوم آدم ما حصل له من الاسماء التى علمها المشار
اليها بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها والمراد بالاسماء الاسماء
العالية لا الاسماء النازلة فان كل مخلوق له اسم عال واسم نازل
فالاسم النازل هو الذى يشعر بالمسمى فى الجملة والاسم العالى
هو الذى يشعر باصل المسمى ومن اى شئ هو وبفائدة المسمى
ولاى شئ يصلح الفاس من سائر ما يستعمل فيه وكيفية صنعة
الحداد له فيعلم من مجرد سماع لفظه هذه العلوم والمعارف
المتعلقة بالفاس وهكذا كل مخلوق والمراد بقوله تعالى الاسماء
كلها الاسماء التى يطيقها آدم ويحتاج اليها سائر البشر او لهم بهم
تعلق وهو من كل مخلوق تحت العرش الى ما تحت الارض فيدخل

في ذلك الجنة والنار والسموات السبع وما فيهن وما بينهن وما بين السماء والارض وما في الارض من البراري والقفار والاودية والبحار فكل مخلوق في ذلك ناطق او جامد الا وآدم يعرف من اسمه تلك الامور الثلاثة اصله وفائدته وكيفية ترتيبه ووضع شكله فيعلم من اسم الجنة من اين خلقت ولاي شيء خلقت وترتيب مراتبها وجميع ما فيها من الحور وعدد من يسكنها بعد البعث ويعلم من لفظ النار مثل ذلك ويعلم من لفظ السماء مثل ذلك ولاي شيء كانت الاولى في محلها والثانية وهكذا في كل سماء ويعلم من لفظ الملائكة من اي شيء خلقوا ولاي شيء خلقوا وكيفية خلقهم وترتيب مراتبهم وباي شيء استحق هذا الملك هذا المقام واستحق غيره مقاما آخر وهكذا في كل ملك في العرش الى ما تحت الارض فهذه علوم آدم واولاده من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء الكمل رضي الله عنهم اجمعين وانما خص آدم بالذكر لانه اول من علم هذه العلوم ومن علمها من اولاده فانما علمها بعده وليس المراد انه لا يعلمها الا آدم وانما خصصناها بما يحتاج اليه وذريته وبما يطيقونه لئلا يلزم من عدم التخصيص الاحاطة بمعلومات الله تعالى وانما قال تنزلت اشارة الى الفرق بين علم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه العلوم وبين علم آدم وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ربما فانهم اذا توجهوا اليها يحصل لهم شبه مقام عن مشاهدة الحق سبحانه واذا توجهوا نحو مشاهدة الحق سبحانه حصل لهم شبه النوم عن هذه العلوم ونبينا صلى الله عليه وسلم لقوته لا يشغله هذا عن هذا فهو اذا توجه نحو الحق سبحانه حصلت له المشاهدة التامة وحصل له مع ذلك مشاهدة هذه العلوم وغيرها مما لا يطاق واذا توجه نحو

هذه العلوم حصلت له مع حصول هذه المشاهدة فى الحق سبحانه
فلا يحجبه مشاهدة الحق عن مشاهدة الخلق ولا مشاهدة الخلق
عن مشاهدة الحق سبحانه فتلك العلوم انما تنزلت ورسخت فيه
دون غيره صلى الله عليه وسلم فان غيره تزول عنه اذا توجه
نحو الحق سبحانه ولذلك اعجز صلى الله عليه وسلم الخلائق
وتضاءلت الفهوم فيه اى اضمحلت فلم يفهموه ولم يعرفوه
والفهوم جمع فهم وهو نور العقل الذى هو الادراك فلم يدركه
منا اى من بنى آدم سابق وهم الانبياء ولا لاحق وهم الاولياء
الكمل والموجب لذلك هو ان روحه عليه الصلاة والسلام
لما كانت كاملة فى الكمالات الباطنية فكذلك ذاته صلى الله عليه
وسلم كاملة فى الكمالات الذاتية فرياض الملكوت اى فاسرار
العالم العلوى اى فاسرار القدر التى فيه وفى خلق كل مخلوق
فيه ووضعه فى موضعه من الملائكة وجميع ما فيه ولم
كانت السماء فى محلها واللوح المحفوظ فى محله بزهر جماله مونقة
اى رحمها الله تعالى بنوره صلى الله عليه وسلم وحياض الجبروت
بفيض انواره متدفقة اعلم ان العالم العلوى يقال له عالم الملك
وعالم الملكوت وعالم الجبروت باعتبارات مختلفة فعالم الملك
باعتبار اتفاق اهله اعنى ناطقهم وصامتهم وجامدهم وعاقلهم
فانهم اتفقوا على نظر واحد والتفات واحد الى معبود واحد
وهو الحق سبحانه فهم متفقون على معرفته ومشاهدته
وسلب الاختيار عنهم بخلاف اهل الارض من العالم السفلى
فمنهم عباد الشمس وعباد قمر وعباد كوكب وعباد صليب
وعباد وثن وغير ذلك من ضلاد لانهم فاختلف نظرهم بخلاف
اهل العالم العلوى وبالجملة فكل عالم اتفق اهله على كلمة حق
فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم العلوى وعالم الملكوت

باعتبار

باعتبار اختلاف انوار اهله وتباين مقاماتهم واحوالهم وعالم
الجبروت باعتبار الانوار التي تهب عليهم كما يهب علينا ريح الهواء
في عالمنا فتهب عليهم تلك الانوار لتستقي بها ذواتهم وارواحهم
وصار فهم وتدوم بها مقاماتهم فهي اي الانوار التي تهب عليهم كالحافظة
لجميع ما سبق من احوالهم فجعل لتلك الانوار التي اشير اليها بالجبروت
حياضا ولما كانت تلك الانوار انما تستمد من نوره صلى الله عليه
وسلم قال ان تلك الحياض تدفقت من فيض انواره صلى الله
عليه وسلم قلت وهذا الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه في هذه
العوالم الثلاثة حسن وذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو
المدرك بالحواس وعالم الملكوت هو المدرك بالمعقول وعالم الجبروت
هو المدرك بالمواهب وقال بعضهم عالم الملك هو الظاهر المحسوس
وعالم الملكوت هو الباطن في المعقول وعالم الجبروت هو المتوسط
بينهما الاخذ بطرف من كل منهما وقال بعضهم الجبروت هو
حضرة الاسماء كما ان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها
وسائط التصرف بين الاسماء والافعال كاللطف والقهر
المتوسطين بين اللطيف والملطوف والقهار والمقهور والله
تعالى اعلم وقال رضي الله عنه مرة اخرى في قوله فرياض
الملكوت اعلم ان الرياض هنا كمن يقول محاسن الملكوت والملكوت
هو العالم العلوي وقصده هنا هو اللوح المحفوظ مع القلم والبرزخ
وما فوق ذلك من العرش لان اللوح المحفوظ مكتوب فيه اسمه
صلى الله عليه وسلم واسماء الانبياء والاولياء وعباد الله الصالحين
وسائر المؤمنين وحروف اللوح المحفوظ تسطع منها الانوار
وتخرج على قدر اختلاف مقامات اصحاب الاسماء المتقدمة
عند الله عز وجل فانوار اللوح المتعلقة بحروف الاسماء المتقدمة
في غاية الاختلاف وكذلك الانوار الخارجة من القلم مختلفة جدا

كالاختلاف السابق واما البرزخ فلا يطيق احد ان يحصى الوان
الانوار الخارجة منه وهى انوار ارواح الانبياء والاولياء وعباد
الله الصالحين وسائر المؤمنين وكذلك انوار العرش فانها مختلفة
السطع فيه على حسب اختلاف منازل سكان الجنة فكل منزل
فيها له نور يخصه والعرش يسطع فيه نور كل منزل فانواره
مختلفة ولما اختلفت انوار هذه الاشياء حسن تشبيهه لها
بالرياض المحسوسة المشتملة على ازهار متعددة وانوار متباينة
ولذلك اطلق عليها اسم الرياض فقال فرياض الملكوت ولما كان
نوره صلى الله عليه وسلم فى تلك الاشياء المتقدمة فان اسمه
مكتوب فى اللوح المحفوظ وخرج نوره من اسرار القلم ولروحه
الشريفة مقام فى البرزخ وله فى الجنة المقام الذى لا مقام فوقه
فلزم ان نوره صلى الله عليه وسلم موجود مع تلك الانوار المتقدمة
وحيث كان موجودا معها حصل لها بسببه حسن وبهاء ورونق
عجيب ونظام غريب واليه اشار بقوله بزهر جماله صلى الله عليه
وسلم ولا شئ الا وهو به منوط اى معلق استمدادا واستنادا
فان الكل مستمد منه صلى الله عليه وسلم ومستند عليه فى الحقيقة
اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط الواسطة هنا نبينا
صلى الله عليه وسلم وسماه بالواسطة لوجود الاشياء من اجله
صلى الله عليه وسلم وهو وسيلتهم العظمى والمراد بالموسوط ما عداه
صلى الله عليه وسلم وقوله كما قيل اشارة الى ان هذا امر قد قاله غيره
واشار به الى ما اشتهر على السنة الخاص والعام وانه لولا هو صلى
الله عليه وسلم ما خلقت جنة ولا نار ولا سماء ولا ارض ولا زمان
ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا غير ذلك صلاة تليق بك اى بقدرك
وعظمتك منك اى صادرة منك لا منى اليه اى تنتهى اليه سرك
الجامع اى الذى حمل من اسرارك وجمع منها ما لم يجمعه غيره فان

المشاهدة كلما اتسعت دائرتها اتسعت علوم صاحبها ولا اعظم
من مشاهدته صلى الله عليه وسلم وعندنا يعلم من الفرش الى
العرش ويطلع على جميع ما فيه ما فوقه احد وهذه العلوم كلها
بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كالف من ستين حزبا التي هي
القرآن العزيز والله اعلم واعلم وفقك الله انى لم يمكننى ان اسأله
رضى الله عنه كما احب عن قوله فلم يدركه منا سابق الى آخر
ما كتبته فى شرحه رضى الله عنه لهذه المواضع من هذه الصلاة
المباركة لحضور بعض من لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه فى مجلسنا
فلم ينطلق لسانه رضى الله عنه كما سبق الاعتذار غير ما مرة ولو
مشى الشيخ رضى الله عنه على ما سمعناه منه فى اول الصلاة
لسمعنا منه العجب العجاب والله اعلم وسمعته رضى الله عنه
يقول فى قوله اللهم الحقنى بنسبه وحققنى بحسبه ان المراد بالنسب
ما ثبت فى باطنه صلى الله عليه وسلم من المشاهدة التى عجز عنها
الخلائق اجمعون والشيخ عبد السلام رضى الله عنه كان قطبا
جامعا ووارثا كاملا له صلى الله عليه وسلم حتى سقى من مشاهدته
الشريفة قال رضى الله عنه والمراد بالحسب صفاته صلى الله عليه
وسلم مثل الرحمة والعلم والحلم وغير ذلك من اخلاقه الزكية
الطاهرة المرضية ولما كانت مشاهدته صلى الله عليه وسلم
لا يطيقها احد طلب اللحوق بها دون التحقق بها لانه لا يطيقه
قال رضى الله عنه واياك ان تظن ان حرية نظر الشيخ توجهت
لغير ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم من كشف وتصرف
وولاية بل هى مقصورة على الذات الشريفة وسمعته رضى
الله عنه مرة اخرى يقول اللهم الحقنى بنسبه اى بالجهد والقوة
وحققنى بحسبه اى ما حصل عليه صلى الله عليه وسلم وما

تحمله ثم ضرب مثلا برجل له ابل لا تحصى وتركها مدة تتناسل
وهو في كل ذلك يفصل الثياب الفاخرة واللباسات الزاهرة
والاحمال الباهرة ونظر فيمن يطيق حمل جميع ما فصل فلم يجد
في ابله كلها سوى واحد فجعل الجميع عليه وحمله بغير كلفة
ولا مشقة والله اعلم ثم سمعته رضي الله عنه يقول في قول
الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وليس من الكرم ان لا
تحسن الا لمن احسن اليك الى آخره ان هذا الكلام صدر من
الشيخ حين مشاهدته رحمة الله الواسعة فلما وقعت هذه
المشاهدة لروحه نطقت الذات لضعفها ولم تقم بالادب الواجب
كمن يعلم حرمة النوح والتذبيب ويرتكبه اذا نزل به ما يوجبه
عالما بالتحريم لضعف ذاته ومرة اخرى ضرب رضي الله عنه
مثلا برجل اطلع على ملك وحوله جماعة وهو يعطي كل واحد
ما لا يحصى من القناطير فدخل ذلك الرجل وبه من القلق
والاضطراب والخوف من عدم العطاء ما اخرجه عن عادته
فجعل يقول للملك ان لم تعطني فلست بكريم والله اعلم وذلك
لان هذا الكلام في الحزب الكبير محل اشكال حتى قال الشيخ ابن
عباد رضي الله عنه ينبغي ان يسقط اليك من قوله احسن
اليك واساء اليك لانه لا يحسن احد الى الله ولا يسيء اليه
بدليل قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم
فلها غير انه لا يقدر واحد يبدل لفظ الشيخ لانه ينظر بنور الولاية
ما لا ينظر غيره وقال ايضا كثيرا ما راينا في النسخ الصحيحة مكتوبا
على هذا الفصل من كان له مع الله بسط حال وادلال فليأت
بهذه الكلمات ومن ليس كذلك فليتجاوزها الى ما بعدها من
قوله ربنا ظلمنا انفسنا انتهى وقال البرزلي رايت في بعض النسخ
على هذا الموضع وهي التي اخذناها عن شيخنا ابي الحسن الطبري

عن الشيخ ابي العزائم ماضي عن الشيخ ابي الحسن يسلم لهذا
الشيخ في هذا الموضع ولا يقاس عليه اهـ والله اعلم وسالته
رضي الله عنه عن معنى قول ابن الفارض رضي الله عنه *
شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم
فقال رضي الله عنه هذه اشارة الى شيء في عالم الارواح والمراد
بالحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم فذكره في ذلك العالم سبب
في حصول المشاهدة التامة فتنتقل الروح بسبب هذه المشاهدة
من حالة كانت عليها الى حالة تحصل لها وتتبدل في هذه الحالة
عوائدها وجميع معارفها فتحصل لها قوة عظيمة على خرق الانوار
وقطع الاغيار وتنقطع عن الحالة الاولى حتى كانها لا تعرفها
اصلا فحسن لذلك تشبيه هذه المشاهدة بالمدامة لثلاثة
امور الاول ان المدامة سبب في الانتقال من حالة الى حالة
وكذلك هذه المشاهدة الثاني ان المدامة سبب في الانقطاع
عن الحالة الاولى وكذلك هذه المشاهدة الثالث ان المدامة
سبب في الشجاعة والجرءة والاقدام لان المدامة اذا طلعت
في راس شاربها يستحقر في عينه كل احد وكذلك هذه
المشاهدة سبب في اقدام صاحبها على جميع الانوار وخرقه
لها وطرحه لجميع الاغيار فهذا معنى قوله شربنا على ذكر الحبيب
مدامة اي جرينا بالمشاهدة في الحق سبحانه على ذكر حبيبه
صلى الله عليه وسلم وقوله سكرنا بها اي انقطعنا بها عن
غيره تعالى وتعلقنا به وحده وقوله من قبل ان يخلق الكرم
يعني لان ذلك في عالم الارواح والكرم انما خلق في عالم
الاشباح ثم ان هذه المشاهدة التي سقيت بها الروح بسبب
ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم بقيت فيها الى ان دخلت
في الذات فحصلت لها الغفلة بسبب انقطاع الذات في شهواتها

فلما جعل الشخص يذكر الحبيب ويسمع من يذكره جعلت
المشاهدة التي في الروح تنزل في الذات وتحل فيها شيئا
فشيئا الى ان تحصل للذات الامور الثلاثة التي حصلت
للروح فتنتقل من حالة الى حالة وتنتقل من الحالة الاولى
وتنقطع الاغيار وتتعلق بالواحد القهار سبحانه لا اله الا
هو والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول اني لم ازل اتعجب
من الولي الذي يقول انه يملأ الكون وذلك لان للكون بابا منه
يقع الدخول اليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولا يطيق مخلوق
من المخلوقات ان يحمل نوره صلى الله عليه وسلم ومن عجز عن
الباب فكيف يطيق غيره اللهم الا ان يكون دخل من باب
يعني فيكون فتحه شيطانيا ظلمانيا وهذا الا يملأ بيته فضلا
عن داره فضلا عن شيء آخر قال رضي الله عنه واعلم ان
انوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وارضين
وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها اذا جمعت كلها وجدت
بعضا من نور النبي صلى الله عليه وسلم وان مجموع نوره
صلى الله عليه وسلم لو وضع على العرش لذاب ولو وضع
على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ولو جمعت
المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور المعظم لتهافتت وتساقطت
واذا كان هذا شأن نوره صلى الله عليه وسلم فكيف يقول
من يقول انه يملأ الكون فاين تكون ذاته اذا بلغت المدينة
المشرفة وقربت من القبر الشريف ام كيف تكون اذا تصاعدت
نحو البرزخ وقربت من الموضع الذي فيه النور المعظم القائم
بالروح الشريفة أتكون ذاته حاملة له والمخلوقات بجملتها
عاجزة عنه ام يتخطى ذلك الموضع فلم يملأ الكون والغرض

ان

ان الموضع المذكور اخذ من القبر الشريف الى قبة البرزخ تحت
العرش ولعله اراد بالكون ما بين السماء والارض ما على موضع
البرزخ الذى فيه النور المذكور فقلت ولعله انه يملأه من حيث
النور اى يملأه بنوره لا بذاته كالشمس التى سطعت على السموات
والارض فقال رضى الله عنه وما مراده الا انه يملأ بنوره ولا
يريد انه يملأ بذاته ولكن اين نوره من نور المصطفى صلى الله عليه
وسلم فان ذلك النور من النور المكرم بمنزلة الفتيلة فى وسط النهار
وقت الظهيرة وهل يصح ان يقال ان تلك الفتيلة كسفت نور
الشمس فقلت ونور الشمس من النور المكرم بمنزلة الفتيلة فما
باله ملأ الاكوان فقال رضى الله عنه لم يملأ الاكوان بمعنى ان
النور المكرم ذهب بسببه واضمحل فكيف ونور الشمس انما هو
من نور ارواح المؤمنين الذى هو من نوره صلى الله عليه وسلم
وانما سبب ذلك انا حجبنا عن مشاهدة النور المكرم كما حجبنا عن
مشاهدة انوار الاولياء فلو كشف الحجاب لكانت الانوار عند النور
المكرم بمنزلة الفتائل وسط النهار ولم يظهر للشمس ولا لغيرها
نور الا كما يظهر للفتائل وسط النهار قال رضى الله عنه ولقد
جهدت غاية الجهد من مدة الصبح الى الضحى وانا انظر هل اقدر
على حمل الباب فما قدرت عليها ووجدتها قوية جدا والله الموفق
وسألته رضى الله عنه عن حكاية الرجل الذى نزل الى البحر ثم
خرج بعد ساعة فقال له صاحبه الذى كان ينتظره لقد ابطأت
على حتى خفت من فوات الجمعة فقال له انى [illegible] وله
فيها كذا وكذا شهرا وقد تزوجت وولد لى فيها فقلت كيف يكون
هذا والساعة التى مرت عليهما واحدة فكيف تكون على هذا
ساعة وعلى الآخر عدة شهور فان الشمس التى فى الاولى فتكون
بها الساعة والشهر واحدة فان كانت على الذى غطس فى البحر

عدة شهور فكيف تكون على اهل مصر فان كانت مدة شهور حتى
تزوج فيها وولد له لزم المحال فان اهل مصر واهل دجلة التي هي
البحر السابق لا يمكن اختلاف في مشارق الشمس ومغاربها بالنسبة
اليهما اختلافا يبلغ هذا القدر ابدا وان كانت على اهل مصر ساعة
فكيف ساغ له ان يتزوج فيها ويولد له فيها هذا من اشكل ما بلغنا
من كرامات الاولياء وليس طي الزمان كطي المكان فان طي الزمان
يلزم فيه المحذور السابق وطي المكان محض كرامة لا محذور فيه
والحكاية المذكورة ذكرها غير واحد وربما احتج لها بعضهم بطول
يوم القيامة فان مقداره خمسون الف سنة وهو على المؤمن
كساعة وكركعتي الفجر ولا دليل فيه لان طول القيامة قد قيل
انه طول شدة لا طول مدة واكبر ظني ان عليه اقتصر ابن حجر
في الفتح والله اعلم فقال رضي الله عنه ان الله تعالى لا يعجزه
شيء فهو يقدر على ان يجعل لصاحب الحكاية زمانا آخر وقوما
آخرين في حال كونه في البحر ويحجبه عن مشاهدة البحر وهو فيه
كما حجب تعالى من شاء عن مشاهدة الملك وهو معه دائما
واذا حجبه عن البحر واشهده ذلك الزمان واولئك القوم ويمثلهم
تعالى بما شاء باهل مصر او بغيرهم حتى يحصل المراد من الحكاية
ثم يذهب تعالى ذلك الزمان واولئك القوم وانما يفعل تعالى
هذا ونحوه لشيء وقع لصاحب الحكاية فقلت صدقتم رضي الله
عنكم كذلك قالوا انه كان ينكر بعض ما يقع للاولياء مع كثرة خدمته
لهم قال رضي الله عنه وقد رايت انا ما هو اقرب من هذه وهو
اني رايت شخصا عند الضحى وهو لم يتزوج بعد فلما كان عند
الظهر رجعت الى الموضع وجدت الشخص قد مات ووجدت ابنه
قد قام مقامه في صنعته والابن قد بلغ فابوه لم يتزوج عند
الضحى ثم تزوج بعدما وولد له وبلغ ولده قبل الظهر فقلت هؤلاء

من الجن ام من الانس فقال رضي الله عنه ليسوا من الجن ولا
من الانس ولله عوالم لا تحصى وما يعلم جنود ربك الا هو قال
رضي الله عنه وقد وقع لي عام احد عشر بعد موت امي ما يستغرب
وذلك ان ابي تزوج امراة اخرى واستجور امة له فباتت الامة
فضربتني فقلت اي هم اقاسيه هم الامة ام هم المراة فتنكدت
وتغيرت ثم حجرت في سنة فرايت جميع ما يقع لي الى انصرام اجلي
فرايت من التقي معه من الاشياخ ورايت المراة التي اتزوجها
ومضى المدة الى ولادة ولدي عمر وذبحت له وسبعت ثم رايت
جميع ما يقع لي بعد ولادة عمر الى ولادة ولدي ادريس وذبحت
له وسبعت ثم جميع ما يقع لي بعده الى ولادة ابنتي فاطمة ورايت
الفتح الذي وقع لي بعد ولادتها وجميع ما ادركته لا يغيب عني
شيء منه ومن جميع ما وقع ويقع لي في عمري وهذا كله في سويعة
ولست بنائم حتى تكون رؤيا منام قلت وهذه رؤيا حصلت
بالروح كما سمعته رضي الله عنه يقول مرة اخرى ان الجنين اذا
سقط من بطن امه يراه العارف الكامل في تلك الحالة على الحالة
التي يبلغ اليها عمره وينتهي اليها اجله ويرى فيه جميع ما يدركه
من خير او شر حتى اذا شاهده مشاهدة العارف ونسخ جميع
ما شاهده وطرح النسخة عنده وجعل يقابلها مع ما يظهر
في الذات ويشاهد فيها كل ساعة ولحظة وجدهما لا يختلفان
ابدا في شيء من الاشياء والله اعلم وسمعته رضي الله عنه
يقول فيما يقرب من خلق اولئك القوم في نظر ذلك الرجل ان
بعض العارفين مر بموضع فتمنى ان تكون فيه مدينة يعبد فيها
الله عز وجل فامر الله الملائكة فنزلوا في صورة بني آدم وقال
للمدينة كوني فكانت فمر العارف بالموضع مرة اخرى فوجد
المدينة واهلها يعبدون الله تعالى فحمد الله واثنى عليه بما

هو اهله فبقيت المدينة واهلها يعبدون الله فيها الى ان
مات ذلك العارف فرجع كل شيئ الى اصله فالملائكة الى مراكزهم
والمدينة رجعت الى العدم المحض حتى ان من مر قبلها بعد
وفاة ذلك العارف بساعة يقول ما كانت هنا عمارة قط
وبهذا سمعته يجيب عن كلام حكى له عن الحاتمي رضي الله
عنه لم اتحققه الآن لان غيري حكاه له فسمعته والله اعلم
يقول ان الحاتمي قال في بعض مشاهداته انه رآى الجنة
في كذا يعني في غير موضعها فاجابه رضي الله عنه وانا اسمع
فان العارف لا اشرف عنده في الامكنة ولا في الازمنة من
المكان الذي تحصل له فيه تلك المشاهدة فينتبه تعالى على
تلك المشاهدة بان يخلق تعالى جنة في جهة ذلك العارف
فيظن انه رآى الجنة في غير موضعها وانما هو شيئ آخر خلق
له ثانية فكاد الذي حكى له كلام ابن العربي يطير فرحا حين
سمع هذا الجواب والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول
في تحقيق خلق اولئك القوم في نظر ذلك الرجل فقال لي انظر
الى هذا الهواء الذي بيني وبينك فقلت له قد نظرت فاشار الى
سطح اصبع منه وقال ان الله تعالى يامر هذا المقدار انه يتسع حتى
يكون مثل هذا الهواء الذي بيني وبينك ثم يجعل تعالى فيه الوانا
عديدة اصفر واحمر واخضر واسود ويحجب الهواء الاول عن هذا
الهواء الثاني وعن جميع ما فيه ثم ياخذ جزءا من الهواء الاول ويحجبه
من الهواء الاول ويدخله في هذا الهواء الثاني ويريه العجائب والالوان
التي فيه ثم يرد ذلك الجزء الى الهواء الاول ويذهب الهواء الثاني
بجميع ما فيه قال رضي الله عنه اوليس ربنا عز وجل بقادر على
هذا واكثر منه فقلت بلى انه على كل شيئ قدير والله اعلم وسالته
رضي الله عنه عن كلام صاحب الاحياء في كتاب التفكر حيث قال

ان سيدنا جبريل اعلم من سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه
وسلم فقال لي رضى الله عنه لو عاش سيدنا جبريل مائة الف
عام الى مائة الف عام الى ما لا نهاية له ما ادرك ربما من معرفة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا من علمه بربه تعالى وكيف يمكن
ان يكون سيدنا جبريل اعلم وهو انما خلق من نور النبي صلى الله
عليه وسلم فهو وجميع الملائكة بعض نوره صلى الله عليه وسلم
وجميعهم وجميع المخلوقات يستمد من المعرفة منه صلى الله عليه
وسلم وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم مع حبيبه عز وجل
حيث لا جبريل ولا غيره واستمد صلى الله عليه وسلم من ربه
تعالى اذ ذاك ما يليق بعطية الكريم جل جلاله وعظمته مع
حبيبه صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك بمدة مديدة جعل تعالى
يخلق من نور الكريم جبريل وغيره من الملائكة عليهم الصلاة
والسلام قال رضى الله عنه وجبريل وجميع الملائكة وجميع
الاولياء ارباب الفتح وحتى الجن يعرفون ان سيدنا جبريل
عليه السلام حصلت له مقامات في المعرفة وغيرها ببركة صحبته
للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث لو عاش سيدنا جبريل عليه
السلام طول عمره ولم يصحب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
وسعى في تحصيلها وبذل المجهود والطاقة ما حصل له مقام
واحد منها فالنفع الذى حصل له من النبي صلى الله عليه وسلم
لا يعرفه الا هو ومن فتح الله عليه قال رضى الله عنه وسيدنا
جبريل انما خلق لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم وليكون من
جملة حفظة ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وونيسه له
اذ هو صلى الله عليه وسلم سر الله من هذا الوجود وجميع الموجودات
تستمد منه فيحتاج الى مشاهدتها وذاته الشريفة خلقت من
تراب كذوات بنى آدم فهى لا تألف الا ما يشاكلها فاذا شهد ما لا

يشاكله اسمه جبريل ثم ذكرلنا رضي الله عنه ان صور الملائكة
تخلع هذه الذات وتدهش منها لكونها على صورة لا تعرف مع
كثرة الايدي والارجل والرؤس والوجوه وكونها على سعة
عظيمة بحيث تملأ ما بين الخافقين قال رضي الله عنه ولا يعلم
ذلك الا من فتح عليه فكان سيدنا جبريل ونيسة للذات الترابية
الشريفة في امثال هذه الامور واما روحه الشريفة صلى الله
عليه وسلم فانها لا ترهب شيئا من هذه الصور ولا من غيرها
لانها عارفة بالجميع فقلت ولم كانت الروح الشريفة لا تكفي
في الونيسة فقال رضي الله عنه لان الذات لا تشاهدها
منفصلة عنها والوحدانية لله تعالى ووحده لا يطيق الدوام
عليها الا ذاته تعالى ومن عداه شفع يحب الشفع ويميل اليه
قال رضي الله عنه وسيدنا جبريل انما كان ونيسة فيما تطيقه
ذاته ويعرفه مما هو تحت سدرة المنتهى اما ما هو فوق ذلك
من الحجب السبعين والملائكة الذين فيها فانه لم يكن ونيسة في
ذلك لانه اي سيدنا جبريل عليه السلام لا يطيق مشاهدة
ما فوق سدرة المنتهى لقوة الانوار ولهذا ذهب صلى الله عليه
وسلم في قطع تلك الحجب وحده ولم يذهب معه جبريل عليه
السلام وطلب منه الذهاب معه فقال لا اطيقه وانما تطيقه
انت الذي قواك الله عليه وتكلمت معه في امر الوحي وكيفية
تلقي النبي صلى الله عليه وسلم وهل يتلقاه بواسطة جبريل كما
هو ظاهر كثير من الآي اولا فاتى فيه بكلام لا تطيقه العقول
فلا ينبغي كتبه والله اعلم وسألته رضي الله عنه عن سبب
تكبير العيد سبعا في الركعة الاولى وستا في الركعة الثانية وذكرت
له بعض ما قاله الفقهاء في ذلك فقال رضي الله عنه مسرعا
سببه ان التكبيرة الاولى يشاهد فيها العبد المكبر الاسماء سبعا

الوجود صلى الله عليه وسلم المكونات التى فى الارض الاولى
والتى فى السماء الاولى ويشاهد المكون سبحانه والتكبيرة الثانية
يشاهد فيها المكونات التى فى الارض الثانية والتى فى السماء
الثانية ويشاهد المكون سبحانه لانها افعاله تبارك وتعالى
والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها المكونات التى فى الارض الثالثة
والتى فى السماء الثالثة ويشاهد المكون سبحانه لانها افعاله
تبارك وتعالى والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها المكونات التى
فى الارض الرابعة والتى فى السماء الرابعة ويشاهد المكون سبحانه
لانها افعاله تبارك وتعالى والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها المكونات
التى فى الارض الخامسة والتى فى السماء الخامسة ويشاهد المكون
سبحانه لانها افعاله تبارك وتعالى والتكبيرة السادسة يشاهد
فيها المكونات التى فى الارض السادسة والتى فى السماء السادسة
ويشاهد المكون سبحانه لانها افعاله تبارك وتعالى والتكبيرة
السابعة يشاهد فيها المكونات التى فى الارض السابعة والتى
فى السماء السابعة ويشاهد المكون سبحانه لانها افعاله تبارك
وتعالى هذا فى الركعة الاولى واما الركعة الثانية فان التكبيرة الاولى
منها يشاهد فيها ما خلق فى اليوم الاول وهو يوم الاحد ويشاهد
المكون سبحانه والتكبيرة الثانية يشاهد فيها ما خلق فى اليوم
الثانى وهو يوم الاثنين ويشاهد المكون سبحانه والتكبيرة الثالثة
يشاهد فيها ما خلق فى اليوم الثالث وهو يوم الثلاثا ويشاهد
المكون سبحانه والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها ما خلق فى اليوم
الرابع وهو يوم الاربعاء ويشاهد المكون سبحانه والتكبيرة
الخامسة يشاهد فيها ما خلق فى اليوم الخامس وهو يوم الخميس
ويشاهد المكون سبحانه والتكبيرة السادسة يشاهد فيها
ما خلق فى اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويشاهد المكون

سبحانه فقلت وهذه المخلوقات فى هذه الايام الستة هى التى
فى السموات السبع وفى الارضين السبع فقال رضى الله عنه
يشاهد عند رؤيته الى الايام اصول المخلوقات التى كانت
فى بدء الخلق واما عند نظره الى السموات والارضين فيشاهد
المخلوقات الموجودات على ظهرهما فقلت فتكبير العيد سبعا
وسنا شرع فى حق كل مكلف واين كل مكلف من هذه المشاهدة
فقال رضى الله عنه من فتح الله عليه فلا كلام فيه ومن لم يفتح
عليه فينبغى له ان يستجلى هذه المشاهدة ويستحضرها ولو
على سبيل الاجمال والله تعالى جواد كريم فاذا استحضر العبد
ما ذكرته فى هذا العيد وفى العيد الذى بعده وهكذا وفرح بربه
ودام على ذلك فان الله تعالى لا يخيبه ولا تخرج روحه من
جسده حتى يريه تعالى هذه المشاهدات تفصيلا ان الله على
كل شئ قدير والبعد والانقطاع انما حصل من ناحية العبد لا من
ناحية الرب سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان
الله لمع المحسنين فقلت فسر التكبير ثلاثا اثر خمس عشرة فريضة
من ظهر يوم النحر فقال رضى الله عنه التكبيرة الاولى يستحضر
فيها ويشاهد تصوير الذات نطفة ثم علقة ثم مضغة والتكبيرة
الثانية يستحضر فيها ويشاهد تمام التصوير وكماله وحسن
خلقته ونفخ الروح فيه وصيرورته خلقا آخر فتبارك الله
احسن الخالقين والتكبيرة الثالثة يستحضر فيها ويشاهد
فساد الصورة ورجوعها ترابا حين تكون فى القبر فان هذه
الامور الثلاثة من عجائب قدرته تبارك وتعالى ومن غرائب
ما اودعه فى مصنوعاته سبحانه لا اله الا هو وهذا التكبير
لا ينتهى عند الصوفية بما ذكره الفقهاء بل يستعملونه دبر كل
صلاة ولكن قبل السلام منها قال رضى الله عنه والمفتوح عليه

يشاهد هذه الاحوال عيانا ويراها جهارا فيشاهد من باهر قدرة تعالى ما لا يكيف وكم من عجائب لله تعالى فى مخلوقاته فاذا حصل للمفتوح عليه ما اوجب تغييره او قبضه او نحو ذلك نظر اليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ونحو ما نزل به ما لا يكيف فغير المفتوح عليه يدفعه بالرؤية والعيان قال رضى الله عنه وعلى وجه الارض عجائب لو شاهدها ارباب الادلة والبراهين لما احتاجوا الى دليل من تلك العجائب ما اذا شاهده العبد علم بوحدانية الله تعالى من غير دليل تكفيه مشاهدة ذلك الامر ومنها ما اذا شاهده العبد علم بوجود جهنم ولا يحتاج الى دليل الى غير ذلك من عجائب مخلوقات ربنا سبحانه وتعالى والله اعلم وسألته رضى الله عنه عن قول ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه خضنا بحورا وقفت الانبياء بسواحلها فقال رضى الله عنه النبوة خطرها جسيم وقدرها عظيم وما حبها كنز ومقام رفيع وجناب منيع لا يبلغ احد مقداره ولا يشق سائر غباره فهيهات ان يصل الولى الى رجالها وشتان ما بينه وبين رجالها ولكنه قد علم ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو سيد الانبياء وامام المرسلين وخيرة خلق الله اجمعين وقد يعير صلى الله عليه وسلم بعض اثوابه لبعض الكاملين من امته الشريفة فيحصل له ما قال ابو يزيد البسطامى وذلك فى الحقيقة منسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو الخائض لتلك البحور والمقدم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال رضى الله عنه وقد غلط من الاولياء من اهل الفتح فظن ان الولى العارف الكبير قد يبلغ مقام النبى فى المعرفة وان كان فى الدرجة لا يصله قال رضى الله عنه وهذا الذى ظنوه غلط مخالف لما فى نفس الامر والصواب ان الولى ولو بلغ فى المعرفة ما بلغ لا يصل الى ما ذكروه ولا يقرب

منه اصلا والله اعلم وسالته رضى الله عنه عما نسب لحجة
الاسلام ابى حامد الغزالى رضى الله عنه من قوله ليس فى
الامكان ابدع مما كان فقال رضى الله عنه القدرة الالهية
لا تحصر والرب سبحانه وتعالى لا يعجزه شئ قلت وهذا
الكلام فى غاية الاتقان والعرفان وقد استخرت الله تعالى
غير مرة فى ان اكتب شيئا فى هذه المسالة محبة فى الخير ونصيحة
للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الضروريات ولكنه
لما كثر فيها القيل والقال واختلفت فيها اجوبة الرجال كادت
تلتحق بسبب ذلك بادق النظريات فنقول مستعينا بالله
ومعتصما بحوله وقوته قال الله تعالى فى كتابه العزيز الذى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات
تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا وقال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم الى قوله عز وجل وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم
لا يكونوا امثالكم وقال تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين وقال
تعالى وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف
من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين وقال
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقال تعالى قل فلله
الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين وقال تعالى ولو شئنا
لبعثنا فى كل قرية نذيرا وقال تعالى ان نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقال تعالى ولو
شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وقال تعالى
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان

يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقال
تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقال تعالى يخلق الله
ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وقال تعالى ويخلق ما لا تعلمون
وفى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم
فى مرضه ائتونى اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر
حسبنا كتاب الله وقال ابن عباس ان الرزية كل الرزية
ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب
لهم كتابا وفى الحديث الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم
خرج ليريهم ليلة القدر فتلاحى رجلان فرفعت وهذان
الحديثان فى صحيح البخارى وقال الحافظ السيوطى فى الباهر
فى حكم النبى صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر الحديث
الرابع قال ابو بكر بن ابى شيبة فى مسنده حدثنا زيد بن الحباب
حدثنا موسى بن عبيدة حدثنا هود بن عطاء الله اليمانى عن
انس قال كان فينا شاب ذو عبادة وزهد واجتهاد فسميناه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ووصفناه بصفته فلم يعرفه
فبينما نحن كذلك اذ اقبل فقلنا يا رسول الله هو هذا فقال انى
لارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء فسلم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجعلت فى نفسك ان ليس فى القوم
خير منك فقال اللهم نعم ثم ولى فدخل المسجد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يقتل الرجل فقال ابو بكر انا فدخل فاذا
هو قائم يصلى فقال ابو بكر كيف اقتل رجلا وهو يصلى وقد نهانا
النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل المصلين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يقتل الرجل فقال عمر انا يا رسول الله فدخل المسجد
فاذا هو ساجد فقال مثل ابى بكر وزاد لارجعن فقد رجع من هو
خير منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عمر فذكر له

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتل الرجل فقال علي
انا فقال انت تقتله ان وجدته فدخل المسجد فوجده قد خرج فقال
اما والله لو قتلته لكان اولهم وآخرهم ولما اختلف في امتي اثنان
اخرجه ابو يعلى في مسنده من طريق عن موسى به وموسى وشيخه
فيهما لين ولكن للحديث طرق تقتضي ثبوته طريق ثان عن انس
قال ابو يعلى في مسنده حدثنا ابو خيثمة حدثنا عمر بن يوسف
حدثنا عكرمة هو ابن عمار عن يزيد الرقاشي حدثني انس قال كان
رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو معنا فاذا رجع
وحط عن راحلته عمد الى المسجد فجعل يصلي فيه فيطيل الصلاة
حتى جعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له فضلا
عليهم فمر يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في اصحابه
فقال له بعض اصحابه يا نبي الله هذا ذلك الرجل فاما ارسل اليه
واما جاء هو من قبل نفسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا قال والذي نفسي بيده ان بين عينيه لسفعة من الشيطان
فلما وقف على المجلس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقلت
حين وقفت على المجلس في نفسك ليس في القوم خير مني قال نعم
ثم انصرف فاتى ناحية من المسجد فخط خطا برجله ثم صف كعبيه
ثم قام يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يقوم الى
هذا يقتله فقام ابو بكر فقال اقتلت الرجل قال وجدته يصلي فهبته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يقوم الى هذا يقتله
فقال عمر انا فاخذ السيف فوجده قائما يصلي فرجع فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمر اقتلت الرجل فقال يا نبي الله وجدته
قائما يصلي فهبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يقوم
الى هذا يقتله فقال علي انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت له ان ادركته فذهب علي فلم يجده فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان هذا اول فرق خرج من امتى لو قتلته ما اختلفت
فى امتى اثنان ان بنى اسرائيل تفرقوا على احدى وسبعين فرقة
وان هذه الامة ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار
الا فرقة واحدة قلنا يا نبى الله من تلك الفرقة قال الجماعة طريق
ثالث عن الرقاشى عن انس قال البيهقى فى دلائل النبوة اخبرنا
عبد الله الحافظ وابو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا
ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا
بشر بن بكر عن الاوزاعى قال حدثنى الرقاشى عن انس بن مالك
قال ذكروا رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا قوته
فى الجهاد واجتهاده فى العبادة فاذاهم بالرجل مقبل قالوا هذا الذى
كنا نذكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
انى لارى فى وجهه سفعة من الشيطان ثم اقبل فسلم عليهم
فقال رسول الله هل حدثتك نفسك بان ليس فى القوم خير منك
قال نعم ثم ذهب فاختط مسجدا وصف قدميه يصلى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يقوم اليه فيقتله فقال ابو بكر انا
فانطلق اليه فوجده قائما يصلى فقال يا رسول الله وجدته قائما
يصلى فهبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يقوم اليه
فيقتله فقال عمر انا فقام فصنع كما صنع ابو بكر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم يقوم اليه فيقتله فقال على انا فقال انت ان
ادركته فذهب فوجده قد انصرف فرجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هذا اول فرق خرج من امتى لو قتلته ما اختلف
اثنان بعده من امتى ثم قال ان بنى اسرائيل افترقت على احدى
وسبعين فرقة وان امتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها
فى النار الا فرقة واحدة قال يزيد الرقاشى هى الجماعة طريق رابع
عن انس قال ابو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن بكار حدثنا ابو

معشر عن يعقوب بن زيد بن طلحة عن زيد بن اسلم عن انس بن
مالك قال ذكر رجل للنبي صلى الله عليه وسلم له نكاية في العدو و
واجتهاد قال لا اعرفه فقالوا بلى نعته كذا وكذا فقال لا اعرفه
فبينما نحن كذلك اذ طلع الرجل فقالوا هو هذا يا رسول الله قال
ما كنت اعرف هذا هو اول فرق رايته في امتي ان فيه لسفعة من
الشيطان فلما دنا الرجل سلم فردوا عليه السلام فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالله هل حدثت نفسك حين
طلعت علينا ان ليس في القوم احد افضل منك قال اللهم نعم فدخل
المسجد فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قم فاقتله
فدخل ابو بكر فوجده قائما يصلي فقال ابو بكر في نفسه ان للصلاة
حرمة وحقا ولو اني استامرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء
اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقتلته قال لا رايته قائما
يصلي ورايت للصلاة حرمة وحقا وان شئت ان اقتله قتلته قال
لست بصاحبه اذهب يا عمر فاقتله فدخل عمر المسجد فوجده ساجدا
فانتظره طويلا ثم قال ان للسجود حرمة فلو اني استامرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد استامره من هو خير مني فجاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اقتلته قال لا رايته ساجدا ورايت
للسجود حقا وان شئت ان اقتله قتلته قال لست بصاحبه قم
يا علي فانت صاحبه ان وجدته فقام علي فدخل فوجده قد خرج
من المسجد فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقتلته
قال لا قال لو قتلته ما اختلف رجلان من امتي حتى الدجال
طريق خامس لهذا الحديث من رواية جابر بن عبد الله قال ابو
بكر بن ابي شيبة واحمد بن منيع معا في مسنديهما حدثنا يزيد بن
هارون حدثني العوام بن حوشب حدثني طلحة بن نافع ابو سفيان
عن جابر قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فيه

واثنوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله فقال
ابو بكر انا فانطلق فوجده قائما يصلي فرجع ابو بكر ولم يقتله لما رآه
على تلك الحالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله فقال
عمر انا فذهب فوجده قائما يصلي فرجع ولم يقتله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يقتله فقال علي انا فقال انت ولا اراك
تدركه فانطلق فوجده قد ذهب اخرجه ابو يعلى حدثنا ابو خيثمة
حدثنا يزيد بن هارون بهذا وهذا الاسناد صحيح على شرط مسلم
فان يزيد بن هارون والعوام بن حوشب من رجال الصحيحين
وابو سفيان طلحة بن نافع من رجال مسلم فلو لم يكن لهذا الحديث
الا هذا الاسناد وحده لكان كافيا في ثبوته وصحته طريق سادس
لهذا الحديث من رواية ابي بكرة الصحابي قال الامام احمد بن حنبل
في مسنده حدثنا روح حدثنا عثمان الشحام حدثنا مسلم بن ابي
بكرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل ساجد وهو
منطلق الى الصلاة فقضى الصلاة فرجع اليه وهو ساجد فقام
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقتل هذا فقام رجل فحسر عن
يديه فاخترط سيفه وهزه ثم قال بابي انت وامي يا نبي الله كيف
اقتل رجلا ساجدا يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ثم قال من يقتل هذا فقام رجل فقال انا فحسر عن ذراعيه واخترط
سيفه وهزه حتى ارتعدت يده ثم قال يا نبي الله كيف اقتل رجلا
ساجدا يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان اول فتنة
وآخرها قال الحافظ السيوطي رضي الله عنه وهذا الاسناد صحيح
على شرط مسلم فان روحا من رجال الصحيحين وعثمان الشحام
وابن ابي بكرة كلاهما من رجال مسلم انتهى ما اردنا نقله من كلام
الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى واذا تاملت هذا الذي اوردناه

من الآيات والاحاديث علمت منه الحق الواضح والطريق الراجح
وقد اعتنيت سؤال العامة عن هذه المسالة الذين قلوبهم خالية
عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فاقول لهم هل يقدر
ربنا جل جلاله على ايجاد مثل هذا العالم فيقولون ومن يتوقف
في هذا وربنا على كل شئ قدير وقدرته نافذة لا يعجزها شئ من
الاشياء وقلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على ايجاد افضل من هذا
العالم فقال لي الا تسمع الى قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويات بخلق
جديد ولم يقيد الجديد بكونه دوننا فجاز ان يكون افضل منا او
مساويا لنا فاعجبني والله فهمه غاية وقلت لبعض الفقهاء
ما قولك في قول ابي حامد ليس في الامكان ابدع مما كان فقال
لي قد تكلم عليه الشيخ الشعراني وغيره فقلت انما اسالك عما
عندك فيه فقال لي واي شئ عندي فيه فقلت ويحك انها عقيدة
ارايت لو قال لك قائل هل يقدر ربنا جل جلاله على ايجاد افضل
من هذا الخلق فقال اقول له ان مقدورات الله لا تتناهى فيقدر
على ايجاد افضل من هذا الخلق بالف درجة وافضل من هذا الافضل
وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت وقوله ليس في الامكان ابدع مما
كان ينافي ذلك فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة المنسوبة لابي حامد
رضي الله عنه وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء فاذا سالتهم
عن عبارة ابي حامد استشعروا اجلاله الامام حجة الاسلام
فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة
جزموا بعموم القدرة وعدم نهاية المقدورات والله اعلم فصل
وقد ظهر لي ان اثبت كلام ابي حامد رضي الله عنه في هذه المسالة
ثم اذكر ما للناس فيه لتتم الفائدة فاقول قال ابو حامد رضي
الله عنه في الاحياء مشيرا الى ما يثمر التوكل ما نصه وهو ان
يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله تعالى

لو

لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما لا تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل قدرهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العواقب حتى اطلعوا بذلك على الخير والشر والنفع والضر وامرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او ضر عمن بلى به ولا ان تزاد صحة او غنى او كمال او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله من السموات والارض ان امعنوا فيه البصر وطولوا فيه النظر لما راوا فيه من تفاوت ولا فطور وكل ما قسمه الله بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان اصلا اتم منه ولا احسن ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عاجزا والعجز يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقص في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى شخص غيره اذ لولا الليل ما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم عليها بالذبح ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على اهل الجنة بتعظيم

العقوبة على اهل النيران ومالم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا
خلق البهائم لما ظهر شرف الانسان فان الكمال والنقص ظهرا
بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص وكما ان
قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فدا الكامل بناقص
فكذلك التفاوت الذى بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة
فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر
زاخر عظيم عميق واسع الاطراف مضطرب الامواج غرق فيه
طوائف من الناظرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون
ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء
سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضى به وقد صار
ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا
معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر منتظر
وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك انتهى كلامه
فى الاحياء بنقل السيد السمهودى رحمه الله تعالى فى تاليفه
فى هذه المسالة الذى سماه ايضاح البيان لما اراد الحجة من ليس
فى الامكان ابدع مما كان وكذا نقله برهان الدين البقاعى فى تاليف
له فى هذه المسالة سماه دلالة البرهان على ان ليس فى الامكان
ابدع مما كان قال السمهودى رحمه الله وكذا وقع لابى حامد مثل
هذه العبارة فى جواهر القرآن وفى الاجوبة المسكتة وهى اجوبة عن
اعتراضات وردت على كتاب الاحياء فى زمن مؤلفه قلت وكذا وقع
له مثل هذه العبارة فى كتابه الذى سماه مقاصد الفلاسفة وقد
اختلف العلماء رضى الله عنهم فى هذه المسئلة المنسوبة الى ابى حامد
على ثلاثة طوائف فطائفة انكرتها وردتها وطائفة اولتها وطائفة
كذبت النسبة الى ابى حامد ونزهت مقامه عن هذه المسئلة *
الطائفة الاولى الرادة على ابى حامد رحمه الله وهم المحققون من

اهل عصره فمن بعدهم الى هلم جرا قال الامام ابو بكر بن العربي
فيما نقله ابو عبد الله القرطبي فى شرح اسماء الله الحسنى قال
قال شيخنا ابو حامد الغزالى قولا عظيما انتقده عليه اهل العراق
وهو بشهادة الله موضع انتقاد قال ليس فى القدرة ابدع من هذا
العالم فى الاتقان والحكمة ولو كان فى القدرة ابدع منه وادخره لكان
ذلك منافيا للجود واخذ ابن العربى فى الرد عليه الى ان قال ونحن
وان كنا قطرة فى بحره فانا لا نرد عليه الا بقوله ثم قال فسبحان
من اكمل لشيخنا هذا فواضل الخلائق ثم صرف به عن هذه الواضحة
فى الطرائق وممن سلك هذا المسلك ابو العباس ناصر الدين بن المنير
الاسكندرى المالكى وصنف فى ذلك رسالة سماها الضياء المتلالى
فى تعقب الاحياء للغزالى وقال المسئلة المذكورة لا تتمشى الا على
قواعد الفلاسفة والمعتزلة وفى مناقضة هذه الرسالة الف
السيد السمهودى رسالته السابقة منتصرا لابى حامد رحمه
الله ومعترضا على ابن المنير وسياتى ما فى ذلك ان شاء الله تعالى
وقال كمال الدين بن ابى شريف فى شرح المسايرة بعد ان ذكر ان فى
مقدورات الله تعالى ما هو ابدع من هذا العالم ما نصه ثم ان
ما فى بعض كتب الاحياء ككتاب التوكل مما يدل على خلاف ذلك
والله اعلم صدر عن ذهول ابتنائه على طريق الفلاسفة وقد انكره
الائمة فى عصر حجة الاسلام وبعده ونقل انكاره عن الائمة الحافظ
الذهبى فى تاريخ الاسلام انتهى وقال بدر الدين الزركشى قال
الغزالى ليس فى الامكان ابدع من صورة هذا العالم ولو كان ممكنا
ولم يفعل لكان بخلا ينافى الجود او عجزا ينافى القدرة قال وهذا من
الكلمات العقم التى لا ينبغى اطلاق مثلها فى حق الصانع ولعله انما
اراد تعظيم صنعة الصانع قلت وذلك لان الاله الحق يثبت له الاختيار
المطلق واستحالة صفة الظلم والبخل والعجز فقوله فى دليله السابق

اذ لو كان ابدع من هذا العالم وادخره مع القدرة عليه لكان بخلا وظلما
مخالف لذلك وقد تعرض ابو حامد بنفسه في كتابه المسمى بالاقتصاد
الذي الفه في الاعتقاد لبيان استحالة هذه الحقائق في حقه تعالى
فعلى هذا فاذا كان هناك ابدع من هذا العالم ولم يفعله فذلك لكمال
اختياره وتعاليه في عظمته وسلطانه لا لما قاله هنا من ان ذلك
بخل وعجز وظلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ورحم الله ابن العربي
في قوله السابق ونحن وان كنا قطرة في بحره فانا لا نرد قوله الا
بقوله واذا اردت ان نرد قوله بقوله فانظر كتاب الاقتصاد
المتقدم وانظر كتاب القسطاس المستقيم له الى مواضع كثيرة في
الاحياء صرح فيها بالحق الذي يجب للرب سبحانه ولعلنا نشير الى
شيء من ذلك فيما ياتي ان شاء الله تعالى الطائفة الثانية وهم
المنتصرون لابي حامد رضي الله تعالى عنه والمؤولون لكلامه
على وجه صحيح في ظنهم فاول هذه الطائفة ابو حامد نفسه فانه
سئل في زمانه عن هذه المسالة وهذا كلامه رحمه الله قال
في الاجوبة المسكتة حاكيا السوال ما معنى ليس في الامكان ابدع
مما كان من صورة هذا العالم ولا احسن ترتيبا ولا اكمل صنعا ولو
كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا ينافي الجود الالهي
وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا ينافي الالهية وكيف يقضى
عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق
العالم ويقال ادخار خلق العالم من العدم الى الوجود عجز مثل
ما قيل فيما ذكرناه وما الفرق بينهما ثم قال في الجواب ان ذلك اي
تاخيره خلق العالم قبل خلقه عن ان يخرجه من العدم الى الوجود
قد شفت الاختيار من حيث انه الفاعل المختار ان يفعل وان لا يفعل
فاذا فعل فليس في الامكان ان يفعل الا نهاية ما تقتضيه الحكمة
الى آخر كلامه الذي لا يفيد في الجواب شيئا قلت واذا ثبت له الاختيار

قبل الفعل فيثبت له تعالى حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا اله الا
هو فان كان الاختيار هو السبب في تاخير وجود العالم فيجب ان
يكون هو السبب في تاخير وجود الابدع والاعراض عنه وحينئذ
فقوله واذا فعل فليس في الامكان ان يفعل الا نهاية ما تقتضيه
الحكمة يقتضي ان الاختيار مسلوب عند الفعل وانه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا يجب عليه فعل ما تقتضيه الحكمة وحينئذ فيقال لابي حامد
رحمه الله فاذا كان الابدع عدم تاخير وجود العالم فلم عدل عنه
فيقول لا محالة انما عدل عنه ليثبت له الاختيار فيقال له وكذا
يقال بعد الفعل انما لم يجب فعل الابدع ليثبت له تعالى الاختيار
فان قال عند الفعل ينسلب عنه وقبله يثبت له لزمه نفي وصف
الاختيار الثابت له تعالى ازلا وما ثبت قدمه استحال عدمه فهذه
حجة واضحة ظاهرة على حجة الاسلام رضي الله عنه وقال
الشيخ الشعراني رحمه الله في الاجوبة المرضيه من سادتنا الفقهاء
والصوفيه ومما انكروه على الامام الغزالي قوله ليس في الامكان
ابدع مما كان قال المنكرون هذا يفهم منه العجز في الجناب الالهي
والجواب كما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات ان
كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لانه ما ثم
الا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق
تعالى وحده باجماع اهل الملل والمرتبة الثانية للخلق فلو خلق الله
تعالى ما خلق فلا يخرج من مرتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق
سبحانه على ان يخلق قديما يساويه في القدم لانه سؤال مهمل
في غاية المحال انتهى قلت وليس هذا من الجواب في شيء ولا نسبة
بينه وبين مسئلتنا بوجه ولا بحال وانما يصح ان يكون جوابا لو
كان مدعى الغزالي رحمه الله ان ليس في الامكان ابدع من القديم
ومدعى المنكرين عليه ان في الامكان ما هو ابدع من القديم فيكون

الجواب ان الحادث لا يبلغ القديم ابدا اما حيث كانت دعواه في مراتب الحدوث وان ما وجد من الحوادث لا يمكن ان يوجد حادث ابدع منه ودعوى المنكرين انه يمكن ان يوجد ما هو ابدع منه والا لزم تناهي المقدورات وذلك يستلزم القصور في القدرة المفضي للعجز فاني يلاقيها ذلك الجواب والله تعالى اعلم ثم قال الشعراني ناقلا لجواب آخر واجاب الشيخ عبد الكريم الجيلي بان كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح ان يرقى عن رتبته في العلم القديم ولا ان ينزل عنها فصح قول الامام ليس في الامكان ابدع مما كان انتهى قلت وهذا ايضا ليس بجواب لانا نسلم ان كل واقع في الوجود لا يرقى عن مرتبته في العلم ولا ينزل عنها وذلك لا يستلزم انه لا يمكن وجود ابدع منه وانما يصح ان يكون جوابا لو كان كلام الغزالي هكذا ليس في الامكان ان يرقى الحادث عن مرتبته في العلم او ينزل عنها والله تعالى اعلم ثم قال الشعراني ناقلا لجواب آخر واجاب الشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي في الطريق رحمه الله بان معنى كلام الغزالي ليس في الامكان ابدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استاثر الحق تعالى بعلمه وادراكه وابدعيته خاصة به تعالى فان ذلك اكمل وابدع حسنا من هذا العالم الذي اظهر لنا اذ لو كان هذا العالم بيد خلقه نقص لتعدى ذلك الى خالقه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد اجمع اهل الملل كلها على انه لا يصدر عن الكامل الا كامل قال الله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلومات الامتنان والامتداح لا يكون الا فيما هو كامل الاوصاف وكيف يمتن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بمفضول انتهى قلت وهذا ان سلم من التصحيف فليس بجواب ايضا اما اولا فانه متدافع اذ اوله يقتضي نفي امكان

الابدع بحسب عقولنا فقط وانه ثابت بحسب علمه تعالى واخره
يقتضى نفى امكانه مطلقا اذ لو ثبت امكان الابدع لكان هذا
الموجود ناقصا بالنسبة اليه فيسرى النقص الى خالقه تعالى
وحينئذ فنختار ما اقتضاه اول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره
ولا نسلم لزوم النقص فى الخالق سبحانه اذ لا يلزم من ثبوت
النقص فى المفعول ثبوته فى الفاعل كما لا يخفى والا فالحادث
كله ناقص لاحتياجه وافتقاره الى خالقه فلو كان نقص الفعل
يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع ايضا لنقصه بالحدوث
واما ثانيا فالاجماع الذى عول عليه لا يعتمد عليه فى هذا الباب
لان المسئلة راجعة الى القدرة التى هى احدى مصححات الفعل
التى لا يمكن اثباتها بالاجماع كما لا يخفى واما ثالثا فالاجماع
الذى هو حجة ومعتصم هو اجماع هذه الامة الشريفة الكريمة
بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرها من الامم وهذه الامة الشريفة
قد اثبتت لربها الاختيار وان يفعل فى ملكه ما يشاء ويحكم
ما يريد سبحانه لا اله الا هو والله يعلم انى لم اقصد الاعتراض
على ساداتنا العلماء رضى الله عنهم اجمعين وانما غرضنا ابانة
الحق واظهاره لا غير والله تعالى اعلم واجاب الامام ابو البقاء
محمد البكرى الشافعى بقوله والجواب عن ذلك ان ايجاد عالم ابدع
من هذا العالم مستحيل لانه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة
عن الله تعالى ولو كان جائزا لورد به الكتاب قال تعالى ما فرطنا
فى الكتاب من شئ ولم ترد به السنة ولو كان فيهما لذكره العلماء
ونقلوه الينا فعلم ان ذلك مستحيل ولا نقص فى القدرة قلت
وفيه نظر من وجوه احدها ان الكتاب والسنة قد وردا
بذلك وقد سبق ذلك فى صدر الكلام فراجعه ثانيا ان الكتاب
والسنة انما يستدل بهما فى الامور النقلية التى لا دخل للعقل

فيها واما احكام العقل الصرفة التي قيل انها نفس العقل التي هي
العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات
فهي من الامور الضرورية التي لا يحتاج فيها الى دليل نقلي والله
تعالى اعلم ولا شك ان مسئلتنا من جواز الجائزات فتكون ضرورية
لا يحتاج فيها الى دليل ثالثها ان ما ذكره معارض بكل علم بديهي كعلمنا
بان الاربعة زوج وانها نصف الثمانية وان الواحد نصف الاثنين
فيقال ان هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سنة فتكون مستحيلة
لان كل ما ليس في الكتاب ولا في السنة مستحيل على قاعدة جوابه
والله اعلم واجاب بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالى بان
قوله ليس في الامكان ابدع مما كان بالنسبة الى ادراك العقول
النيرة لا بالنسبة الى عالم السر الخفي الكامل المطلق الذي لا تنتهي
احكامه ولا تنفد عجائبه ولا تحصى غرائبه فمراده ليس في الامكان
بحسب ما تقتضيه العقول لا بحسب ما في غيب الله ولذا
قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون فحكم العارف على قدر ادراكه لا على
قدر احكام ربه سبحانه فان الرب تعالى محيط بكل شيء وليس
لاحد احاطة بنوع من انواعه من كل وجه فان لكل نوع احكاما
متعددة منها ما اطلع الله عليه بعض عبيده ومنها ما هو راجع له
انتهى قلت وفيه نظر فان العقول النيرة تدرك في بداية نظرها
جواز وجود ممكن ابدع ولا تحتاج في ذلك الى فكر وروية لما
سبق ان ذلك راجع الى العلم بجواز الجائزات التي قيل انها نفس العقل
وقوله فحكم العارف على قدر ادراكه اقول انما ذلك فيما يدق
ويخفى على غالب العقول واما الظاهر المبذول الضروري فلا
فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا
فلا وقد سألت بعض العامة عن هذه المسئلة فقال اوليست
القدرة صالحة لكل ممكن يفرض فقلت نعم فقال اوليس تقصرها

على

على بعض الممكنات دون بعض قصورا وعجزا فقلت نعم فقال اوليس العجز على البارى سبحانه مستحيلا فقلت نعم فقال المسئلة ظاهرة فاى شئ يخفى فيها وسالت عاميا آخر عنها فقال اوليس صاحب الصغرى يقول وكذا يستحيل تعالى عليه العجز عن ممكن ما وهذا الذى تقولونه ممكن فيقدر البارى تعالى عليه والا كان عاجزا والله اعلم واجاب الشيخ سيدى احمد زروق رضى الله عنه فى شرح قواعد العقائد للامام حجة الاسلام ابى حامد رضى الله عنه عند قوله فيها ولا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها فقال الشيخ زروق رضى الله عنه يعنى ان كل ما برز بالقدرة وتخصص بالارادة واتقن بالعلم الالهى لا يصح ان يكون ناقصا فى وجوده لكمال الاوصاف التى وجدعنها وهو اثر من آثارها اذ يلزم من وصفه بالنقص من حيث ذلك وصفها اى الاوصاف المنسوب اليها بقصرها وتقصيرها ثم التقبيح والتحسين العقلى فى محله والعادى فى محله والشرعى فى محله لان ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة الينا وعلى ما ذكرهنا يتخرج ما نسب اليه من قوله ليس فى الامكان ابدع مما كان يريد ان ما كان وما يكون الى الابد حتى حصل فى حيز فلا ابدع منه لان العلم اتقنه ولا نقص فى اتقانه والارادة خصصته ولا نقص فى تخصيصها والقدرة ابرزته ولا نقص فى ابرازها فبروزها على ابدع الوجوه واكملها وعلى هذا تفهم هذه الكلمة وان لم تفهم عليه لزمه القول بقصور القدرة وما معها من الاوصاف وذلك باطل لا يقوله احمق فضلا عن عاقل وبالله التوفيق اه قلت ولا يخفى ما فيه فانه لوكان نقص الاثر يستلزم نقص المؤثر واوصافه لكان وجود غير الابدع مستحيلا ولكان وجود الابدع واجبا وذلك يجر الى التعليل وينفى الاختيار

فالصواب ان ذلك اللزوم ممنوع ووجود الابدع وغيره جائز والاختيار
شامل والقدرة عامة ولا نهاية لمتعلقاتها هذا ان اراد اللزوم
فى نفس الامر وان اراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة فى نظرنا
ورأينا فقد سبق ما فيه فى كلام الزركشى والله اعلم واجاب
برهان الدين بن ابى شريف وهو اخر الكلام المتقدم فى الطائفة
الاولى واصغر منه وعاش بعده زمانا طويلا فقال ما نصه
وليس فى مقالة حجة الاسلام ايجاب شئ ولا تحجير على القدرة
ولا نفى لقدرته تعالى على غير هذا العالم بل هو قادر على ابراز عوالم
لا نهاية لها ولكن تعلق علم القدير ووقع اختياره وارادته لايجاد
ما اتصف بالابدع لكونه دالا على ما اقتضته صفاته وقوله ليس
فى الامكان ابدع مما كان اى ليس فيما تعلقت القدرة به وسبق به
العلم والارادة من الممكنات ابدع مما وجد لما قررناه اهـ قلت
وفيه نظر من وجهين احدهما انه جعل سبق العلم والارادة
دليلا على ان ما وجد هو الابدع وهو لا يدل على ذلك وانما يدل على
ان ما وجد وجد عن علم وارادة وهل هو ابدع او لا يبقى ما هو
اعم ثانيهما انك قد علمت ان الابدع لا نهاية لافراده لكونه مقدورا
والمقدور لا نهاية له واذا كان الابدع لا نهاية له فعلى تقدير ان
تتعلق الاوصاف القديمة بوجود فرد منه يبقى فى دائرة الامكان
ما لا يتناهى من افراده والمجيب رضى الله عنه ظن ان الابدع
جزئى شخصى لا تعدد فيه فاذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده
استحال غيره والا كان العلم جهلا وحيث كان الابدع كليا لا نهاية
لافراده لم يلزم من وجود فرد منها انتفاء غيره عن دائرة الامكان
والله اعلم واجاب الشيخ ابو المواهب التونسى رحمه الله بما
نصه قوله ليس فى الامكان ابدع مما كان قلنا امكان الحكمة الالهية
لا امكان القدرة الربانية وهذا هو اللائق بكلام حجة الاسلام

اهـ قلت لا نسلم انه لا يمكن ذلك في الحكمة الالهية فانها اذا كانت
متعلقات القدرة لا نهاية لها كانت الحكمة الالهية لا نهاية لها
لانها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لا نهاية لها فلزم
قطعا ان الحكمة الالهية لا نهاية لها ومن الذى يجترئ على حكمة
الله تعالى ويقول انها محصورة ومقصورة وسيأتى ان شاء
الله تعالى مزيد بيان للحكمة وعلى اى شيء تطلق من كلام ابي حامد
رضى الله عنه نفسه والله اعلم واجاب شيخ الاسلام زكريا
الانصارى الشافعى رضى الله عنه بقوله لا يحل لاحد ان ينسب
لابى حامد القول بان الله تعالى عاجز عن ايجاد ما هو ابدع من
هذا العالم فان هذا الفهم منشأه توهم ان المراد بالامكان فى عبارته
بمعنى القدرة اى ليس فى القدرة ابدع مما كان وليس كذلك بل هو بمعنا
المشهور المقابل للامتناع والايجاب لكن بحذف مضاف او بجعله
بمعنى الممكن من باب اطلاق المصدر على اسم الفاعل فمفاد عبارة
حجة الاسلام انه ليس فى جانب الامكان او ليس فى الممكن ابدع
مما تعلقت به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم ومفاد
عبارة المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على ايجاد ابدع
مما فعله بكل احد وهو باطل عند حجة الاسلام كسائر اهل السنة
لبنائه على وجوب الاصلح عليه تعالى وهو اصل باطل الى ان
قال فعلم ان حجة الاسلام لم يرد بالامكان فى كلامه القدرة
لانه لو اراده لرجع كلامه ح الى كلام المعتزلة الى ان قال وبذلك
علم ان اللفظ المذكور لا يحتاج الى حمل وانه لا ينبغى ان يقال
دس عليه او انه زلة منه او غير ذلك من الكلمات التى لا تليق
بمقامه بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه الذى قدرته
فليعتمد ذلك فى هذا المقام فانه من مزال الاقدام انتهى قلت
ولا يخفى ما فيه وما عول عليه فى دفع المحال عن حجة الاسلام يحمل

الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه فان المحذور
بحاله لان الممنوح ليس فى جانب الامكان او فى الممكن ابدع مما
كان فيلزم ان يكون الابدع المفروض فى جانب الامتناع اوفى الممتنع
وكونه فى جانب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا
وايضا فاذا كان فى جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيساوى
قول من قال لا يقدر على ايجاد الابدع المفروض لان الابدع اذا
كان فى جانب الامتناع فليس فى القدرة ايجاده فالمحال لازم
على حمل الامكان على معنى القدرة او على معناه المشهور المقابل
للايجاب والامتناع وهو ظاهر والله اعلم وقوله فمفاد عبارة
حجة الاسلام انه ليس فى جانب الامكان ابدع مما تعلقت به القدرة
وهو حق اذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس
المدعى ان العدم ابدع من الوجود حتى يكون نفيه الذى هو كلام حجة
الاسلام حقا وانما المدعى ان الابدع المفروض فى جانب الامكان
وهو حق فيكون نفيه الذى هو كلام حجة الاسلام غير حق والله اعلم
وقوله ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على
ايجاد الابدع اقول هو لازم لكلام حجة الاسلام رضى الله عنه
على ما اولته عليه ايها المجيب رضى الله عنك فان الابدع اذا لم
يكن فى جانب الامكان ولزم انه فى جانب الامتناع لزم قطعا
ان القدرة لا تتعلق بالممتنع فجاء المحذور اللازم والله اعلم قوله
وبذلك علم الخ اقول اياك ان تغتر بهذا الكلام فان غاية ما فيه
ان الامكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور وقد علمت
ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب اعتقاده على الوجه
الذى قررته اقول حاش لله ان يعتقد احد ان الابدع لو كان مع
القدرة عليه ولم يفعله تعالى لكان بخيلا فان هذا عين رعاية
الصلاح والاصلح الذى هو عين مذهب المعتزلة وانما الذى

يجب اعتقاده انه تعالى فاعل بالاختيار لا يسئل عما يفعل وربك يخلق ما يشاء ويختار ويخلق ما لا تعلمون ولا يحيطون به علما والله اعلم واجاب الحافظ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه ونفعنا به آمين وهو من المنتصرين لحجة الاسلام فقال في كتابه الذى الفه فى هذه المسئلة وسماه بتشييد الاركان لمسئلة ليس فى الامكان ابدع مما كان ما معناه توقف الناس فى ذلك وقالوا انه لا يناسب اصول اهل السنة وانما يناسب اصول المعتزلة اذ كيف يكون منا فيا للعدل عند اهل السنة مع ان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل والمعتزلة يوجبونه عليه تعالى بناء على الحسن والقبح العقليين قال ولا شك ان الامر كما قالوا من الاشكال وقد توقفت فيه اياما حتى منّ الله علىّ بفضله بعد التضرع اليه واظهار الذل والافتقار فالهمني اليه وله الحمد وذلك ان حجة الاسلام رضي الله عنه انما اراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين مما تتم له دعواه عدم الامكان على المذهبين معا فكانه قال هو محال اجماعا من الفريقين اما على مذهب اهل السنة فلان ادخاره مناف للفضل وهو الذى عبر عنه بالجود الالهي واما على مذهب المعتزلة فلان ادخاره عندهم ظلم ينافى العدل فالى بجملة كل فريق وليس مراده بالجملتين التقرير على مذهب واحد اهـ قلت ولو عبر حجة الاسلام كذلك لقرب الحال ولكنه قال لو ادخره مع القدرة لكان بخلا ينافى الجود واهل السنة رضي الله عنهم ينزهون ربهم عن وصفه بالبخل فقد بان ان العبارة الاولى لا تاتى على مذهب اهل السنة رضي الله عنهم قال شرف الدين بن التلمساني فى شرح اللمع بعد ذكره مذهب البغداديين من المعتزلة فى وجوب رعاية الاصلح وهؤلاء اخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو ان الله تعالى جواد وان الواقع فى الوجود هو اقصى الامكان ولو لم

يقع لم يكن جوادا اهـ وقال ابن الهمام فى المسايرة ان المعتزلة يقولون
ان ترك مراعاة الاصلح بخل يجب تنزيه البارى عنه فيجب ان لا
يمكن ان يقع غير الاصلح فكما ان الشق الثانى مفرع على اصول
المعتزلة كذلك الشق الاول والله اعلم واجاب الشريف الاشهر
المحدث الاكبر مولانا السيد السمهودى رضى الله عنه ونفعنا به
فى رسالته السابقة وقد اطال فى هذه الرسالة وكتب فيها
ثلاثا وثلاثين ورقة بخط مضموم وهو من المنتصرين لحجة
الاسلام رضى الله عنه وقد اعتنى فى رسالته بنقض رسالة
ناصر الدين بن المنير رحمه الله تعالى التى سبقت الاشارة اليها
وقد تصفحت رسالة السيد السمهودى غاية واعطيتها ما تستحقه
من الانصراف والتامل والتمهل فوجدتها دائرة على ثلاثة امور
احدها المصادرة عن المطلوب وثانيها ما وقع له من الغلط فى القبح
والحسن العقليين وهو اشد ما فى رسالته شبهة ثالثها عدم فهمه
لكثير من كلام ابن المنير على الوجه الذى ينبغى فلنعتن بابانة هذه
الامور الثلاثة وايضاح ما فيها حتى يهون على الواقف على الرسالة
بعد ذلك امرها ولا يكبر عليه ما فيها من الكلام فنقول اما الامر
الاول قال السيد السمهودى رضى الله عنه اعلم ان حجة الاسلام
رضى الله عنه لم يرد قطعا من الوجوب فى قوله على الترتيب الواجب
الوجوب الذاتى المنافى للاختيار كما زعمت الفلاسفة الضلال ولا
الوجوب على الله تعالى بالعقل كما يحكى عن المعتزلة المتشبثة باذيال
الفلاسفة فى المقال بل اراد ان ذلك هو الترتيب المتعين الذى
لا بد من حصوله كما يعضده قوله فى اخر كلامه السابق عن
الاحياء وقد صار ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة
فسبقها هو الموجب لحصوله الى ان قال فالاحسن الاكمل واجب
الحصول بسبب سبق القضاء والقدر والمشيئة النافذة به واقتضاء

الحكمة له فالوجوب بهذا المعنى وجوب بالاختيار لانه نشأ عن
سبق العلم الذى لا يمكن تخلفه والمشيئة التى لا بد من انفاذها
فاستحال خلافه لكمال نفوذ المشيئة به والقدرة التابعة لها
والحكمة البالغة المقتضية لوضع الاشياء فى محالها انتهى قلت
قوله بل اراد ان ذلك هو الترتيب الحقيقى الذى لا بد من حصوله
ان اراد عقلا فهو مذهب المعتزلة الذى نفاه وان اراد انه لا بد من
حصوله لسبقية المشيئة به والعلم فهو مسلم ولكنه مصادرة
عن المطلوب فانه لم يات بدليل على ان هذا الذى وجب لتعلق
العلم به والمشيئة هو الابدع الاكمل الذى لم يبق فى الامكان غيره
وبالجملة فان جعل الدليل على وجوب وجود الابدع الاكمل رعاية
الصلاح كان هو قول المعتزلة لا غير وان جعله ما سبق من العلم
والمشيئة كان مصادرة عن المطلوب كما لا يخفى والله اعلم وقوله
فسبقهما هو الموجب لحصوله ان كان على وصف انه الابدع فهو
مصادرة وان كان على وصف ما وجد عليه مع احتمال ان يكون ثم
ابدع منه لم يوجد فهو مسلم ولا يفيد كم شيئا والله اعلم ثم ما عول
عليه فى وجوب وجود الاكمل الابدع من ان الحكمة تقتضى ذلك
لانها تقتضى وضع الاشياء فى محالها ينبغى ان يقال عليه ما تريدون
بالحكمة فان ابا حامد رضى الله عنه قال فى مقاصد الفلاسفة
ان الاول سبحانه حكيم لان الحكمة تطلق على شيئين احدهما العلم
وهو تصور الاشياء بتحقق الماهية والحد والتصديق فيها باليقين
المحض المحقق والثانى على الفعل بان يكون مرتبا محكما جامعا لكل
ما يحتاج اليه من زينة وكمال ثم بين علمه تعالى الى ان قال واما
افعاله ففى غاية الاحكام اذا عطى كل شئ خلقه ثم هدى وانعم
عليه بكل ما هو ضرورى له وبكل ما هو محتاج اليه وان لم يكن
فى غاية الضرورة وبكل ما هو زينة وتكميلة وان لم يكن فى محال

الحاجة كتقويس الحاجبين وتقعير الاخمصين ونبات اللحية الساترة لتشنج البشرة فى الكبر الى غير ذلك من اللطائف الخارجة عن الحصر فى الحيوان والنبات وجميع اجزاء العالم اهـ وح فان اردتم بالحكمة تعلق العلم بالاشياء الذى هو الوجه الاول فلا يخفى انها لا تقتضى وجوب وجود الابدع ضرورة ان العلم يتعلق بكل شئ وان اردتم بها المعنى الثانى فلا يفيد كم ايضا لانها عبارة عن تعلق القدرة التنجيزى حتى تكون سببا فى كونه لا ينجز الا الابدع الاكمل على ان كون الفعل محكما متقنا لا يقتضى حصر الابدع فيه وانتفاء سائر افراده عن دائرة الامكان وبالجملة فالحكمة لا تدل على ما ذكروه لانها اما عبارة عن تعلق العلم واما عبارة عن تعلق القدرة وكل منهما لا يقتضى ايجاب وجوب الابدع وانما يقتضيه اقتضاء فاسدا احد امرين اما التعليل ونفى الاختيار كما يقوله الفلاسفة الملعونون واما لئلا يلزم البخل والظلم كما يقوله المعتزلة والله اعلم ووراء هذا كله ان الابدع الاكمل كلى لا نهاية لافراده كما سبق فالحكمة وان اقتضت وجود فرد من افراده فالدليل على الحصر واستحالة باقى الافراد وكانه رضى الله عنه توهم ان الابدع الاكمل شخصى جزئى فاذا اقتضت الحكمة ايجاده استحال غيره لسبقية العلم والحكمة بايجاده وهذا باطل لانه لو كان الابدع شخصيا جزئيا لا تعدد فيه لزم تناهى المقدورات ضرورة فانا اذا جزمنا بانه ليس وراء هذا العالم الموجود ممكن ابدع منه وانه لم يبق فى دائرة الامكان الا ما هو انقص منه لزمنا قطعا ان الرب سبحانه تناهت مقدوراته الابدعية الاكملية فى هذا العالم الموجود ولزمنا قطعا انتفاء التعلق الصلوحى للقدرة على ايجاد ما هو ابدع من هذا العالم وهو المطلوب وهذا القدر كاف فيما يتعلق بالامر الاول والكيس اذا فتح له باب الكلام علم كيف يدخل وكيف يخرج والله اعلم واما الامر الثانى

السيد السمهودي رضي الله عنه ان حكم العقل بالحسن والقبح بما يدركه من صفات الكمال والنقص كحسن العلم والعدل وقبح الجهل والظلم متفق عليه بيننا وبين المعتزلة كما ستوضحه ان شاء الله تعالى يشير الى ماذكره بعد ذلك في قوله الفصل الثاني قد توهم المعترضون ان حجة الاسلام بنى استدلاله لمدعاه على ماذهب اليه المعتزلة في قاعدة الحسن والقبح العقليين وهو خارج عن قواعد اهل السنة والجماعة وهذا التوهم مردود من وجهين احدهما ما اسلفناه من استقلال العقل اتفاقا بادراك ما يرجع الى صفة الكمال كحسن العلم والعدل والى صفة النقص كقبح الجهل والظلم وادراك ثبوت الالوهية لله عز وجل وادراك تنزيهه عن النقائص وانتفاء ما ادى اليهما ولهذا اتفقوا على استحالة عدم وقوع ما سبق به علمه تعالى انه سيقع وسلم الجميع وجوبه مستدلين بتنزيهه تعالى عن الجهل اللازم على عدم وقوعه وهو غير خاف على من مارس كتب الاصول وما وقع فيها من تحرير محل النزاع وانه محله انما هو في استقلال العقل بادراك الحسن والقبح في حكم الله تعالى فقالت به المعتزلة واباه الاشعرية ثم بنى على ذلك ان وجود غير الابدع نقص وبين اولا كونه نقصا بان وجوده خلاف ما تقتضيه الحكمة نقص في نظر العقل وثانيا بانه خلاف ما سبق به العلم وخلاف ما سبق به العلم جهل والجهل نقص والنقص قبيح في نظر العقل اي فقد رجع ما قاله حجة الاسلام رضي الله عنه الى حسن عقلي متفق عليه بيننا وبين المعتزلة ومن اعترضه ظنه راجعا الى حسن المعتزلة وليس كذلك لان هذا الحسن العقلي هو بمعنى صفة الكمال والنقص وهو عقلي متفق عليه كما تقرر في الاصول هذا خلاصة كلامه رحمه الله تعالى في هذا الفصل قلت وهو مردود واول ما نقول فيه انا نرده بكلام ابي حامد نفسه وقد اوضح ذلك رضي الله عنه في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد السني

وكذا في كتابه المستصفى في الاصول وهو من آخر ما الفه وقد اشار
الى ذلك في خطبة المستصفى وعبارة المستصفى احتجوا اى المعتزلة
فقالوا نحن نعلم قطعا ان من استوى عنده الصدق والكذب آثر
الصدق ومال اليه بطبعه ان كان عاقلا وليس ذلك الا لحسنه
وان الملك العظيم المستولى على الاقاليم اذا راى ضعيفا مشرفا على
الهلاك يميل الى انقاذه وان كان لا يعتقد اصل الدين فينتظر ثوابا
ولا ينتظر ايضا منه مجازاة ولا شكرا بل يحكم العقلاء بحسن الصبر
اذا اكره على كلمة الكفر او على افشاء السر ونقض العهد وهو على
خلاف غرض المكره وعلى الجملة فاستحسان مكارم الاخلاق وافاضة
النعم مما لا ينكره عاقل والجواب انا لا ننكر اشتهار هذه القضايا بين
الخلق وكونها محمودة مشهورة ولكن مستندها اما التدين بالشرائع
واما الاغراض ونحن انما ننكر هذا في حق الله تعالى لانتفاء الاغراض
عنه فاما اطلاق الناس هذه الالفاظ فيما يدور بينهم فيستمد من
الاغراض ولكن الاغراض قد تدق وتخفى فلا ينتبه لها الا المحققون
ونحن ننبه على مثارات الغلط فيه وهي ثلاث مثارات يغلط فيها
الوهم ثم اطال في ذلك النفس واتى بورقة من القالب الكبير في بيان
تلك المثارات ويجب الوقوف على كلامه في ذلك فانه نهاية التحقيق
وغاية التوفيق ثم بنى على ذلك ان كل ما يستقبحونه اى المعتزلة من
نحو الكذب والكفر والجهل والظلم وغير ذلك مما يستقبح في العرف
والعادة لا يخرج عن تلك الاغلاط الثلاثة الى ان قال في آخر كلامه
ثم نقول نحن لا ننكر ان اهل العادة يستقبح بعضهم من بعض الظلم
والكذب وانما الكلام في الحسن والقبح بالاضافة الى الله تعالى ومن
قضى به فمستنده قياس الغائب على الشاهد وكيف يقيس والسيد
او ترك عبيده واماءه بعضهم يموج في بعض ويرتكبون الفواحش
وهو مطلع عليهم وقادر على منعهم لقبح منه وقد فعل الله ذلك بعباده

ولم يقبح منه وقولهم انه تركهم لينزجروا بانفسهم فيستحقوا الثواب
هوس لانه علم انهم لا ينزجرون فليمنعهم قهرا فكم من ممنوع من
الفواحش لعجز اوعنة وهذا احسن من تمكينهم مع العلم بانهم لا ينزجرون
هذا كلامه في المستصفى وعبارته في الاقتصاد اطول واتم وقد
سبقه الى هذا الكلام فحول الاشاعرة كالقاضي ابي بكر الباقلاني في
نقله عنه في البرهان وكامام الحرمين في البرهان وكابي الحسن الابياري
شارح البرهان وغيرهم اذا سمعت هذا علمت ان الحسن والقبح
المتفق عليه بيننا وبين المعتزلة انما هما العاديان الجاريان في محاورات
الناس ومخاطباتهم وان المعتزلة راموا قياسه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا في افعاله واحكامه على خلقه في عوائدهم وهو قياس فاسد
كما بينه الغزالي رضي الله عنه ورح فالحسن والقبح بمعنى ملائمة الطبع
ومنافرته وبمعنى صفات الكمال والنقص المتفق عليهما يجب ردهما
الى العادة والعرف لا الى الحق سبحانه في احكامه وافعاله كما غلط
فيه السيد السمهودي رضي الله عنه ورح فقوله ان ما قاله حجة الاسلام
راجع الى حسن متفق عليه غير صحيح بل هو راجع الى حسن المعتزلة
الذين يقيسون الغائب على الشاهد وقوله وهو غير خاف على من
مارس كتب الاصول الخ اقول قد خفي عليك ايها السيد الجليل رضي
الله عنك ونفعنا بك فان الاصوليين اشاروا الى ان الحسن والقبح
يجريان في احكام البشر واختلفوا في احكام الله تعالى فقاس المعتزله
احكامه تعالى على احكام البشر وخالفهم اهل السنة رضي الله عنهم
وقالوا لا يقاس الغائب على الشاهد هذا الذي وقع من قدماء الاصوليين
حتى اشتهر ان القبح والحسن مختلف فيهما بيننا وبين المعتزلة فجاء
المتاخرون فبينوا محل الخلاف وصرحوا بان المقيس عليه وهو ما يجري
في احكام البشر نوافقهم عليه وقسموه الى ملائم الطبع ومنافر
له والى ما هو صفة كمال ونقص واما المقيس وهو ما يجري في احكامه

عز وجل فلا نوافقهم عليه وقياس الغائب على الشاهد لا يصح
لامور منها ان القياس لا يفيد شيئا في العقليات لان مفاده
الظن والقطع هو المفاد في العقليات ومنها ان الحسن والقبح
في احكامنا يتبعان الاغراض وهي مستحيلة في حقه تعالى
فبطل القياس لوجود الفارق وانتفاء الجامع ومنها انه يحسن
في حقه تعالى ما لا يحسن في حق خلقه كالمثال السابق عن
الغزالي في المستصفى اذ لا يقبح في حقه تعالى شيء لانه متصرف
في ملكه فيفعل فيه ما يشاء قال تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو
شاء لهداكم اجمعين ثم الامثلة التي ذكرها في اول كلامه للحسن
المتفق عليه كلها مدخولة اما العدل والظلم والجهل فقد سبق في
كلام الغزالي رضي الله عنه ان ذلك انما يقوله المعتزلة وقد رد
عليهم بابلغ رد هذا ان رد الحسن والقبح في الامثلة الى الله عز وجل
وان رد ذلك الينا فهو مسلم ولا يفيده في احكام الله تعالى التي
يدور اثباتها في هذه المسئلة واما اثبات الالوهية له تعالى وتنزيهه
عن النقائص واحالة ان يقع في الخارج خلاف العلم فليست من
هذا الباب في شيء وانما هذه مسائل كلامية فما استقل العقل فيه
بادراكه فالعقل هو الحاكم بها كالمثال الاول والثالث وما لا يستقل
العقل فيه واحتاج فيه الى الاعتضاد بالسمع فالسمع فيه هو الحاكم
كالمثال الثاني فان الدليل العقلي فيه ضعيف كما عرف في علم الكلام
والمعتمد فيه هو السمع كما بينوه في اثبات السمع والبصر والكلام
وانظر الصغرى وشروحها ولو كان كل ما يدركه العقل من قبيل الحسن
المتفق عليه لزم ان تكون جميع مسائل علم الكلام التي يدركها
العقل من قبيل الحسن المتفق عليه ولا قائل بذلك والله اعلم
ثم ما بني على كلامه من ان وجود غير الابدع نقص مردود والتوجيهان
المذكوران سابقا باطلان اما قوله ان غير الابدع ناقص في نظر العقل

لانه خلاف ما تقتضيه الحكمة فمردود فانه لا تقبيح في افعاله تعالى
ولا في احكامه وحكمته تعالى لا نهاية لها وما يعلمه الحادث منها
كلا شيء وح فلا يسعه ان يقول هذا على خلاف ما تقتضيه الحكمة
فان هذا الحكم منه يقتضي انه احاط بحكمة الله تعالى وهو محال
واما قوله ان وجود الابدع سبق به العلم والمشيئة فهو عين المصادرة
عن المطلوب وقد سبق بيانها ومن عجيب ما ذكره في هذا الفصل
قوله والحنفية وهم اتباع ابي منصور الماتريدي احد مشايخ اهل السنة
من جملة المصرحين بهذا المعنى الذي حققناه في بيان مراد حجة
الاسلام حيث قالوا وعندنا لا يجوز من الله تعالى العفو عن الكافر
وتخليده في الجنة ولا يجوز ان يخلد المؤمنون في النار لان الحكمة تقتضي
التفرقة بين المسيء والمحسن وما يكون على خلاف قضية الحكمة
يكون سفها وانه يستحيل من الله تعالى قال السيد السمهودي
رحمه الله تعالى وهذا عين ما يقوله حجة الاسلام فلم ينفرد من
بين اهل السنة بذلك الاستدلال ولا بالقول بتعيين الايجاد
على وفق الحكمة الى ما سبق من التحسين والتقبيح المتفق عليهما
ولدقة هذا المعنى وذهول اكابر الاشاعرة عن تحرير محل النزاع
في التحسين والتقبيح العقليين لكثرة ما يشعرون به نفوسهم
من انه لا حكم للعقل توقف المنتصرون لحجة الاسلام في قوله
في الاحياء وظلما يناقض العدل بل وربما توقف بعضهم في قوله
وبخلا يناقض الجود ولم ار في كلام احدهم التعويل على ما فتح الله
به علي من توجيهه اه قلت اما ما ظهر له من تحرير محل النزاع فقد
سبق انه غلط ومنشأه والله اعلم انه سمع ان الحسن والقبح
بمعنى صفة الكمال والنقص عقلي متفق عليه فظن العموم في احكام
البشر وفي احكام الرب سبحانه وغفل عن ان ذلك في احكام البشر
خاصة واما ما نقله عن الحنفية وتخريجه كلام ابي حامد عليه

فلا يصح لوجهين احدهما تصريح ابى حامد بخلاف ذلك قال رضى
الله عنه فى الاقتصاد فى الاعتقاد فى الدعوى الخامسة من المطلب
الثالث ندعى ان الله تعالى اذا كلف العباد فاطاعوه لم يجب عليه
الثواب بل ان شاء اثابهم وان شاء عذبهم وان شاء اعدمهم ولم
يحشرهم ولا يبالى لو غفر لجميع الكفار وعذب جميع المؤمنين ولا
يستحيل ذلك فى نفسه ولا ينافى صفة من صفات الالوهية
وهذا لان التكليف تصرف منه فى عبيده ومماليكه واما الثواب
ففعل آخر على سبيل الابتداء فان قيل التكليف مع القدرة على الثواب
وترك الثواب قبيح قلنا ان عنيتم بالقبيح انه مخالف غرض المكلف
فقد تعالى المكلف وتقدس عن الاغراض وان عنيتم انه مخالف غرض
المكلف يعنى بفتح اللام فهو مسلم ولكن ما هو قبيح عند المكلف
لم يمتنع عليه تعالى فعله اذ كان القبيح والحسن عنده وفى حقه
بمثابة واحدة على انا ان نزلنا على فاسد قولهم فلا نسلم ان من استخدم
عبيده يجب عليه فى العادة ثواب لان الثواب يكون عوضا عن
العمل فتبطل فائدة الرق وحق العبد ان يخدم مولاه لانه عبد
وان كان لاجل عوض فليس ذلك خدمة ومن العجائب قولهم انه يجب
الشكر على العباد لانعم عباد قضاء لحق نعمته ثم يجب عليه تعالى
الثواب على الشكر وهو محال لان المستحق اذا وفى لم يلزم به عوض
وافحش من هذا قولهم ان كل من كفر يجب عليه تعالى ان يعاقبه
ابدا ويخلده فى النار وهذا جهل بالكرم والمروءة والعقل والعادة
والشرع وجميع الامور فانا نقول العادة قاضية والعقول مشيرة
الى ان التجاوز والصفح احسن من العقوبة والانتقام وثناء الناس
على العافى اكثر من ثنائهم على المنتقم واستحسانهم للعفو اشد فكيف
يستقبح الانعام والعفو ويستحسن طول الانتقام ثم ان هذا
فى حق من اذته الجناية ونقصت من قدره المعصية والله تعالى

يستوى

يستوى فى حقهم الطاعة والعصيان والكفر والايمان فهما فى حق الهيبة والجلال سيان ثم كيف يستحسن ان بنينا على قولهم تابيد العقاب خالدا مخلدا فى مقابلة العصيان بكلمة واحدة فى لحظة ومن انتهى عقله فى الاستحسان الى هذا الحد كانت دار المرضى لا يبقى به من مجامع العلماء على انا نقول لو سلك سالك ضد هذا الطريق بعينه لكان اقوم قيلا واجرى على قانون الاستحسان والاستقباح الذى تقضى به الاوهام والخيالات كما سبق وهو ان نقول الانسان يقبح منه ان يعاقب على جناية سبقت وعسر تداركها الا بوجهين احدهما ان يكون فى العقوبة زجر ورعاية مصلحة فى المستقبل فيحسن ذلك خيفة من فوات غرض فى المستقبل فان لم يكن فيه مصلحة اصلا فالعقوبة على ما سبق قبيح وانما يحسن الاذى لفائدة ولا فائدة وما مضى فلا تدارك له فهو فى غاية القبح والوجه الثانى ان نقول اذا تاذى المجنى عليه واشتد غيظه فذلك الغيظ مؤلم وشفاء الغيظ مريح من الالم والالم بالجانى اليق فهذا ايضا له وجه وان كان دليلا على نقصان عقل المجنى عليه وغلبة الغيظ عليه فاما ايجاب العقاب حيث لا تتعلق به مصلحة لاحد فى علم الله ولا فيه دفع اذى عن المجنى عليه ففى غاية القبح فهذا اقوم من قول من يقول ان ترك العقاب فى غاية القبح والكل باطل واتباع لموجب الاوهام التى وقعت بتوهم الاعراض والله تعالى منقدس عنها ولكنا اردنا مقابلة الفاسد بالفاسد ليتبين بذلك خيالهم هذا كلام ابى حامد رضى الله عنه نقلته بطوله لحسنه ومزيد تحقيقه فاعجب غاية ممن يحمل كلامه على نقيضه والله اعلم الوجه الثانى ان قول الحنفية وعندنا لا يجوز العفو الخ يقال عليه اذا استحال العفو المذكور فاستحالته اما ذاتية واما عرضية اى وجبت بالغير فان قالوا انها ذاتية لزمهم ان القدرة لا تتعلق

به لا سيتحالته ولا بضده لوجوبه وهي لا تتعلق لا بواجب ولا بمستحيل وذلك تعليل يؤدي الى التعطيل وان كانت استحالته عرضية وجب بالغير يسالون عن هذا الغير فان قالوا هو ما سبق في العلم فيقال لهم هو لا ينافي الجواز في العفو المذكور نظرا لذاته وان قالوا هو ما اقتضته الحكمة فيقال لهم اولا الحكمة راجعة الى العلم والقدرة ولا نهاية لمتعلقهما فلا نهاية للحكمة فهل احطتم بحكمة الله تعالى التي لا نهاية لها ومحال ان يحيطوا بها وان قالوا كما قال الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر فيقال لهم فالسكوت خير لكم لو كنتم تعلمون وثانيا هل انتهى بالرب سبحانه اقتضاء الحكمة الى القسر والقهر ولم يبينه الى ذلك فان قالوا بالانتهاء لزم العجز في حق الاله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وان قالوا لم يبينه وله تعالى ان يفعل خلاف ذلك ابطلوا قولهم ورجعوا الى الحق الصريح والمذهب الصحيح ثم اشتغل السيد السمهودي رحمه الله بنقض مذهب الحنفية في التقبيح ووسع فيه الدائرة قاصدا بذلك ادخال ابي حامد في زمرتهم لا نهم اهل سنة وجماعة وكيف يصح ان يوافقهم ابو حامد وهو يهدم قولهم ويجعل عاليه سافله ولا يخلو حال من يقبح بعقله في افعال الله تعالى من احد امور ثلاثة اما ان يدعي الاحاطة بعلم الله تعالى واسراره في خليقته وانى له بذلك وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما واما ان يلتزم مقالة الخضر لموسى عليهما السلام وفي ذلك اعتراف بسوء مذهبه وبطلان جرئته في تقبيحه واما ان يلتزم قياس الحق سبحانه في افعاله على عباده في محاوراتهم ومخاطباتهم وهو قياس فاسد كما سبق فالقول بالتقبيح في افعال الله تعالى فاسد على كل احتمال وباطل على كل حال حتى قال ابو حامد رحمه الله تعالى في الاقتصاد فاستبان

ان ما خذهم يعني ان الذين يقبحون في افعال الله تعالى اوهام رسخت فيهم من العادات تعارضها اوهام امثالها ولا تخميص عنها يعني كما سبق له في احالتهم تعذيب المطيع وعكسه وقال ايضا وهذا مع وضوحه للعقل فلا ينبغي ان يغفل عنه لان اقدام الخلق واحجامهم في اقوالهم وعقائدهم وافعالهم تابع لمثل هذه الاوهام فاما اتباع العقل الصرف فلا يقوى عليه الا اولياء الله تعالى الذين اراهم الحق حقا وقواهم على اتباعه وان اردت ان تجرب هذا في الاعتقادات فاورد على فهم المعتزلي العامي مسئلة معقولة جلية فانه يسارع الى قبولها فلو قلت انه مذهب الاشعري نفر وامتنع عن القبول وانقلب مكذبا بعد ما كان مصدقا مهما كان سيء الظن بالاشعري اذكان قبح ذلك في نفسه منذ الصبا وكذلك تقرر امرا معقولا عند العامي الاشعري ثم تقول له ان هذا قول المعتزلي فينتفي عن قبوله ويعدل الى التكذيب بعد التصديق ولست اقول هذا طبع العوام في اصل التقليد بل هو طبع اكثر من رايته من المتسمين باسم العلم فانهم لم يفارقوا العوام في اصل التقليد بل اضافوا الى تقليد المذهب تقليد الدليل فهم في نظرهم لا يطلبون الحق بل يطلبون طريق الحيلة في نصرة ما اعتقدوه حقا بالسماع والتقليد فان صادفوا في نظرهم ما يؤيد اعتقادهم قالوا ظفرنا بالدليل وان ظهر لهم ما يضعف مذهبهم قالوا عرضت لنا شبهة فيضعون الاعتقاد المتلقف بالتقليد اصلا وينبذون بالشبهة كل من يخالفهم وبالدليل كل من يوافقهم هذا كلام ابي حامد رضي الله عنه وقول الحنفية ان خلاف ما تقتضيه الحكمة سفه قال ابو حامد رضي الله عنه في الاقتصاد هو خطأ فان السفه فعل ما يتضرر الفاعل به وفعل ما لا نفع فيه للفاعل ولا ضرر وكل ذلك انما يصح فيمن يلحقه الضرر وفيمن تكون افعاله للاغراض والرب تعالى يتنزه عن ذلك

قال رضي الله عنه وكذا قولهم ما لا فائدة فيه عبث والعبث على
الله تعالى محال قال ابو حامد وهذا تلبيس لان العبث عبارة
عن فعل لا فائدة فيه ممن يتعرض للفوائد فمن لا يتعرض لها فتسميته
عابثا محال محض لا حقيقة له يضاهي قول القائل الجدار غافل اى
خال عن العلم والجهل وهو باطل لان الغافل يطلق على القابل للعلم
والجهل اذا خلا عنهما فاطلاقه على الذى لا يقبل ذلك مجاز لا اصل
له فكذلك اطلاق العبث على الله تبارك وتعالى واطلاق العبث
على افعاله اه كلامه رضي الله عنه وفيه اقناع وبلاغ وبهذا تعلم
ما فى قول السيد السمهودى ولدقة هذا المعنى وذهول اكابر
الاشاعرة عن تحرير محل النزاع توقف المنتصرون لابى حامد
فى قوله ظلما يناقض العدل وبخلا يناقض الجود فانه قد تبين انه
لا دقة لذلك المعنى بل هو باطل وانه لا ذهول عن تحرير محل النزاع
واما توقف المنتصرين لابى حامد فى الظلم والبخل فما كان من حقهم
ان يتوقفوا بل كان الواجب عليهم ان يبادروا الى رده وانكاره فانه
مردود ببداية العقول ولا يصح ان يتمشى الا على اصول الفلاسفة
والاعتزال وابو حامد رضي الله عنه منزه عن ذلك وقد ابدأ واعاد
وافاد واجاد فى رد مذاهبهم وزخرف باطلهم حتى عظمت فى الاسلام
منته وظهرت على العلماء نعمته حتى قال ابن العربى رحمه الله فى
العواصم والقواصم بعد ان ذكر الفلاسفة ومذاهبهم المخالفة
للاسلام وقد جاء الله بطائفة عاصمة تجردت لهم وانتدبت
بتسخير الله وتاييده للرد عليهم الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا
عليهم بطريقتهم وانما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما
ذكر الله فى كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك
الاغراض بما استولى على عقولهم من صدا الباطل وطفقوا يستهزؤن
من تلك العبارات ويطعنون فى تلك الدلالات وينسبون قائلها

الى

الى الجهالات ويضحكون مع اقرانهم في الخلوات فانتدب للرد
عليهم بلغتهم ومكافحتهم بسلاحهم والنقض عليهم بادلتهم ابو حامد
الغزالي رحمه الله فاجاد فيما افاد وابدع في ذلك كما اراه الله
واراد وبلغ من فضيحتهم المراد فافسد قولهم من قولهم وذبحهم
بمداهم فكان من جيد ما اتاه ومن احسن ما رواه ورآه
وافرد عليهم فيما يختصون به دون مشاركة اهل البدع كتابا
سماه تهافت الفلاسفة ظهرت فيه منته ووضحت في درج
المعارف مرتبته وابدع في استخراج الادلة من القرآن على
رسم الترتيب في الوزن الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة
في كتاب سماه القسطاس ما شاء واخذ في معيار العلم عليهم
طريق المنطق فزينه بالامثلة الفقهية والكلامية حتى محى
فيه رسم الفلاسفة ولم يترك لهم مثالا ولا امثلا واخرجه
خالصا من دسائسهم وقد كان تعرض سخيف من بادية بلدنا
يعرف بابن حزم حين طالع شيئا من كلام الكندي الى ان صنف
في المنطق فجاء بما يشبه عقله ويشاكل قدره وقد كان ابو حامد
رحمه الله تاجا في هامة الليالي وعقدا في لبة المعالي انتهى
الغرض من كلام ابن العربي رحمه الله واما رده على المعتزلة
وابانته عن سيئ اعتقادهم فقد ابدع فيه في كتاب الاقتصاد
بل تعرض فيه بالخصوص لاحالة الظلم منه عز وجل حيث
قال فان قيل فيؤدي اي ايلام البريء الى ان يكون ظلما وقد قال
تعالى انه ليس بظلام للعبيد قلنا الظلم منفي بطريق السلب
المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح فان
الظلم انما يتصور ممن يمكن ان يصادف فعله ملك غيره ولا
يتصور ذلك في حق الله تعالى او يمكن ان يكون عليه امر فيخالف
فعله امر غيره فلا يتصور من الانسان ان يكون ظالما في ملك

نفسه بكل ما يفعله الا اذا خالف امر الشرع فيكون ظالما
بهذا المعنى فمن لا يتصور منه ان يتصرف فى ملك غيره ولا
يتصور منه ان يكون تحت امر غيره كان الظلم مسلوبا عنه
فلنفهم هذه الدقيقة فانها مزلة القدم فان فسر الظلم
بمعنى سوى ذلك فهو غير مفهوم فلا يتكلم عليه بنفى ولا
باثبات هذا كلامه رضى الله عنه وبهذا ونحوه تطيح رسالة
السيد السمهودى رحمه الله ويظهر لك فساد ما ذكره فى
الظلم والبخل المشار اليهما فى العبارة السابقة وقد تركت
التعرض لذلك لعلمى بركاكته وخشية طول الكلام والله
اعلم واما الامر الثالث وهو كون السيد السمهودى رضى الله
عنه لم يفهم مقاصد ابن المنير رحمه الله فانى لا اتعرض له لطول
الكلام فيه الا انى اقول فيه قولا مختصرا وهو ان غالب ما ذكره
ابن المنير صحيح حق لا شك فيه ورده على عبارة الاحياء مستقيم
لا عوج فيها واجوبة السيد السمهودى عنها غير تامة الا حرفا
واحدا فانى اخالف فيه ابن المنير وهو تنقيصه من مقام ابى حامد
وغضه من مرتبته فانى لا اوافق على ذلك فان ابا حامد امام
الدنيا والدين وعالم الاسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة اليه
فى الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه رضى الله عنه
فى كتبه يردها من كل وجه وسترى ما فى ذلك ان شاء الله تعالى
والله اعلم الطائفة الثالثة وهم الذاهبون الى عدم نسبة المسئلة
الى ابى حامد رضى الله عنه وتكذيبها ومستندهم فى ذلك انهم
عرضوها على كلام ابى حامد فى كتبه فوجدوها مع كلامه على
طرفى النقيض والعاقل لا يعتقد النقيضين فضلا عن ابى حامد
رضى الله عنه فلذلك حكمنا ببطلان نسبة تلك المسئلة اليه
رضى الله عنه ووقع لابى حامد ما يخالفها فى غير ما عبارة من

كلامه ولنثبت شيئا منها فنقول العبارة الاولى ما سبق في المستصفى
حيث قال وقولهم انه تركهم لينزجروا بانفسهم فيستحقوا الثواب
هوس لانه علم انهم لا ينزجرون فليمنعهم قهرا فكم من ممنوع من
الفواحش لعجز او عنة وذلك احسن من تمكينهم مع العلم بانهم لا ينزجرون
انتهى ووجه الشاهد في قوله وذلك احسن اى المنع قهرا او لعجز
او عنة احسن من التمكين فالتمكين هو الذى كان والمنع قهرا ونحوه
هو الذى لم يكن وقد صرح بانه احسن مما كان وابدع فنفى الامكان
لاحسن مما كان وانما الف المستصفى في اخر عمره بعد رجوعه من
السياحة والتبتيل والاحياء الفه قبل ذلك كما اشار اليه في خطبة
المستصفى وكان تاريخ انقطاعه عن العلم والتدريس وهروبه
بنفسه سنة ثمانية وثمانين واربعمائة في ذى القعدة من السنة
المذكورة وتاريخ رجوعه الى العلم والتدريس في ذى القعدة سنة
تسع وتسعين واربعمائة وبلغت مدة العزلة احدى عشرة سنة
وقد بسط رضى الله عنه اسباب العزلة واسباب الرجوع الى
العلم واطال في ذلك وفى امور تتعلق به في كتابه المنقذ من
الضلال فليراجعه فيه من اراده والله اعلم العبارة الثانية
قال رضى الله عنه في الاقتصاد واما هذا الخلق الموجود فالعقلاء
كلهم قد تمنوا العدم فقال بعضهم ياليتنى كنت نسيا منسيا وقال
اخر ياليتنى لم اك شيئا وقال اخر ياليتنى كنت تبنة رفعت من
الارض وهذا قول الانبياء والاولياء وهم العقلاء فبعضهم يتمنى
عدم الخلق وبعضهم يتمنى عدم التكليف بان يكون جمادا وليت
شعرى كيف يستجيز العاقل ان يقول للخلق في التكليف فائدة
وانما الفائدة في نفى الكلفة والتكليف في نفسه الزام الكلفة وهو
الم وان نظر الى الثواب فهو الفائدة وكان قادرا على ايصاله اليهم
بغير تكليف فان قيل الثواب اذا كان باستحقاق كان الذ وارفع

من ان يكون بالامتنان والابتداء والجواب ان الاستعاذة بالله من
عقل من ينتهى الى التكبر على الله والترفع من احتمال منته وتقدير
اللذة فى الخروج من نعمته اولى من الاستعاذة بالله من الشيطان
الرجيم وليت شعرى كيف يعد من العقلاء من يخطر بباله مثل هذه
الوساوس فمن يستثقل المقام ابدا الآبد فى الجنة من غير تقدم تعب
بتكليف اخس من ان يخاطب ويناظر الى ان قال فنعوذ بالله من
غريزة العقل بالكلية فان هذا الكلام من ذلك النمط فينبغى ان
يسترزق الله عقلا لصاحبه ولا يشتغل بمناظرته اه الى عبارات
كثيرة تقدمت من كلام الاقتصاد والى عبارات اخر منه بقيت لم
اثبتها مخافة السآمة والله اعلم العبارة الثالثة قال فى الاحياء فى كتاب
قواعد العقائد خلق الله سبحانه الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم
لا يشذ عن قدرته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور
لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته ثم قال وانه متفضل
بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام
لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان
قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب
الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك كان منه عدلا ولم يكن منه
قبيحا ولا ظلما اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب
عليه لاحد حق وقال فان قيل مهما قدر على اصلاح العباد ثم
سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة فاجاب
عنه الى ان قال فلا يتصور منه تعالى قبح كما لا يتصور منه تعالى
ظلم اذ لا يتصور منه تعالى التصرف فى ملك الغير الى ان قال ثم
ان الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها
على وفق ارادته وهذا من اين يؤخذ منه رعاية الاصلح وانما
الحكيم منا يراعى الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد بذلك فى الدنيا

ثناء

ثناء وفي الآخرة ثوابا او يرفع عن نفسه ضررا او عقابا وكل ذلك
على الله تعالى محال الى عبارات كثيرة وقعت في الاحياء فلتراجع
فيه وقد تكفل بجمعها برهان الدين البقاعي رحمه الله تعالى في رسالته
المتقدمة وانت اذا تاملتها ايقنت انها تناقض ما نسب اليه في
المسئلة المتكلم فيها فانه قضى فيها بان ادخار الابدع مع القدرة
عليه ظلم وبخل وقضى هنا بان صب العذاب والآلام والاوصاب
على الخلائق عدل لا ظلم فيه والتناقض بينهما ظاهر لا يخفى فان
ادخار الابدع اذا كان ظلما ينافي العدل كان صب العذاب والآلام
والاوصاب ظلما ينافي العدل فيتهافت الكلامان وهذا بمكان
في الوضوح لا يخفى ولعلك تقف على رسالة السيد السمهودي رحمه
الله المتقدمة فتجده فيها يشير الى الجمع بين المسئلة وبعض ما تقدم
عن الاحياء بجمع ركيك الى الغاية وساقط الى النهاية فليحذره الواقف
عليه فانه لولا خشية السآمة لبينت سقوطه هنا لكن الحق
لا يخفى على الفطن والله اعلم فان قلت كيف تكون المسئلة مكذوبة
عليه وقد وقفت في عدة من كتبه ولا سيما في الاجوبة المتقدمة
فان ذلك يقتضي انه وقف رضي الله عنه على اشكالها واشتغل
بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه كما ظننتم لبادر الى انكارها
وتبرأ من قبحها وعوارها قلت لا مانع من ان يقع الكذب عليه
مرتين مرة في نسبة المسئلة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها
وقد قال القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار ما معناه ان
وجود مسئلة في كتاب او في الف كتاب منسوبة الى امام لا يدل
على انه قالها حتى تنقل عنه نقلا متواترا يستوي فيه الطرفان
والواسطة وذلك مفقود في مسئلتنا قطعا فلذلك قطعنا بانه
لم يقلها حيث وجدناها مخالفة لعقيدة اهل السنة ولكلام الغزالي
في سائر كتبه والله اعلم والحاصل ان ما نسب اليه في المسئلة

ان كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه ابو حامد فى كلامه
السابق وان كان دليله البخل فقد نفاه ابو حامد فى كلام الاقتصاد
المتقدم وان كان دليله انه يخالف الحكمة فقد ابطله ابو حامد
فى الاحياء والاقتصاد وغيرها وان كان دليله الاستحسان العقلى
ومراعاة الصلاح والاصلح فقد ابطله ابو حامد فى الاقتصاد والاحياء
والقسطاس وان كان دليله الاستحسان المتفق عليه الذى عول
السمهودى عليه رحمه الله فقد ابطلناه فيما سبق وان كان دليله
ما سبق فى العلم والمشيئة كما عول عليه السمهودى ايضا رحمه الله
فقد بينا فيما سبق انه مصادرة وان كان دليله ان الناقص لا يصدر
عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق والله اعلم وانما طولت فى
هذه المسئلة وتعرضت فيها لنقض الاجوبة السابقة لانى رايت
اكثر الخلق جاهلين بها معتمدين فى تصحيحها على مجرد ورودها من ابى
حامد رضى الله عنه قال ابو حامد رضى الله عنه فى كتابه المنقذ
من الضلال وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال
لا الرجال بالحق والعاقل يقتدى بقول امير المؤمنين على بن ابى
طالب رضى الله عنه حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف
الحق تعرف اهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر فى نفس القول
فان كان حقا قبله سواء كان قائله محقا او مبطلا الى ان قال وهذا
الطبع هو الغالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام واسندته
الى قائل حسن اعتقادهم فيه قبلوه وان كان باطلا وان اسندته
الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا وابدا يعرفون
الحق بالرجال وذلك غاية الضلال هذا كلامه رضى الله عنه
وقد حمانى الله تبارك وتعالى من ابى حامد رحمه الله بشيخنا
رضى الله عنه وذلك انى اعترضت على رد هذه المسئلة وابطالها
والابانة عن سوء مجالها وقفت على الشيخ رضى الله عنه فلا قلبى

بتعظيم

بتعظيم ابى حامد رضى الله عنه واجله فى عينى وعظمه فى نظرى
حتى امتلأ باطنى بذلك حتى صارت رددوات تتوجه الى المسئلة ولم
ينل ابا حامد منها شئ بل لم يجر على لسانى والحمد لله الا تعظيمه واحترامه
فكان هذا عندى من اعظم بركات الشيخ رضى الله عنه ومن اكبر
اعتنائه بنا حتى بعد الممات فرايته رضى الله عنه وقد علمت انه ميت
وانا بين النائم واليقظان فمازال يكلمنى وانا اكلمه وطال الامر بيننا
حتى خرجنا الى ابى حامد الغزالى رحمه الله فقال لى رضى الله عنه انه
قطب وامرنى بتعظيمه جدا وقال لى رضى الله عنه ان عليه لباسا
ما رايته او ما دخل به على الا احتقرت نفسى وانه من الاولياء الكبار
ثم قال لى رضى الله عنه اسمع لما اقوله لك اليوم وشبك اصابعه
الكريمة فى اصابعى وقال هذا عهد النبى او شباك النبى صلى الله عليه
وسلم الاه و ولى كبير فتكلمت معه فى شانه فزادنى شباكا آخر على انه
ولى كبير ثم قال رضى الله عنه ان ابا حامد يكون معى او قال لا يفارقنى
وانه يسالنى كثيرا عن العلوم التى يحتاج اليها يعنى فى الآخرة هذا بعض
ما فى تلك الرؤيا المنامية فاصبحت والحمد لله وقد دخلتنى محبة
عظيمة فى ابى حامد رحمه الله فلم ينله شئ من حروشة عبارتنا
ورزقنا الله حسن الادب معه وذلك ببركة الشيخ رضى الله عنه
ولله الحمد التام والشكر العام نساله سبحانه ان يجعل هذه الحروف
التى كتبتها فى هذه المسئلة خالصة لوجهه الكريم وموجبة لرضوانه
العميم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله الذى هدانا
لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد
النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

الباب الثامن فى ذكر ما سمعنا منه فى خلق ابينا آدم وتدريج
امره على نبينا وعليه الصلوة والسلام وبيان ان خليقة بنى آدم
هى افضل الخلائق وان شكل صورتهم هو افضل الاشكال فسمعته

رضى الله عنه يقول ان الله تعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام
جمع تربته فى عشرة ايام وتركها فى الماء عشرين يوما وصوره
فى اربعين يوما وتركه عشرين يوما بعد التصوير حتى انتقل من
الطينية الى الجسمية فمجموع ذلك ثلاثة اشهر وهى رجب وشعبان
ورمضان ثم رفعه الله الى الجنة ونفخ فيه من روحه وهو فى الجنة
وخلقت منه حواء وهو فى الجنة فكان خلقها فى الجنة ولما تم لها
شهران فى الجنة ركبت فيهما الشهوة فواقعها آدم فحملت ووضعت حملها
لثلاثة اشهر ثم واقعها فحملت فوضعت حملها بعد النزول الى الارض
لثلاثة اشهر من حملها ومدة مكثها فى الجنة تسعة اشهر ثم حملت
فى الارض بعد ذلك فوضعت حملها التسعة اشهر فاستمر ذلك
الى اليوم فقلت وما التربة التى خلق منها آدم فقال رضى الله عنه
تربة جميع المعادن معدن الذهب ومعدن الفضة ومعدن النحاس
وسائر المعادن فاخذت تربة من كل معدن وجمع ذلك فى محل وخلق
منه آدم فقلت ومن الذى جمع ذلك فقال رضى الله عنه الملائكة
ومن شاء الله واكثرهم حملا سيدنا جبريل عليه السلام لان الله
وعده ان مخلوقا من التراب لا اعز عند الله منه يكون جبريل عشيرا
له ومرافقا معه وينال منه بركة عظيمة وهو سيد الوجود صلى
الله عليه وسلم فكان جبريل يجمع التراب وهو يظن انه لذلك
المخلوق الذى وعد به فقلت وما مقدار ذلك التراب فقال رضى
الله عنه مقدار ما يعمر من الارض مقدار ميل او اقل منه يعنى انهم
جمعوا ترابا كثيرا مقدار مساحة ما سبق فقلت فلم احتاجوا فى جمعه
الى عشرة ايام والله تعالى قادر على جمعه فى لحظة فقال رضى الله
عنه والله تعالى قادر على خلق السموات والارضين فى لحظة فلم
جعل خلقهن فى ستة ايام وقادر على خلق آدم من غير تراب فلم
جعله من تراب ولكنه تعالى يخلق بعض الاشياء ويرتب خلقها

في ايام ويجريه شيئا فشيئا لانه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملأ
الاعلى لان في تنقل ذلك الحادث من طور الى طور ومن حالة الى
حالة وظهور امره شيئا فشيئا ما لا يكيف من جمع همم الملأ الاعلى
الى الالتفاتات اليه بالتعجب في امر الله في ذلك الحادث والتفكر
في شأنه وكيف يخلقه وماذا يكون منه والى اى شيء يصير فهم
يرتقبون الحالة التي يخرج عليها فاذا حصلت حصل لهم من التوحيد
ما لا يكيف ولا يحصى وفي زمن الارتقاب يحصل لهم من العلم
بالله تعالى والاطلاع على باهر قدرته وسريانها في المقدورات
شيء عظيم فلا يفوتهم شيء من اسرارها في ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه
التفهيم التام فالتدريج لهذه الحكمة ولحكمة اخرى وهي انه بهذا
التدريج وانتظار خروج الحادث والتشوق اليه توجد مخلوقات
اخر مثل هذا الحادث او اعظم فلله تعالى في كل شيء اسرار وحكم فقلت
وما هذا الماء الذى جعلت فيه تربته وتركت فيه عشرين يوما فقال
رضي الله عنه ماء خاص فيه نفع لذات آدم وذريته وانما كان فيه
ذلك النفع لانه ماء الارض التي ينسب اليها على الحقيقة فينشأ كل
الذات المذكورة ويناسبها فقلت وهل هو من اصل الارض ام كيف
الحال فيه فقال رضي الله عنه ليس هو من اصل الارض ولكن
حصل له مرور على غالب اجزاء الارض وذلك ان المياه المارة على
الارض منها ما يمر على بعضها فلا يأخذ الاسر ذلك البعض ومنها
ما يمر على غالب اجزائها او كلها فيأخذ سرها وهذا الماء عين من العيون
الخارجة من الارض الجابية من ارض الشام فهنا اجتمعت تربته
عليه الصلاة والسلام في غور من الارض مساحته ما قلناه فيما
سبق وبلت تربته بهذا الماء لانه يستمد من المياه التي في اطراف
الارض فتراه ماشيا في تخوم الارض خارقا لاجزائها حتى ينتهي
الى تلك العين ويأتي اليها من جميع النواحي والعين بافية الى ...

الآن وفيها من الموافقة للذات ما لا يوجد في غيرها من المياه
التي على ظهر الارض قال فبقي ذلك التراب في الماء المدة السابقة
يعني عشرين يوما وعند ذلك ابتدأ التصوير في آدم عليه الصلاة
والسلام وهو في جوف ذلك الطين فبقي التصوير يدخله شيئا
فشيئا الى ان اكمل ذلك في اربعين يوما وهو في جوف الطين لا يرى
منه شيء وبعد ذلك اراد الله تعالى نقله من الطينة الى جسم
بني آدم فظهر في اصابعه مثلا شبه القرحة التي ملأتها ثم انفجرت
وجمدت مادتها على الاصبع فرجع ابيض مثل الجمار ثم صار ذلك
فيه عضوا عضوا وجزءا جزءا الى ان صار كله مثل الجمار في الصفاء
والرطوبة او مثل عجين ناعم اخذ دقيقه من خالص القمح فصور من
ذلك صورة آدم ثم دخلته الدموية شيئا فشيئا وانفلق عنه الطين
وحصل فيه يبس فصارت الريح تهب عليه واليبس يظهر في
اجزائه فتكونت العظام باذن الله فلما تكاملت خلقته في عشرين
يوما واراد الله نفخ الروح فيه نقله الى الجنة ورفعه اليها فقلت
اية جنة هي فقال رضي الله عنه الجنة الاولى فلما حل فيها دخلت
فيه الروح فدخل فيه العقل والعلم وحصلت له المعرفة بالله عز وجل
واراد ان يقوم فارتعد فسقط ثم اراد ان يقوم فحصل له مثل ذلك
ايضا مثل ما يحصل للصبيان من السقوط اذا ارادوا القيام ثم ان
الله تعالى امده بالمشاهدة التي سبق ذكرها في الاسماء فهو واقف
على رجل معتمد بركبته الاخرى على الارض فلما حصلت تلك
المشاهدة قال الله الله الله لا اله الا الله محمد رسول الله فامده
الله تعالى بالقوة فاستقل قائما وجعل يمشي في الجنة ويروح حيث
شاء ثم القى الله عليه وجعا في ضلعه فحصل فيه مثل الرمل العظيم
حتى خرج منه قدر راس انسان فبقي فيه الى ان انفجر منه مثل القاليب
بالتصفير فسقط القاليب الى الارض فنظر اليه آدم فاذا هو مصور

بصورته فتركه وجعلت روائح الجنة ونفحاتها تمر على ذلك القليب
فنفخه ذلك في سرعة الكبر فجعل آدم يشاهده فيجده يسرع في الكبر
اسراعا عظيما فجعل يانس اليه ويجلس معه فالقى الله العقل في ذلك
القليب فجعل يتحدث مع آدم فلما مر عليهما شهران في الجنة القى الله
تعالى الشهوة فيهما فوقع آدم على حواء التي كانت ذلك القليب السابق
فحملت فوضعت حملها في المدة السابقة قال رضي الله عنه وانما رفع
الله آدم الى الجنة لتسقى ذاته من انوارها حتى لا تنسى ذريته العهد
الذي اخذ عليهم يوم الست بربكم وتعظيما لسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم يعلم هذا ارباب البصائر فقلت فالشجرة التي نهى الله آدم
عن الاكل منها ما هي فقال رضي الله عنه هي شجرة التين من غير
شك قال وانما نهاه عن الاكل منها لان تلك الشجرة وانواعا غيرها
من الاشجار التي في الجنة تسهل بطن كل من اكل منها فنهاه الله تعالى
عن الاكل منها لئلا يسهل بطنه فلا يكون من اهل الجنة فقلت
فاطعمة الجنة وثمارها والنعم التي فيها وان كانت متجسدة فانها
انوار لا ثقل لها كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وما لا ثقل له فلا
يسهل به بطن فقال رضي الله عنه صحيح ما قلتم ولكن ذوات اهل
الجنة اذا دخلوها يوم القيامة اساسها صحيح ولها من القوة ما لا
يخفى فليست هي كذات آدم حين دخل الجنة فاذا نزلت النعم
في ذوات اهل الجنة اطاقتها للقوة التي فيها ولان الذوات حينئذ
انوار مثل النعم فرجعت الانوار الى اصلها بخلاف ذات آدم حين
دخل الجنة فانها ترابية ضعيفة فلذا لم تطق الاكل من تلك الشجرة
فقلت هذا يقتضي ان ذات آدم في ذلك الوقت لا تطيق الاكل
من تلك الشجرة ولا من غيرها فقال رضي الله عنه الاشجار التي
في الجنة والنعم التي فيها على قسمين قسم وهو الغالب الكثير انما
هو انوار لا تشاكل شيئا من نعم دار الدنيا فهي انوار لا ثقل لها

اصلا وهذا القسم تطيقه ذات آدم وهو الذى امره الله ان ياكل
منه وقسم وهو القليل نعم تشاكل النعم التى فى دار الدنيا فى النوع
والصفة ولها ثقل وهذا النوع الذى لا تطيقه ذات آدم حين
كان فى الجنة فنهاه الله تعالى عن الاكل منه لئلا يخرج من الجنة
قال وانما انقسم نعيم اهل الجنة الى هذين القسمين لان الله تعالى
علم فى سابق علمه ان لاهل الجنة حالتين الحالة الاولى وهى
الغالبة عليهم ان لا تخطر الدنيا الفانية فى عقولهم ولا تخطر على
بالهم فتغيب هى وامورها وجميع ما فيها من النعم من عقولهم
وفى هذه الحالة يكرمهم الله تعالى بالقسم الاول فياكلون منه
ويشربون ويتنعمون والحالة الثانية وهى النادرة ان تخطر الدنيا
الفانية فى عقولهم ويستحضرون الاحوال التى كانوا عليها فيتمنونها
فيجدونها حاضرة وهى القسم الثانى والحالة الاولى اكمل من جهة
الفكر فانهم فيها بمنزلة من هو مع ربه سبحانه فلا يشعر بغيره
واكمل من جهة النعم لانها هى النعم التى كانت لهم بحسب الاصالة
وبحسب ما اقتضاه حال الجنة واكمل من جهة الدوام لانها
هى الغالبة عليهم والحالة الثانية دونها فى جميع ذلك اما من
جهة الفكر فانهم بمنزلة الغائبين عن المشاهدة فشعروا بانفسهم
ومن شعورهم بانفسهم خرجوا الى التفكر فى امور الدنيا حتى تمنوا
نعيمها قال رضى الله عنه فلما علم الله ان لاهل الجنة التفاتا
الى دار الدنيا فى بعض الاحوال خلق فى الجنة نعما على طبع الجنة
لا ثقل لها اصلا وخلق فيها لاجل ذلك الالتفات نعما على غير
طبع الجنة لها ثقل وشبه بنعم اهل الدنيا ولكنهم لما كانت ذواتهم
فى الجنة انوارا قوية لم يظهر فيها ثقل وذات آدم لما ضعفت
عن ذواتهم حين دخل الجنة ظهر الثقل الذى فيها فى ذاته
فاذا الثقل الذى فى القسم الثانى لا يظهر الا فى الذات الضعيفة

ولبست الاذات آدم يومئذ قال رضي الله عنه وكان عقل آدم عليه السلام قبل ان ياكل من الشجرة متعلقا بربه غافلا عن مصالح نفسه ولما اكل منها انعكس الامر فتعلق عقله بمصالح ذاته وسر ذلك هو انه قبل ان ياكل من الشجرة كان اكله منها ونفعها لا يجوع معه ولا يظما فكفي شان الجوع وتدبير المعاش فكان العقل متعلقا بربه فلما اكل من الشجرة وحصل له الاسهال والجوع بعده التفت العقل الى الذات وقال اذا فرغت البطن فاى شيء تعمر به فجعل يفكر في تدبير معاشها فلذلك انزله الله تعالى الى دار الكد والشقاء ولما علم الله سبحانه منه ذلك وانه سينزل الى الارض رتب له سبحانه اسباب المعاش ونصب له سبلها قبل ان يهبط من الجنة وذلك انه لما صوره من التربة السابقة وقد سبق انها كثيرة صور له من تلك التربة كل حيوان يحتاج اليه في امر معاشه وكان اصل خلقتها من التربة المذكورة ان الله تعالى لما رفع آدم ظهرت الحيوانات كلها في ذلك الطين على صورة الدود وخلق من كل نوع عشرة خمسة من الذكور وخمسة من الاناث قال رضي الله عنه فالسبع والنمر والفهد حتى تعد خمسة كلها نوع واحد ثم ارسل الله بعد رفعه مطرا عظيما ما سمع بمثله فجاءت السيول من كل مكان وجاءت معها بالاوحال الكثيرة فزادت على ذلك الطين فحصل نفع عظيم ومدد قوي منها للحيوانات بمنزلة من اتسع عيشه وجاءه الخصب وكثرت عليه الخيرات فلما نزل آدم بعد تسعة اشهر وجد الحيوانات تمشي على وجه الارض وهي تكبر شيئا فشيئا فانس بها واعلمه الله انها سبب معاشه ومعاش ذريته الى يوم القيامة قال وانبت الله في الموضع الذي كان فيه راس آدم من الطين النخيل والاعناب والتين والزيتون فلما نزل آدم بعد تسعة اشهر وفرغ بطنه طلب ما ياكل فجعل الله الطعم في تلك الاشجار والنخيل فكان اول رزق رزقه الله من

اسباب المعاش وحملت تلك الاشجار في هذه المدة القريبة باذن الله
فقلت فحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من طين آدم صحيح
ام لا فقال رضي الله عنه ليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
قلت وكذا قال الحفاظ للحديث مثل ابن حجر والزركشي والسيوطي
وغيرهم فقلت وهل خلق الله له من الاشجار غير الاربعة السابقة
فقال رضي الله عنه كل شجرة مذكورة في القرآن باسمه كالنخيل والاعناب
والتين والزيتون والرمان وكل ما ذكر في القرآن باسمه فقد خلقه الله
من تلك التربة والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول انه ليس
في مخلوقات الله كلها احسن خلقة من بني آدم فذواتهم هي احسن
ذوات المخلوقات وافضلها وارفعها واقواها والعقل اذا تامل في التفاصيل
التي في ذات الآدمي والتركيب الذي بين اجزائها والترتيب الذي بين
مفاصلها وعروقها والمحاسن التي اشتمل صنع الله عليها في ظاهرها
وباطنها حار وعلم عظمة خالقها ومصورها سبحانه فقلت فبم فضلت
على ذات الملك فقال رضي الله عنه لانها جمع فيها مخلوقات لم تجتمع
في ذات الملك وكل ما في ذات الملك هو في ذات الآدمي وزيادة فان
ذات الملك من نور وركب في ذلك النور عقل هذا ما في ذات الملك
لا غير وذات الآدمي فيها ذلك النور وفيها العقل وفيها الروح وفيها
اكوان من تراب ونار وريح وماء في كل واحد منها سر من اسرار قدرة
الله عز وجل فباجتماعها في ذات واحدة تقوى الاسرار في تلك
الذات وبالجملة فذات الآدمي فيها عدة مخلوقات وذات غيره
ليست كذلك فكانت ذات الآدمي اقوى الذوات ولهذا كانت تطيق
من الاسرار ما لا تطيقه ذات الملك ولهذا صور نبينا ومولانا احمد
صلى الله عليه وسلم عليها فانه صلى الله عليه وسلم اقوى المخلوقات
في تحمل الاسرار الربانية ولو كانت هنالك ذات اقوى من ذات الآدمي
لصور سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عليها قلت وما ذكره رضي

الله عنه من كون ذات الآدمي اقوى الذوات واحسنها اشار اليه
الامام القشيري في التحبير في شرح اسماء الله الحسنى فانظره فان
كلام شيخنا رضي الله عنه ابسط منه وانما كتبت منه بعض البعض
والكثير بقي في لسانه رضي الله عنه ثم قال رضي الله عنه ومع
كون ذات الآدمي احسن الذوات فقد جرى في سابق علمه جل
وعلا ان جعل طائفة منها الى الجنة وطائفة الى النار وذلك بسبب
حجب بصائرهم عنه تعالى فانه اولا جعل في تلك الذات الروح
وسرها الذي هو العقل ومعرفة الله تعالى ونور الايمان به مع
المشاهدة ورفع الحجاب جل وعلا بينه وبينها فحصلت لها المعرفة
بخالقها على الوجه الاكمل فلما اراد الله تعالى انفاذ الوعيد وضع
الحجاب على تلك الذات فزالت المشاهدة التي كانت لها ووقعت
لها القطيعة ويا ليتها حين وقعت لها القطيعة لم تتعلق بشيء
فان ذلك خير لها مما وقعت فيه وذلك انها نظرت الى خيط نور
العقل الذي بقي فيها فتعلقت به وجعلته عمدتها وسندها في كل
شيء فزادها ذلك قطيعة لانها نظرت اليه على انه منها وناشئ عنها
وراجع في جميع الامور اليها فرأتها استقلالا بنفسها وانقطاعا عن الله
عز وجل ولو نظرت اليه على انه من الله عز وجل وانه تعالى هو محركه
في كل لحظة لكان في ذلك رجوعها الى الله سبحانه وحصلت المشاهدة
التي زالت وبالجملة فحاصل امرها انها انقطعت من قديم وتعلقت
في نظرها بحادث ولو لم تتعلق بشيء كان خيرا لها قال رضي الله عنه
فلما تعلقت بعقلها في تدبيرها واستندت اليه في امر معاشها ومعاشرتها
للخلق وعلم الله تعالى انها لابد ان تنحرف عن الطريق ارسل اليها
الرسل ليردوها الى طريق معرفته تعالى فظهر فيما جرى في سابق
الازل فاجابت طائفة وكذبت طائفة وكان في اجابة الاولى
بعض الرجوع من اتباع العقل وفي تكذيب الثانية غاية التعلق

بالعقل وتمام اتباعه فقلت وما هو الحجاب الذى وضع حتى زالت
المشاهدة اهو الدم الذى هو سبب فى الغفلة ام غيره فقال
رضى الله عنه غيره وهو ظلام من ظلام جهنم كسيت به الذات
فحجبها عن الحق ومعرفته فقلت فما النسبة بينه وبين الدم فقال
رضى الله عنه لا نسبة بينهما الا ان الدم يزيد فى البعد عن الله ثانيا
فهو يزيد فى الحجاب ثم ضرب مثلا لكون الدم مبعدا برجل له ولد
صغير عزيز عليه مثل عينيه فى المحبة والمعرفة ثم اصابه المرض
المعروف بحب البيشى حتى كساه فى وجهه وجميع ذاته فان والده
يهتم له ويكبر عليه ما اصاب ولده ولا يفر منه بل يغلب حب ولده
حتى يستقبح ذلك المرض فتراه يقبل ولده ويشمه مع ذلك المرض
وانما فعل ذلك لاجل الاتصال الذى بينه وبين الولد فلو فرضنا
الولد بعيدا منه اجنبيا عنه لا نسبة بينه وبينه فى شئ من
الاشياء لفر منه الى الغاية وهرب منه الى النهاية وتحاماه بالكلية
قال فذلك مثل الدم فى المؤمن والكافر ثم قال رضى الله عنه
فى الطائفة التى اجابت الرسل انها انقسمت الى فرقتين فرقة
اجابوا ووقفوا مع الايمان بالغيب من غير فتح عليهم وهم عامة
المؤمنين وفرقة اجابوا وترقوا الى الفتح فمنهم من استمر مفتوحا عليه
ومنهم من وقف به الفتح والذين استمر بهم الفتح فى زيادة دائما
والذين وقف بهم الفتح فى نقصان دائما ثم ضرب مثلا لوقوف
الفتح واستمراره فقال رضى الله عنه انه بمنزلة رجلين فقيرين
خرجا يطلبان غنيا فلما وصلا اليه ابتدأهما من كل واحد درهما
فاخذ واحد منهما درهما واستغنى به والاخر لما اخذه استزاده
فزاده موزونة فاستزاده فزاده عشر موزونات فاستزاده
فزاده دينارا ذهبا فاذا فرضنا هذا الغنى كريما وخزائنه لا تفنى
ولا تنقص ثم فرضنا هذا السائل مستزيدا دائما فان العطية

لانه

لا تنقص به ابدا وهكذا حال اولياء الله تعالى الذين استمر بهم الفتح
فانهم في زيادة دائما في كل لحظة ابد الابدين ودهر الداهرين
حتى في حال نزول الموت بهم فانهم رضي الله عنهم لا يحسون به
لان عقولهم وارواحهم وذواتهم منقطعة الى الله تعالى ومنقطعة
عن غيره تعالى ومن جملة الغير الموت فهم لا يشعرون به اصلا
قلت وهذا قريب من الكلام السابق لان من قبض في الباقي سبحانه
لا يموت الموتة المعروفة وان ذلك هو دواء الموت فراجعه فيما
سبق والله اعلم الباب التاسع في الفرق بين الفتح النوراني
والظلماني وما يتبع ذلك من تقسيم النوراني الى فتح اهل الكمال
والى فتح من هو دونه وما يجر اليه الحديث من الفرق بين المجذوب
والاحمق مع استوائهما في ذهاب العقل عنهما وغير ذلك من الامور
المتعلقة بالمفتوح عليهم اعلم وفقني الله واياك انه قد سبق في اثناء
هذا الكتاب المبارك امور كثيرة من امور الفتح متفرقة في ابوابه
المناسبة لها مع تلك الابواب فلم تمكن اعادتها في هذا الباب خيفة
التكرار مع كثرتها جدا فلتراجع في محالها لا سيما ما كتبناه في قوله
تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين مما يشاهده المفتوح عليه من الامور الباطلة
الفانية الظلمانية والامور الثابتة الباقية النورانية وما في ذلك
من التفاصيل فليراجع ولابد وكذلك ايضا ما كتبناه في مسئلة
من ادعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فانه نفيس جدا
فراجعه في اول الباب الخامس في السؤال الثاني منه وكذا ما كتبناه
في مسئلة ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فانه متعلق بفتح
اهل الكمال والفتح الاخر ذكرها لم يتقدم له ذكر مما يتعلق بهذا
الباب فنقول سألته رضي الله عنه عما يذكره سقراط وبقراط
وافلاطون وفيثاغورس وغيرهم من الحكماء والفلاسفة الكفرة في العالم

العلوي مثل كلامهم في النجوم وسيرها وموضع افلاكها وقولهم ان القمر في الفلك الاول وعطارد في الثاني والزهرة في الثالث والشمس في الرابع والمريخ في الخامس والمشتري في السادس وزحل في السابع الى غير ذلك مما يحكمون به في القرانات وامور تعديل الفلك من اين لهم بذلك مع انه غيب محض اذ ليس مما يدرك بالحواس ولا بادلة النظر وهم يستندون في ذلك الى وحي من الله تعالى لبعض انبيائه وما يحكى في ذلك من سيدنا ادريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا يفي بتفاصيل ما ذكروه مع ان النسبة الى سيدنا ادريس بعدت مسافتها والتواتر في طريقها منتف بالضرورة وخبر الاحاد فيها لا يجدي شيئا اذ هذا المخبر ان كان من الفلاسفة فهم اهل كفر وخبر الواحد لا يقبل الا من العدل وان كان من غيرهم فهذا المخبر لا يعلم كفره من ايمانه فقال رضي الله عنه ان الله تعالى خلق الحق والنور وخلق له اهلا وخلق الظلام والباطل وخلق له اهلا فاهل الظلام ينتج لهم في الظلام ومعرفته وجميع ما يتعلق به واهل الحق ينتج لهم في الحق ومعرفته وجميع ما يتعلق به والحق هو الايمان بالله تعالى والاقرار بربوبيته والتصديق بانه يخلق ما يشاء ويختار مع الايمان بالانبياء والملائكة وجميع ما يتعلق برضاه سبحانه والظلام هو الكفر وكل قاطع عن الله سبحانه ومنه الدنيا والامور الفانية والحوادث التي تكون فيها وكفاك دليلا على ذلك لعن النبي صلى الله عليه وسلم لها حيث يقول الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وان الحق نور من انوار الله سبحانه تسقى به ذوات اهل الحق فتتشعشع انوار المعارف في ذواتهم وان الباطل ظلام تسقى به ذوات اهل الباطل فتسود عقولهم وتعمى ابصارهم عن الحق وتصم آذانهم عن سماعه بل لا يقع في عقولهم ولا يخطر ببالهم وانما الحق عندهم بمنزلة شيء في طي العدم لم يسمع به قط فغفلتهم عن الحق كغفلة

ذى العقول عن مثل هذا الذى هو فى طى العدم على الصفة السابقة
ولذلك يفتح على اهل الباطل فى مشاهدة هذا العالم سمائه وارضه
ولا يشاهدون فيه الا الامور الفانية المتعلقة بالاجرام الحادثة
وشيئا مما مثل ما يذكرونه فى احكام النجوم مثل النجم الفلانى فى موضع
فى الفلك كذا وانه اذا قارنه نجم كذا كان كذا وكذا ومثل نسبة
لغة العرب الى برج العقرب ولغة العجم الى المريخ وغير ذلك واما
قبر النبى صلى الله عليه وسلم والنور المستمد منه الى قبة البرزخ
وذوات الاولياء العارفين بالله تعالى وارواح المؤمنين الكائنة
بافنية القبور والحفظة والكرام الكاتبين والملائكة الذين يتعاقبون
فيها وغير ذلك من اسرار الحق الموصلة الى الله تعالى التى وضعها
فى ارضه فلا يفتح لهم فى معرفتها ولا تقع فى عقولهم ابدا لان الله
تعالى سقاهم بالظلام وقطعهم عن معرفته بالكلية حتى ان المبطل
المذكور لو نظر الى لوح مكتوب فيه كلام الله عز وجل الذى هو
نور وشفاء لما فى الصدور لشاهد ببصيرته المكسوفة المقطوعة
جرم اللوح دون حروف القران العزيز المكتوبة وكذلك لا يشاهد
اهل الظلام شيئا من اسرار الحق سبحانه التى وضعها فى سمائه
ولا يشاهدون شيئا من الملائكة ولا يسمعون تسبيحهم ولا
يشاهدون الجنة ولا القلم ولا اللوح ولا انوار الحروف الخارجة
من القلم وكذلك لا يعرفون الحق سبحانه الذى هو خالقهم وبالجملة
فقد حجبهم الحق سبحانه عن نفسه وعن كل ما يوصل اليه وفتح
عليهم فى غير ذلك مما يضرهم ولا ينفعهم فاخبار الفلاسفة
لعنهم الله عن العالم العلوى من هذا الوادى وكل ما حكموا به فى ذلك
فهو خطأ حيث نسبوا ذلك للنجوم وانما الفاعل لذلك هو الله
تعالى الذى هو خالق النجوم ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه عز وجل اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر

فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر
بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب
فالفلاسفة لعنهم الله حجبهم الحق سبحانه عن معرفته وعلق
عقولهم بالكواكب ليشغلهم بها حتى ينفذ فيهم الوعيد السابق
مع ان الربط الذي يذكرونه في احكام النجوم وان كان من فعله
تبارك وتعالى فقد كان منه البعض واخطأوا في الكثير منه واما
اهل الحق فلهم فتح في اول الامر وفي ثاني الامر بجميع ما سبق فتحه
لاهل الظلام في هذا العالم سمائه وارضه فيشاهدها حسب
هذا الفتح الارضين السبع وما فيهن والسموات السبع وما فيهن
ويشاهد افعال العباد في دورهم وقصورهم لا يرى ذلك ببصره
وانما يراه ببصيرته التي لا يحجبها ستر ولا يردها جدار وكذلك
يشاهد الامور المستقبلة مثل ما يقع في شهر كذا وسنة كذا
وكذا واهل الظلام في هذا الفتح على حد السواء ولذا يقال الكشف
اضعف درجات الولاية اي لانه يوجد عند اهل الحق ويوجد
عند اهل الباطل وصاحبه لا يامن على نفسه من القطيعة واللحوق
باهل الظلام حتى يقطع مقامه ويتجاوزه واما الفتح في ثاني
الامر فهو ان يفتح عليه في مشاهدة اسرار الحق التي حجب عنها
اهل الظلام فيشاهد الاولياء العارفين بالله تعالى ويتكلم
معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاة الجليس لجليسه
وكذا يشاهد ارواح المؤمنين فوق القبور والكرام الكاتبين
والملائكة والبرزخ وارواح الموتى التي فيه ويشاهد قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وعمود النور الممتد منه الى قبة البرزخ
فاذا حصلت له مشاهدة ذات النبي صلى الله عليه وسلم في
اليقظة حصل له الامان من تلاعب الشيطان لاجتماعه مع
رحمة الله تعالى وهي سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم ثم اجتماعه مع الذات الشريفة سبب الى معرفته بالحق
سبحانه ومشاهدة ذاته الازلية لانه يجد الذات الشريفة غائبة
فى الحق هائمة فى مشاهدته سبحانه فلا يزال الولى ببركة الذات
الشريفة يتعلق بالحق سبحانه ويترقى فى معرفته شيئا فشيئا الى
ان تقع له المشاهدة واسرار المعرفة وانوار المحبة فهذا الفتح الثانى
هو الفاصل بين اهل الحق واهل الباطل واما الفتح الاول فانه كما
يقع لهم يقع لاهل الظلام فيقع لهم الفتح فى مشاهدة الامور الفانية
ويتمكنون من التصرف فيها فترى المبطل يمشى على البحر ويطير
فى الهواء ويرزق من الغيب وهو من الكافرين بالله عز وجل
وذلك ان الله تعالى خلق النور وخلق منه الملائكة وجعلهم
اعوانا لاهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد وكذلك
خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم اعوانا لاهل الباطل
بالاستدراج والمزيد فى الخسرات والتمكن من الخوارق قال رضى
الله عنه وعلى هذا تخرج حكاية اليهودى الذى كان مع ابراهيم
الخواص رضى الله عنه فى سفينة فتعارفا وترافقا فى العشرة
فقال له اليهودى ان كنت صادقا فى دينك فهذا البحر فامش عليه
فانا ماش عليه فقام اليهودى يمشى فوق الماء فقال ابراهيم الخواص
واذلاه ان غلبنى يهودى ثم رمى بنفسه فوق البحر فاعانه الله
عز وجل ومشى كما مشى اليهودى ثم انهما خرجا من البحر فقال
اليهودى لابراهيم انى اريد منك الصحبة فى السفر فقال ابراهيم
لك ذلك فقال اليهودى بشرط ان لا ندخل المساجد لانى لا احبها
ولا ندخل الكنائس لانك لا تحبها ولا ندخل مدينة لئلا يقول
الناس اصطحب مسلم ويهودى ولكن نجول القيافى والقفار
ولا نتخذ زادا فقال ابراهيم لك ذلك فخرجا الى الفلوات ثم بقيا
ثلاثة ايام لم يرزقا شيئا فبينما هما سائران اذا قبيل كلب يمشى الى

اليهودي وفي فمه ثلاثة ارغفة فطرحها بين يديه وانصرف قال
ابراهيم فلم يعرض علي ان ناكل معه فبقيت جائعا ثم انه اتانى
شاب من احسن الناس شبابا واطيبهم رائحة واحسنهم وجها
واحلاهم منظرا وفي يده طعام ما رايت مثله فطرحه بين يدي وانصرف
فعرضت على اليهودي ان ياكل معي فابى فاكلت ثم قال اليهودي يا ابراهيم
ان ديننا ودينكم على الحق وكل منهما يوصل وله ثمرة الا ان دينكم
ارق والطف واجلى واحسن فهل لك ان ندخل فيه قال فاسلم
وكان من جملة اصحابنا المتحققين بالتصوف هكذا ذكر الحكاية ابو نعيم
في الحلية في ترجمة ابراهيم الخواص فسالت شيخنا رضى الله عنه
عن ذلك فقال خلاوا رابهم انما الشياطين تلعب بهم فظنوا ان
لعبادتهم ثمرة ثم ذكر الكلام السابق وكيف حال اهل الحق وكيف
حال اهل الباطل ولا مطلب للمرء وراءه والله اعلم وقال رضى
الله عنه ان اصل علوم الفلسفة وما حكموا به في العالم العلوى
ونحو ذلك هو ان رجلا كان في زمن سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام فامن به وجعل يسمع منه امورا تتعلق بالفتح
في ملكوت السموات والارض ثم لم يزل ذلك دأبه الى ان وقع له
هو ايضا الفتح فوقف مع ما شاهد في العوالم وانقطع عن الحق سبحانه
وخسر الدنيا والاخرة وجعل يفرح بما شاهد في العالم العلوى
ويذكر مواضع النجوم ويربط بها الاحكام ورجع عن دين ابراهيم
فتلقى ذلك منه من اراد الله خذلانه الى ان بلغ الى الفلاسفة
الملعونين قال رضى الله عنه واشتد غضب الله على ذلك الرجل
لانه دل على غير الله وكل من دل على غير الله فهو من القاطعين عن
الله تعالى قال رضى الله عنه ان فائدة الرسالة والنبوة خصلة
واحدة وهى الدلالة على الله عز وجل والمجمع عليه حتى انا لو فرضنا
فرضا مستحيلا في ذات امرت برسالة ونبوة ثم جعلت تدل على

غيره

عنه تعالى او جعلت تجمع الناس على نفسها وتقطعهم عن الحق سبحانه
فانها تنقلب الى الوصف السابق في ذلك الرجل وهذا الفرض
المستحيل ذكرناه على سبيل المبالغة للتنفير من الدلالة على غيره
تعالى ثم قال رضي الله عنه وكنا نمشي على قنطرة باب الحديد
احد ابواب فاس حرسها الله يعني ما فائدة هذه القنطرة قلت
المشي عليها حتى يتخلص من الحفر التي تحتها ويبلغ الماشي عليها
الى مقصوده من الاخرى قال رضي الله عنه ولو ارتفعت منفعة
هذه الفائدة كانت ضررا محضا على الناس قلت ثم قال رضي الله
عنه فكذلك الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون وسائر عباد
الله الصالحين فائدتهم الدلالة على الله والتقريب اليه ولو ارتفعت
منهم هذه الفائدة كانوا على الصفة السابقة في القنطرة والله اعلم
وقال رضي الله عنه ان الكاملين من اهل الحق اذا سئلوا عن
مسألة من الحوادث التي ستقع لم يتكلموا فيها الا بالنزر من
القول لانه اول امر شاهدوه وقد شاهدوا الحق بعده فعلموا
بطلانه فهم يكرهونه ويكرهون الكلام فيه ولان الدنيا والحوادث
الواقعة فيها مبغوضة عند الله تعالى وهم يبغضون ما يبغضه الحق
سبحانه وايضا فلا يتكلمون فيها الا بالنزول عن درجتهم كمن ينزل
من الثريا الى الثرى فان درجة تلك الحوادث في درجة اهل الظلام
وايضا فانهم رضي الله عنهم لا يشاهدون الا بانوار الحق سبحانه
ونور الحق لا يقع فيه الزمان ولا ترتيب ولا ماضي فيه ولا حال
ولا مستقبل فاكثر ما يعلم الولي بنور الحق ان الحادث الفلاني واقع
لا محالة واما انه يقع يوم كذا فلا يحصل له الا بالنزول الى اعتبار
الزمان وترتيبه وهو من الظلام بالنسبة الى نور الحق
ومثل من يفعل ذلك كمثل الشمس اذا نزلت من سمائها الى الارض
واخذت مرآة بين عينيها وجعلت تنظر بها فقلت فان الحق

سبحانه يعلم ما سيقع وترتيبه ويعلم ما في الماضي وما في الحال
وما في المستقبل والولي ينظر بنوره فينبغي ان يعلم ما سبق من غير
نزول الى درجة الظلام فقال رضي الله عنه ذلك لانه تعالى احاط
بكل شيء علما والرب تعالى قوي والعبد ضعيف وعلم العبد قاصر
وبالجملة فالعبد لا يقاس بربه تبارك وتعالى وقد قال سيدنا الخضر
لسيدنا موسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ما نقص علمي
وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر
قال رضي الله عنه وقد يتكلم الولي بشيء من الحوادث المستقبلة فيخبر
بها نازلا عن درجته وليس ذلك بمعصية ولكنه قصور همة
وانحطاط عن الذروة العلية وسوء ادب ان قصد الهام النبي
صلى الله عليه وسلم لان حالته عليه الصلاة والسلام لم تكن
كذلك على ان كثرة الاولياء الكاملين رضي الله عنهم انما يتكلم بها
غلبة بحكم القدر وتصريف الحق اياهم سبحانه على ما يريد اذ هم
رضي الله عنهم مظاهر الحق قلت واكثر ضرر الخلق في معرفة الاولياء
ومخالطتهم من هذا الباب اما في المعرفة فانهم لا يفرقون بين اهل
الظلام وغيرهم من اهل الحق فيحسبون ان كل ما زاد على علومهم من الشرع
وخرج عن طوقهم من الخوارق كمال وحق وولاية من الله تعالى
لمن ظهر ذلك على يديه ففريق من الناس يعتقدون ولاية من يكاشف
ويعتقدون انه الغاية وفريق اخر يعتقدون ولاية من استقام
في الظاهر ودام على الصيام والقيام وان كان باطنه خاليا من الحق
متعلقا بغيره واما في المخالطة فان العبد بعد ان يوفقه الله تعالى
للاجتماع مع ولي كامل قد يكون غرضه من ذلك الولي عكس المطلوب
من الولي فان المطلوب منه ان يعرف العبد بربه ويحذره من القواطع
التي من اعظمها حب الدنيا والميل الى زخارفها فاذا جعل العبد يطلب
منه قضاء الحوائج والاعانة على الهموم والحسنة على السنة ولا

يساله عن ربه ولاكيف يعرفه مقته الولي وابغضه فهو السالم
ان نجا من عصبية تنزل به وذلك لامور احدها ان محبته للولي
ليست لله عز وجل وانما هي على حرف والمحبة على حرف خسران
مبين تدور معها الوساوس وتحضرها الشياطين ولا ينزل عليها
نور الحق ابدا ثانيها ان الولي يراه في تعلقه بالدنيا في عين القطيعة
وهو يريد ان ينقذه منها والعبد يطلب ان يزيده منها ثالثها ان الولي
اذا ساعفه في قضاء بعض الاوطار وقابله ببعض الكشوفات وقع
العبد المسكين غلط فيظن ان هذا . والذي ينبغي ان يقصد من الولي
وكل ذلك ضلال ووبال وقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول
انما مثل الولي كمثل رجل عمله صنعة الفخار فيه يحرك يده وتعمل
جوارحه ومع ذلك فعنده الخزائن التي يحتاج اليها الناس من طعام
وغيره والخزائن وان كانت عنده فقلبه معرض عنها لا تقع عنده
ببال ولا تساوي عنده شيئا ولا يحب الكلام الا في عمل الفخار
وصنعته ويكره غاية من يتكلم معه في غيره ويبغضه حتى يخاف
ذلك المتكلم ان يناله ضرر من الرجل المذكور فاذا جاءه رجلان
وقد علما حالته وبغضه للكلام في غير عمل الفخار واراد منه شيئا
من تلك الخزائن فالموفق منهما والكيس هو الذي يتكلم معه في عمل
الفخار ويسال عن صنعته وكيف يعمل ولا يزال هذا دابه حتى يناله
من الرجل محبة عظيمة ومودة كبيرة فاذا ساله بعد ذلك شيئا
من تلك الخزائن مكنه منه ولا يقع له ضرر وغير الموفق منهما
هو الذي ياتي لذلك الرجل ويطلب منه اولا شيئا من تلك الخزائن
ويتكلم معه فيها فان سلم من ضرب الرجل له بفخارة على راسه
كان هو السعيد وكان ربحه هو سلامته لا غير فهذا مثل العارف
لا صنعة له ولا حرفة له الا في معرفة الحق وما يوصل اليه ولا
يحب كلاما الا فيه ولا جمعا الا عليه ولا وصولا الا منه ولا قربا

الا اليه فمن عرفه على هذا فتح منه الدنيا والآخرة ومن عرفه على غير
هذا كان على العكس ومسالته رضي الله عنه لم كانت هذه الحوادث
من الباطل وهي امور ثابتة تشاهد بالعيان وقد علمتم ان
الباطل هو الذي لا اصل له فقال رضي الله عنه وقد اشار الى
ما مثل الميت انا نشاهد هذا ويتحرك ويزول ولا نشاهد روحه
الذي هو خالقه وماسكه فقد فقد وهو الحي الدائم الذي لا يفنى ولا
يموت وهو اقرب الينا من حبل الوريد ومع ذلك فلنا والمتمرغ
فينا بالاشياء فمشاهدة مثل هذا الباطل الذي لا ينفع ولا يضر [illegible]
مع عدم مشاهدة الحق سبحانه مشاهدة باطلة والباطل فيما
شيء اي ما شاهدناه كالعدم والامر الى ما لم نشاهده وقد تقرر
ان مشاهدة الخلق دون الحق دون الكون هي مشاهدة باطلة
فمن فتح الله تعالى فتح عليه في مشاهدة ذاته العلية وصفاته
السنية واسمائه الزكية فتعلق به فحيي حياة لا يشقى بعدها
ولا يموت لان الفاني اذا تعلق بالباقي بقي ببقائه كما تقدمت
الاشارة اليه والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان الفتح
الاول وان اشترك فيه اهل الظلام واهل الحق لكن المقصود به
مختلف فان المقصود به لاهل الظلام طردهم عن بابه تعالى وصدهم
عن سبيله لانه تعالى ابغضهم وقطعهم عنه وعلق قلوبهم بغيره
وامدهم بهذه الخوارق اضلالا واستدراجا ليحسبوا انهم على شيء
واما المقصود به لاهل الحق فان الله اراد فيه تقوية واجتذابهم [illegible]
[illegible] الى حضرته وذلك انه تعالى فتح لهم الباب واذاقهم [illegible]
وعلق قلوبهم به فامدهم بالخوارق تقوية لهم [illegible]
[illegible] كما قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم
كافرون [illegible]

من الكبير في مشاهدة هذه الحوادث وذلك لان الكبير غائب عنها
فيما هو اقوى منها وهو مشاهدة الحق سبحانه بخلاف الصغير فانه
يقصد اليها لانه محل مشاهدته وان كانت له مشاهدة الحق سبحانه
فهي لا تكون مثل مشاهدة الكبير وبالجملة فالكبير يقوى في مشاهدة
الحق سبحانه ويضعف في مشاهدة الخلق والصغير على العكس
يقوى في مشاهدة الخلق ويضعف في مشاهدة الحق سبحانه
وعلى هذا يخرج ما وقع بين سيدنا الخضر وبين سيدنا موسى
على نبينا وعليهما الصلاة والسلام مما قصه الله تعالى في كتابه
العزيز من امر السفينة والغلام والجدار فان علم ذلك انما غاب
عن سيدنا موسى عليه السلام لانه في مشاهدة ما هو اقوى
منه وهو الحق سبحانه فعلم موسى عليه السلام في غاية
الكمال قال ومثاله مع الخضر في ذلك كمثل عبدين لملك اما احدهما
فضمه الملك الى نفسه وجعله جليسا له لا شغل له الا الوقوف بين
يدي الملك والنظر في وجهه فاذا خرج الملك خرج معه واذا دخل
دخل معه واذا اكل اكل معه واذا شرب شرب معه واذا تحدث
تحدث معه والعبد الآخر مكنه الملك من التصرف في رعيته فيخرج
للرعية وينفذ فيهم امر الملك ويتحدث معهم في امورهم وما يصلح
اسواقهم وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ بعض الامور
فلا يشك ان العبد الاول اقرب الى الملك وادرى باسراره فاده من
الثاني مع انه اذا سئل عن شيء من امور الرعية وما يدخل فيها وما
يخرج ولا سيما الاشياء الرعية من عند الملك فانه لا يعرفه
معرفة الثاني به وهكذا كانت حالة موسى مع الله تعالى فانه مثل
العبد الاول وسيدنا الخضر مثل العبد الثاني فان سيدنا موسى
اكبر منه قدرا بالاجماع لانه رسول الله وكليمه وصفيه فقلت
وهل سيدنا الخضر حي كما ذهب اليه بعض العلماء رضي الله عنهم فقال

الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ينبغي اعتقاد نبوته لئلا يكون غير النبي
اعلم من النبي فقال رضي الله عنه ليس بنبي وانما هو عبد اكرمه الله
بمعرفته وامده بالتصرف في رعيته واعطاه من تمام التصرف وكمال
المعرفة ما يعطى للغوث في هذه الامة المحمدية وادرك ذلك الخضر بلا
شيخ ولا سلوك بل امده الله تعالى بذلك ابتداء فهذه درجته وهي
لا تبلغ مبلغ النبوة ولا الرسالة وليس في علم الخضر بما سبق في تلك
الامور دون موسى ما يوجب ان يكون غير النبي اعلم من النبي لما
سبق ان موسى عليه السلام مشتغل عن ذلك بمشاهدة الحق التي
لا عوض لها ولا مثيل فلا يحتاج الى اعتقاد نبوته فقلت
والذين قالوا بنبوته استدلوا بقوله تبارك وتعالى وما فعلته عن امري
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا فقال رضي الله عنه كل غوث
وقطب وغيرهما من اصحاب التصرف لا يفعلون شيئا ولا
يتصرفون في مملكة الله الا بامر الله وليس ذلك بنبوة ولا رسالة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ثم بين ذلك بكلام نفيس تركت
كتبه لانه من الاسرار المكنونة التي لا تكتب فرضي الله عن شيخنا
ما اعرفه بالله قلت وهذا الجواب الذي ذكره شيخنا رضي الله عنه
في عدم علم سيدنا موسى بتلك الامور وبيان سر ذلك من
الاسرار والانوار التي يغتبط بمعرفتها وعلى هذا يتخرج حكايات
تقع لبعض الكاملين مع مريديهم فان الكامل قد يستفيد من مريده
شيئا مما يقع في العالم كقول بعض الاكابر في مريد له منذ مات
فلان غابت عنا اخبار السماء حتى جاءه مريد اخر فجعل يخبره
بمثل ما يخبره الاول فقال ذلك الولي الكامل قد رجع الينا ما فقدناه
وتركت تسمية ذلك الكامل ومريديه لعدم تعلق الغرض بذلك
والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول لكل شيء علامة وعلامة
ادراك العبد مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ان

يشتغل

يشتغل الفكر بهذا النبي الشريف اشتغالا دائما بحيث لا يغيب عن
الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل فتراه ياكل وفكره
مع النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب وهو كذلك ويخاصم وهو كذلك
وينام وهو كذلك فقلت وهل يكون هذا بحيلة وكسب فقال
رضي الله عنه لو كان بحيلة وكسب من العبد لوقعت له الغفلة
عنه اذا جاء صارف او عرض شاغل ولكنه امر من الله تعالى يجعل
العبد عليه ويستعمله فيه ولا يحسن العبد من نفسه اختيارا
فيه حتى لو كان في العبد فهم ما استطاع ولهذا كانت لا تصرفه
الشواغل والصوارف فباطن العبد مع النبي صلى الله عليه وسلم
وظاهره مع الناس يتكلم معهم بلا قصد وياكل بلا قصد وياتي
بجميع ما يشاهده في ظاهره بلا قصد لان العبرة بالقلب وهو مع
غيرهم فاذا دام العبد على هذه المشاهدة رزقه الله تعالى مشاهدة نبيه
الكريم وحصوله العظيم في اليقظة ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون
له شهرا ومنهم من تكون له اقل ومنهم من تكون له اكثر قال رضي الله
عنه ومشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم امرها جسيم وخطبها
عظيم فلولا ان الله تعالى يقوي العبد ما اطاقها لو فرضنا رجلا
قويا عظيما اجتمع فيه قوة اربعين رجلا كل واحد منهم ياخذ باذن
الاسد من الشجاعة والبسالة ثم فرضنا النبي صلى الله عليه وسلم
خرج على هذا الرجل لانفلقت كبده وذابت ذاته وخرجت روحه
وذلك من عظمة سطوته صلى الله عليه وسلم ومع هذه السطوة
العظيمة ففي تلك المشاهدة الشريفة من اللذة ما لا يكيف ولا
يحصى حتى انها عند الاولياء افضل من دخول الجنة وذلك لان
من دخل الجنة لا يذوق جميع ما فيها من النعيم بل كل واحد له نعيم
خاص به يجده في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا حصلت
له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نعيم اهل الجنة ويجد لذة

كل لون وحلاوة كل نوع كما يجد اهل الجنة في الجنة وذلك قليل
في حق من خلقت الجنة من نوره صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم ومجد وعظم وعلى آله وصحبه قال رضي الله عنه وبعد ان
مشاهدة يحصل هذا السبق ثم دامت له دامت له هذا السبق
قلت وكنت انظر في شمائل الامام الترمذي رحمه الله وفي شرحه
فاذا اختلفوا في شيء من اوصافه صلى الله عليه وسلم او طول ذاته
او طول شعره او مشيته او غير ذلك من احواله صلى الله عليه وسلم
ذهبت الى شيخنا رضي الله عنه فاسأله عن الواقع من ذلك فيجيبني
بجواب المعاين المشاهد وقد كتبنا بعض ذلك في الباب الاول
والله اعلم ومن عجيب امره رضي الله عنه اني سألته عن بعض
الامور وهو مشتغل بتسمية الاشياء وان الاشتغال بجميع ذلك
فيها في صورة المعرض عن سؤالي القديم بالمشي في الامر الذي
عن شيء ما سبق حتى اجابني بجوابها من غير تامل في كلامي حتى كانه
للسبق في قوله ان المعرفة بالباطن وكلما ابعد له ظاهر فهو لا يقصد
فتسمية الاشياء هو ما كانت منه رضي الله عنه من غير قصد
وبالجملة كان مع الجناب العلي ولهذا كان لا يتفكر في امر الجواب
والله اعلم قال رضي الله عنه ومواصلة اهل الله بالمشاهدة فيه
عز وجل ان يقع في قلب مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم
التعلق بربه بحيث يغيب ذكره في ذلك مثل الغيبة السابقة في النبي
صلى الله عليه وسلم ثم الى ان كذلك الى ان يقع له الفتح في مشاهدة
الحق سبحانه فيبقى على رؤية الاولياء وتجربة الفكر واذا كانت ذاته
تسقي جميع الانواع التي اهل الجنة في مشاهدته النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا فتح له جملة في مشاهدة الحق سبحانه الذي
هو خالق النبي صلى الله عليه وسلم وخالق الجنة قال رضي الله عنه
ثم بعد الفتح في مشاهدة الحق سبحانه انقسم الناس قسمين

فقسم غابوا في مشاهدة الحق سبحانه عما سواه وقسم وهم اكمل
غابت ارواحهم في مشاهدة الحق سبحانه وبقيت ذواتهم في مشاهدة
النبي صلى الله عليه وسلم فلا مشاهدة ارواحهم تغلب مشاهدة
ذواتهم ولا مشاهدة ذواتهم تغلب مشاهدة ارواحهم قال
رضي الله عنه وانما كان هذا القسم اكمل لان مشاهدتهم في الحق
سبحانه اكمل من مشاهدة القسم الاول وانما كانت مشاهدتهم
في الحق سبحانه اكمل لانهم لم ينقطعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
التي هي سبب في الارتقاء في مشاهدة الحق سبحانه فمن زاد في
مشاهدته عليه السلام زيد له في مشاهدة الحق سبحانه
ومن نقص منها نقص له قال ولو كان الاختيار للعبد وكان
عمره تسعين سنة مثلا لاختار في جميع هذه المدة ان لا يشاهد
الا النبي صلى الله عليه وسلم وقبل موته بيوم يفتح له في مشاهدة
الحق سبحانه فانه يحصل له في هذا اليوم من الفتح في مشاهدة
الحق سبحانه لاجل رسوخ قدمه في مشاهدة النبي صلى الله
عليه وسلم اكثر مما يحصل لمن فتح له في المشاهدتين معا في تلك
المدة من اولها الى آخرها ثم جعل رضي الله عنه مرآة بين عينيه
وجعل ينظر في الحروف فقال اليس ان النظر في الحروف وصفائها
في النظر يتبع صفاء المرآة وحسن مائها فقلت نعم فقال رضي
الله عنه فمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة المرآة ومشاهدة
الحق سبحانه بمنزلة الحروف فعلى قدر الصفاء في المشاهدة
النبوية يحصل الصفاء ويزول الغمام في المشاهدة للذات
الازلية سمعت هذا الكلام منه رضي الله عنه وقد سأله
بعض فقهاء الاشراف ايمكن ان يترك الولي الصلاة فقال رضي
الله عنه لا يمكن ان يترك الولي الصلاة وكيف يمكنه ذلك
وهو دائما يكون بمشهدين فذاته تكون بمشهد مشاهدة النبي

صلى الله عليه وسلم وروحه تكوى بشهاب مشاهدة الحق
سبحانه وكل من المشاهدتين يامره بالصلاة وغيرها من اسرار
الشريعة قال رضي الله عنه مرة اخرى كيف يترك الولي الصلاة
والخير الذى حصل له فى المشاهدتين انما حصل له بعد سقى
ذاته باسرار ذات النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تسقى ذات
باسرار الذات الشريفة ولا تفعل ما تفعله الذات الشريفة هذا
لا يكون ثم سمعت منه رضي الله عنه فى مشاهدة الحق سبحانه
والنظر بنور الله تعالى وارتفاع الزمان فى ذلك النظر وانه لا ماضى
ولا حال ولا مستقبل وكيف مشاهدة الذات العليه وصفاته
السنيه وكيف تسقى الذات بانوار الاسماء وانقسام مراتب الولاية
على عدد الاسماء فى فتح الروح الى اسرار اخر ما لا تحيط به العبارة ولا تقيد فيه الاشارة والله اعلم
وسمعته رضي الله عنه يقول اذا اراد الله تعالى رحمة عبده ونقله
من حالة الحجب الى حالة الفتح حصل للاولياء رضي الله عنهم خوف
عليه لا نهم لا يدرون هل يموت بالفتح لكونه لا يطيقه او لا
يموت واذا لم يمت فهل يسلب عقله او يبقى عليه عقله ومعنى
سلب العقل ان يذهب العقل مع الامور العظام التى يشاهدها
وينقطع عن الذات بالكلية بحيث لا يرجع لها ومعنى عدم سلبه
ان يذهب شئ من نوره مع ما شاهد ويبقى شئ منه مع الذات يحفظ
عليها اكلها وشربها وكيف تلبس ثوبها وكيف تنظر فى مصالحها
قال رضي الله عنه ولا يعلم احد كيف يصير امر هذا الذى اراد الله
رحمته الا شيخه قلت ولم يقع لذى الفتح الخروج عن مركزه حتى
يموت او يزول عقله فقال رضي الله عنه اذا فتح على العبد شاهد
ما لا يطيق من عالم الملائكة والجن والشياطين ورأى من الصور
الفظيعة وسمع من الاصوات الهائلة ما ينفلق به كبده قال رضي
الله عنه وكم رجل يكون فى حانوته يبيع فيها فيفتح الله عليه

فيرى مالا يطيق فيموت من حينه فيظن الناس انه مات فجأة من
غير سبب وهو انما مات من الفتح وذكرلنا رضي الله عنه مرة انه بينما
هو يمشي في سوق العطارين بفاس فنظر الى رجل في حانوته يبيع
الحناء ففتح الله عليه فصعق بحينه ومات فظن الناس انه مات
فجأة وهو مات على الولاية فقلت واي فرق بين من ذهب عقله
لاجل الفتح وبين من ذهب عقله لغير ذلك فقال رضي الله عنه
اما الذي ذهب عقله لاجل الفتح فانه في الحقيقة لم يذهب له عقل
وانما هو غائب في مشاهدة الحق سبحانه فهو سابح في بحورها
دائما الا ان الله تعالى قطع عقله عن ذاته لحكمة ارادها واما الذي
ذهب عقله لغير ذلك فسببه ان الله تعالى اذا اراد هلاك احد
وزال عقله نسال الله السلامة قطع روحه عن مشاهدة ذاته
العلية ساعة او ساعتين وجعلها تشاهد افعال الذات التي هي
فيها فلا تكمل الروح ساعة في مشاهدة تلك الافعال القبيحة
الصادرة من العبد المذنب حتى يحصل لها قبض فيزول العقل
بسبب ذلك نسال الله السلامة فاذا دام ذلك القبض على الروح
دام زوال العقل وان لم يدم القبض وحصل للروح بسط وجمال
ورجعت الى مشاهدة الذات العلية كما كانت قبل القطع رجع
العقل لصاحبه فقلت فان العقل قد يزول للصغير الذي لم يبلغ
فكيف تكون افعاله قبيحة ام كيف يكون مذنبا فقال رضي الله عنه
احوال العبد كلها ذنوب عند الروح لان مشاهدتها وما تعرفه
من الحق سبحانه تقتضي ان يكون العبد ساجدا لله دائما ولا يرفع
راسه ابدا ولا عندها في ذلك صغير ولا كبير قال رضي الله
عنه والمفتوح عليه اذا جلس اليه شخصان زال عقلهما واحدهما
ولي والآخر غير ولي وجعلا يتكلمان فانه يميز الولي منهما لكلامه
لانه وان كان لا يدري ما يقول الا انه قد تبدو منه اسرار من

اسرار الحق سبحانه يعرفها اربابها عند سماعها بخلاف غير الولى
منهما فانه لا يسمع منه شيئ من ذلك ابدا ويميز الولى منهما ايضا
بامر آخر وهو ان يرى روحه منبسطة ابدا ذات فرح وسرور
ويرى روح الآخر فيه على هيئة الرجل المنقبض المنكمش راسه
الذى يتفكر فى امر نزل به واغمه واهمه قال رضى الله عنه والذين
زال عقلهم بغير الفتح فى حكم البهائم الا ان الله تعالى يرحمهم بدخول
جنته لان الصورة الآدمية التى هم عليها تشفع فيهم فكانهم
بهائم صوروا بصورة بنى آدم فرحمهم الله تعالى بسبب الصورة
الكريمة التى صور عليها انبياءه ورسله واصفياءه عليهم الصلاة
والسلام حتى لا يكونوا ترابا مثل البهائم قال رضى الله عنه والذين
زال عقلهم بالفتح هم من الاولياء الكرام الا انه لا يكون لهم تصرف
مع الاولياء ولا يكون منهم غوث ولا قطب حتى يريد الله تعالى
خروج الدجال فيجعل التصرف فى يد هذه الطائفة ويكون الغوث
منهم فيفسد الحال ويختل النظام وفى مدة تصرفهم يخرج الدجال
فاذا انقطع امره انقطعت دولتهم ثم لا تعود لهم ابدا والله اعلم
وسمعته رضى الله عنه يقول سالنى الشيخ سيدى عبد الله البرناوى
اتعلم شيئا فى الدنيا هو احسن من دخول الجنة وشيئا فى الدنيا هو
اقبح من دخول جهنم فقلت اعرف ما سالت عنه اما الذى هو
افضل واعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود صلى الله
عليه وسلم فى اليقظة فيراه الولى اليوم كما رآه الصحابة رضى الله
عنهم فهى افضل من الجنة واما الذى هو اقبح من جهنم فهو السلب
بعد الفتح قال رضى الله عنه فما شعرت بالشيخ سيدى عبد الله
حتى اكب على رجلى وجعل يقبلها تقبيلا كثيرا فقلت له ما السبب
فى هذا التقبيل فقال لقد سالت عنها نحوا من ثمانين شيخا فما
اجاب فيها واحد نحو جوابك فقلت فان سيدى عبد الله كان

يعرف

يعرف الجواب وانما اراد امتحان فطنة من يسأله بهذا السؤال فقال
نعم كان يعرفه وانما اراد الاختبار كما ذكرت قلت وانما كانت رؤية
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم افضل من الجنة لما سبق بيانه
ثم قلت للشيخ رضي الله عنه ولم كان السلب اقبح من جهنم فقال
رضي الله عنه ذلك بالنسبة لذي الفتح الدائم بمعنى انه يرى السلب
المزيل لفتحه الذي هو عليه اقبح من جهنم لا بالنسبة للمسلوب
بعد السلب والعياذ بالله فان قلبه بعد السلب يرجع كالحجر
لا يبصر ولا يعقل شيئا مما سبق حتى كأنه لم يشاهد شيئا اصلا ويجد
ذاته الخبيثة راحة وخفة من ثقل الفتح عليها قال رضي الله عنه
وذو الامارة في الدنيا اذا سلبها احسن حالا من هذا المسلوب
والعياذ بالله فان ذا الامارة يجري على فكره جميع ما هو عليه من النعم
فهو يتلذذ ولو بالتذكر فيها بخلاف المسلوب فقد انطمس قلبه
وانكسفت شمس بصيرته والله اعلم وسمعته رضي الله عنه
يقول ان سيدي محمد البنا وكان من اهل طرابلس بقي يطلب من يدله
على الله عز وجل اربعة عشر عاما وما ترك موضعا الا اتاه فدخل
مصر والشام والعراق وقسطنطينية وبلاد الهند وما سمع بولي
الا اتاه فيأتي من هو مشهور في الناس بالولاية مذكور بها فلا يجد
عنده شيئا وذلك انه سمع الحق من ابيه وكان من العارفين ولما لم
يقع له فتح على يديه جعل يطلب عارفا يدله على الله عز وجل فجعل
يطلب على بصيرة ولا يكترث بشيوع ولا شهرة فذكر انه لقي رجلا
بالعراق وقد اجتمع عليه من الخلائق ما لا يحصي عدده وكانت له
زاوية للوارد والصادر يطعم فيها كل يوم ما يقرب من مائتي مد
من الطعام من كثرة الواردين واتخذ في زاويته خلوة للعبادة
والركوع والسجود بحيث انه لا يخرج منها الا في الثلاثة الايام
الاخيرة من الشهر واما في السبعة والعشرين يوما فليس الا الركوع

والسجود وفى الخلوة طاقة يمد له منها النقيب الطعام الذى ياكله وجعلوا فى الخلوة موضعا للخلاء والطهارة واقاموا له امر الخلوة فى كل ما يحتاجه حتى لا يحوجه الى الخروج فيلزم خلوته المدة المذكورة فاذا تمت خرج فى الايام الثلاثة المذكورة فيتكلم مع الواردين فحوايجهم الاسبق فالاسبق حتى يفرغ منهم جميعا فاذا تمت الثلاثة الايام واستهل الشهر رجع لخلوته فاقام فيها سبعة وعشرين يوما هذه عادته فى دهره فلما سمعت به رحلت اليه وصبرت حتى خرج وتكلم مع من سبقنى فلما بلغتنى النوبة قال لى ما جاءك قلت يا سيدى اسالك عن مسئلتين احداهما تتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم والاخرى برب العزة سبحانه فقال هاتهما فقلت قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاثبتت الاية الذنب المتقدم والذنب المتاخر وصرحت بان المغفرة تعمهما معا وتشملهما جميعا مع ان النبى صلى الله عليه وسلم معصوم قبل النبوة وبعدها فلا ذنب له اصلا فكيف يفهم هذا مع الاية الشريفة فقال ان الذنوب منها ما هو ثقيل ومنها ما هو خفيف فالثقيل كالزنا وشرب الخمر ونحوهما لا يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم والخفيف مثل الميل الى بعض نسائه وتفضيل بعضهن على بعض فى القسمة ونحو ذلك من الذنوب الخفيفة فهى التى تصدر منه وهى المتقدمة والمتاخرة المغفورة فى الاية قال فعلمت انه جاهل بمقام النبى صلى الله عليه وسلم والعارف لا يكون جاهلا بشرف النبى صلى الله عليه وسلم ولا بعصمته من الصغائر والكبائر وذلك لان الذنوب لا تصدر الا من المحجوبين اهل الغفلة والظلام ولا تصدر من العارفين اهل القرب والمشاهدة فكيف بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف بسيد الوجود عليه افضل الصلاة وازكى التسليم ثم قال واما المسئلة الثانية

فقلت فان الله تعالى يقول وهو معكم اينما كنتم فما معنى هذه المعية
فقال المراد بهم المؤمنون والله تعالى فى قلوب المؤمنين يبتهلون
اليه ويذكرونه دائما ويعبدونه فعلمت انه جاهل بربه عز وجل
وانه من المبطلين قال وذهبت لرجل فى ناحية الهند وقد ذكر لى
من عبادته وزهده ما يتجاوز الحد فبلغت اليه فوجدته كما
وصفوا فى العبادة والزهد حتى انه بلغ من امره ان هنالك طعاما
يشبه البلوط عندنا فيأكل واحدة منه بين الليل والنهار فيطوى
ليله ونهاره ويتقوت بقدر بلوطة لا زائد فسألته عن الله عز وجل
فوجدته فى غاية الجهل به فعلمت انه يبنى على غير اساس قال
وكنت ذات يوم فى ساحل بعض البحور وذلك البحر مجاور لمدينة
من المدن وقد جاءت السفن بالسلع فخرج المعاشون ليحملوا
السلع على ظهورهم الى المدينة ويأخذوا الاجرة فجعلت انظر اليهم
فوجدتهم يحملون من السلع ما هو خارج عن المعتاد مثل الفلاحين
بمصر وزرزاية بفاس فجعلت اتعجب من ذلك اذ اقبل الى واحد
منهم وكان من العارفين بالله عز وجل ولم اشعر به فقال مكاشفا
لما فى ضميرى فقال لا تتعجب من هذا ولكن تعجب من قدرة الله
التى ستظهر فىّ فذهب يحمله فلم ينتشب ان رجع ثم استلقى ومد
يديه ورجليه وخرجت روحه رضى الله عنه فاشار الى ان
القوى فى الحقيقة هو الله تعالى الذى هو مالك القوى والقدر
يعطيها سبحانه لمن شاء وينزعها ممن شاء فمن قدرته يحق التعجب
ولعظيم سطوته يجب الاستعظام فتبارك الله احسن الخالقين
قال ولقيت جماعة من العارفين وكل منهم يدلنى على الرجوع لبلادى
وان حاجتى فيها فرجعت لبلادى قال شيخنا رضى الله عنه
فلقى ببلاده من دله على ان حاجته بفاس فاعمل الرحلة وجاء
مع الركب فلقى من فتح الله على يده واقام بمدينة فاس ستة اشهر

وصار من العارفين واهل الديوان رضي الله عنهم فقلت للشيخ رضي
الله عنه وقد فتح عليه في حياتكم رضي الله عنكم والولي لا يفتح
عليه في حياة ابيه لان الفتح لا ينزل الا على سر الذات فاذا انتقل
سر الذات الى الولد وقع له الفتح وما دام الشيخ حيا فان سر ذاته
لا ينتقل لاحد فلا يقع الفتح واذا وقع فانه لا يثبت بل يزول سريعا
وهذا الرجل فتح عليه في حياتكم رضي الله عنكم ودام فتحه فقال
رضي الله عنه ما هو ولدي وانما هو متاع الناس للناس فقلت ومن
الناس الذين كان المتاع لهم قبله فقال رضي الله عنه رجل بناحية
مراكش كان من العارفين بالله عز وجل فمات فبقي سره عندي فلما
جاء هذا الرجل البستة قميصا كان علي واعطيته ذلك السر فقلت
فان السر المذكور لا يثبت لهذا الرجل الا بعد انتقال سر ذات الاول
اليه وهو لم يره فكيف دام فتحه فقال رضي الله عنه يمكن الله
تعالى من اودع عنده السر من اسرار الذات الاولى فيعطيها الثاني
ثم يمكنه من السر والفتح ومع ذلك فلا ينسب اليه بالولادة انما
ينسب اليه بالولادة من اخذ اسرار ذاته من بعده فقلت والرجل
الموروث بناحية مراكش ووارثه من اهل طرابلس وهل انقطع
الخير من اهل المغرب حتى يتخطاهم هذا الرجل الى السر وياخذه
فقال رضي الله عنه لا ترث ذات ذاتا الا اذا كانت مشاكلة لها
في العقل والطبع والدم وقد كان سيدي فلان يقول لو كانت
بالقرب لكانت لولدي ولو كانت بالقوة لكانت للسلطان ولو كانت
بالخدمة لكانت لفلان خديمي ولكنها بموافقة العقل للعقل والطبع
للطبع والدم للدم وهي امور لا تدرك بالكسب ولا بالعمل وكان
الرجل كان مشاكلا لموروثه في هذه الامور والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه يقول اذا سمعت العارف بالله يقول فلان هو
وارثي هو صاحب سري فمليكم به بعدي فالغالب انه لا يكون

كذلك

كذلك لان هذه الاسرار الربانية لا تجيئ الا من الوجه الذى لا يظنه
الناس لان الاشياخ ادركوها والناس لا يظنونهم اهلا لها فكذلك
تخرج منهم ثم حكى حكاية النفر الثمانية الذين كانوا يخدمون شيخا
لهم دارياً بالله عز وجل واستمر على الخدمة سبعة وعجز الثامن
فصار لا يقدر على شيئ ايما يوجهه لاجابت بنافعة وادمن على
الخدمة ثلاثة ومضوا على ذلك وزادوا على الاربعة بان اهدى
كل واحد منهم بنته للشيخ وكانت بنت احدهم بارعة فى الجمال
فائقة الحسن والكمال فصار الشيخ يباشره ويكلمه ويقدمه على
الجميع فى الكلام وفى كل شيئ فلم يشك الناس انه وارثه فلما
قربت وفاة الشيخ وحضر اصحابه وكل من انتسب اليه نادى
على العاجز السابق فقال له انت صاحب السر وفاضت نفس
الشيخ وفارق الدنيا قال رحمة الله ونظره الى المرموق بعين
الاحتقار اكثر من رحمته ونظره الى المرموق فى اعين الناس
بعين الجلال فلذا كان اهل الاحتقار احق بالاسرار والله اعلم
وسمعته رضى الله عنه يقول كان عند ولى من اولياء الله تعالى
مريدان احدهما من عامة الناس والآخر شريف وكلاهما غير
مفتوح عليه فقال الولى للمريد العامى اذهب الى الشريف وقل
له يبيع لك السر والفتح فذهب اليه ذلك العامى فقال له بع لى
الفتح والسر بمائة دينار فقال لا فقال العامى ازيدك مائة دينار
اخرى فقال الشريف لا فقال العامى ازيدك الخادم التى لى فقال
الشريف لا فقال العامى ازيدك ابنتى ازوجكها فقال الشريف
لا فقال العامى ازيدك دارى فقال الشريف الآن قبلت فقال
العامى وانا قبلت وكلاهما محجوب لا يرى شيئا من اسرار الفتح
وانما فعل العامى ذلك مجرد تصديقه كلام الشيخ فقال العامى
للشريف ناتى لك بالشهود فقال الشريف نعم فاتى العامى بالشهود

فقص عليهم ما اعطاه الشريف وقال اشهدوا بما لى به وقال الشريف
وانا فاشهد واعلى بانى اعطيته الفتح والسر فرجعت البنت الشريف
وملك الدار والخادم واخذ المائتى دينار وبات بخير ليلة فى عقله
مامرت عليه ليلة فى دهره اطيب من تلك الليلة واما العامى فبات
يقطع الليل بدفع الوساوس التى تجيب له ظنه فى امر الشيخ فما
مرت عليه ليلة فى دهره اظلم منها فلما انفجر الفجر جاء الفتح والسر
الى الشريف حتى شاهده فرأى فيه مالا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فلما نظره فى ذلك وامعن
فيه غاية سلب والعياذ بالله فذهب الفتح الى ذلك العامى
فرجع ولياً من اولياء الله عز وجل واما الشريف البائع فانه ما انتفع
بشئ مما اخذه وذلك لانه لما وقع له السلب زال عقله فلم يبق فى
لسانه الا قوله اين انت خذ الدار خذ الخادم خذ الدنانير خذ ابنتك
ونزيدك امى يخاطب ذلك العامى كانه يقول له اين انت اردد عليك
جميع ما اعطيتنى ونزيدك عليه امى وطال عمره بعد هذه القصة
نحوا من ستين سنة وهو فى ذلك مسلوب العقل نسال الله
السلامة فقيل يا سيدى انه ذهب لا دنيا ولا اخرى فقال رضى
الله عنه ومن لك بهذا فانه السر وشئ آخر لا نقوله وسمعته
رضى الله عنه يقول اعرف رجلا مسلوب العقل لا شغل له الا
انه يرمى الحجارة الى الهواء ويلقى لها راسه حتى تدمغه واعرفه على
هذه الحالة مدة طويلة ولا اعرف لاى علة يفعل ذلك حتى
عرفت السبب فى ذلك وذلك ان هذا الرجل كان يخدم السباط
البالى وكانت حانوته فى عقبة الرصيف فلقيه ولى من اولياء
الله تعالى فقال يا ولدى انى اريد منك ان تشترى لنا قلنسوة
جديدة فخذ هذه الدراهم واشتر لى بها ما قلت لك وهو لا يعرفه
فاخذ ذلك الرجل الدراهم والولى ينتظره فاشترى الرجل قلنسوة

وجاء بها الى ذلك الولى فسولت له نفسه فى الطريق وقالت
له هذا الرجل الذى اعطاك الدراهم لتشترى له بها قلنسوة
احمق كيف آمنك وهو لا يعرفك فالبسها ولا تذهب اليه قال
فلبسها وازال قلنسوة بالية كانت على راسه فباعها بنحو الموزونتين
وذهب الى حانوته للخدمة فلما علم الولى انه خان وغدر تركه الى
الغد فجاءه الى حانوته واستغفله فقلع القلنسوة من راس ذلك
الخائن وقال له انظر الى ما فاتك من الله عز وجل وفر من بين يديه
فنظر اليه ذلك الخائن فوقع له الفتح فرأى ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فلما رد بصره الى حانوته وقع له
السلب والعياذ بالله فعلم ان الآفة جاءته من راسه فجعل يفعل
ذلك الفعل براسه وقد زال عقله وبقى كذلك على هذا الفعل
الى الآن يعنى انه فى قيد الحياة وقد اراه لى الشيخ رضى الله عنه
مرة فقال هذا هو صاحب الحكاية فرايت الصفة التى قال الشيخ
رضى الله عنه والله اعلم وسالته رضى الله عنه عن السر الذى
يشير اليه القوم فقال ضاربا مثلا الذهب يكون عند الملك ولا
يعطيه لكل احد وانما يعطيه لاهل الخصوصية من رعيته
قال فكذلك السر لا يعطيه الله تعالى الا للمصطفين من خلقه فقلت
وهل هو الفتح فقال رضى الله عنه الفتح زائد عليه يقوى معه السر
فان المفتوح عليه يفتح عليه فى بصره فيرى به السموات والارضين وفى سمعه
فيسمع به الطير اذا خفق بجناحه فى جو السماء والنملة اذا حركت
رجلها من مسيرة عام ويفتح له فى شمه فيشم رائحة التراب
وكل تراب له رائحة ورائحة الماء ورائحة الذوات ورائحة الارواح
ورائحة الذوات الحية ورائحة الذوات الميتة وروائح الاشياء
كلها ويفتح له فى ذوقه فيذوق من غير ملاقاة طعوم الاشياء
المتقدمة وكذا يفتح له فى لمسه ويفتح له فى سمعه ايضا فلا تختلط

عليه الاصوات ولا يشغله سمع عن سمع حتى انه يفهم ويسمع
ما يقول فى آن واحد الالف من الناس فاذا كان السر المتقدم مع الفتح
اجتمع قوتان وجمدان واذا كان السر وحده مع الحجاب فهو سر
ولكن صاحبه لا يقوى قوة المفتوح عليه فقلت واى شيء
يحصل فى الذات اذا حصل السر فيها من غير فتح فقال رضى الله
عنه يحصل فيها شبه اوصاف الحق سبحانه فترى الذات
مطبوعة على الحق لا تفعل الا الحق ولا تتكلم الا بالحق مع الاتصاف
بعلى الصفات ومكارم الاخلاق من عفو وحلم وتجاوز وحياء
وكرم وغير ذلك من الاخلاق الزكية والخلال المرضية فاذا زاد
الفتح على هذا السر حصل ما سبق من القوتين والله اعلم وسمعته
رضى الله عنه يقول ان الفتح اذا نزل على الذات قبل نور القوة حصل
فى الذات خلل وضعف يفضى الى ما سبق من موت او زوال العقل
واذا نزل على الذات نور القوة اولا ثم نزل بعده نور الفتح لم تتضرر
الذات بالفتح فقلت وما هذه القوة فقال رضى الله عنه وقد نظر
الى عشبة ضعيفة لو امد الله هذه العشبة الضعيفة بالقوة
التى نتكلم عليها لاطاقت حمل ذلك الجبل يشير الى جبل كان امامنا
فالموفق يطلب من الله تعالى ان ينزل عليه نور القوة قبل نزول
نور الفتح عليه والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول انى
دخلت على سيدى منصور فى بداية امرى وكان غزليا اى
يتعاطى صنعة نسج الكتان فوجدته يبكى فقلت له ما يبكيك
فقال اى شيء نصلح له انى اشاهد الان فعل الله تعالى فى حالة
النسج فكنت اظن انى اصنع شيئا فاذا غيرى هو الذى يصنعه
قال رضى الله عنه ولم ادر ما اقول له ولو كان اليوم لعرفت
ما اقول له فقلت فاى شيء كنت تقول له فقال رضى الله عنه
اقول له اطلب الله فى الزيادة فانك الى الآن فى مشاهدة الحوادث

لان افعاله تعالى من جملة مخلوقاته الحادثة فقلت وهل تزق سيدة
منصور من هذه الحالة فقال رضي الله عنه هليامات رحمه الله
والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول لو علم الناس اوصاف
سيدى عمر يعني شجينه لمازار واغيره من الاحياء كسيدى فلان
وسيدى فلان فانه كانت فيه اربعة اوصاف لا تكاد توجد
في غيره الاول انه لا يتكلم في احد ولا تراه قط يذكر احدا بسوء
لا في سر ولا في علانية الثاني العزلة فانه منقطع طول عمره
في سيدى علي بن حرزهم فهو على قراءة دلائل الخيرات او تسبيحه
دائما لا يفتر ولا يذهب لداره الا بقرب المغرب واذا كثر الزوار
خرج عن الروضة الى السدرة المعروفة التي بازاء باب الروضة فينقطع
عن الخلق ويقبل على شأنه الثالث ترك الفضول ولا ينسب لنفسه
قليلا او كثيرا حتى ان كل من يزور سيدى علي بن حرزهم ولاسيما
من يبيت كل ليلة جمعة فيه فانهم لا يظنون فيه شيئا من السر
اصلا واذا جاء والزيارة سيدى علي وكان حاضرا وطلبوا الفاتحة
فانما يطلبونها من سيدى علي ويوافقهم هو على ذلك ولا يطلبون
قط منه فاتحة ولا غيرها الرابع الزهد في الدنيا فاني رايته منذ
خالطته يطلع لسيدى علي عند الصبح ولا ياتي معه بشئ حتى
بطرف خبز واذا جاء للسيد علي شئ اكل منه ما تيسر والا ظل
يومه طاويا وكنت اراه اذا وجد طرفا من خبز ياخذ شيئا من زيت
السيد ويجعل عليه شيئا من الملح ويجوزبه فان لم يجد زيتا حله
في الماء واكله والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان في
الاولياء خصلة لو علمها الناس وعلموا ما فيها من الراحة لبعضوا
كل ما عندهم وهي ان الولي ما لم تنزل به النازلة لا يهتم لها ولا يتكدر
خاله من اجلها ولو ظن او تيقن انها تنزل به من قريب لساعة
او اقل فانها في نظره بمنزلة لا شعور له بها اصلا فتراه يشاهد

ما ينزل به في المستقبل وهو ياكل ويشرب ويضحك ويأتي امرأته بمنزلة الجاهل الذي لا بصيرة له اصلا ولا علم عنده بما سيكون راسا وذلك انهم رضي الله عنهم يعلمون ان تصرفه تعالى لا يحيط به احد فينفذ تعالى في تصرفه ما لا يظنونه كائنا ويقطع تعالى من تصرفه ما يرونه واقعا فهم يشاهدون تصرفه المطلق الذي لا تقييد فيه بوجه من الوجوه وفي هذه الخصلة راحة لا تكيف واذا كان هذا حال الولي المفتوح عليه المشاهد للامور ووقوعها فكيف ينبغي ان يكون حال المحجوب فمن الواجب عليه ان يسلك بنفسه مسالك الولي فيطرح الهموم عن قلبه ويستريح من هم التدبير وسوء التقدير مع عدم الفائدة في تدبيره والله اعلم وسألته رضي الله عنه عن الولي الذي تكون له ثلثمائة وستة وستون ذاتا فقال رضي الله عنه هو الوارث الكامل يعني الغوث فقط فقلت وموروثه صلى الله عليه وسلم له مائة الف واربعة وعشرون الف ذات فما بال الغوث لم يرثها كلها فقال رضي الله عنه لا يطيق احد ما يطيق النبي صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه ومعنى الوراثة في الغوث انه لا ذات شربت من ذات النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ذاته والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان اهل الفتح الكبير يغفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تاخر وحسناتهم مقبولة وسيئاتهم كلها ترجع حسنات اذا فعلوها قبل الفتح واما بعد الفتح فانها لا تصدر منهم معصية لانها لا تصدر الا من المحجوبين وهم رضي الله عنهم في مشاهدة الحق دائما ولاجل ان المشاهدة تمنع من المعصية كان الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والله اعلم وسألته رضي الله عنه عن صلاة العارفين رضي الله عنهم كيف هي فقال رضي الله عنه اذا قال الله اكبر وصلى بهذه

الذات

الذات الظاهرة صلت معه ذات الروح في ذاته تركع بركوعه
وتسجد بسجوده قال رضي الله عنه فجعلت انظر اليهما والى الذات
الظاهرة ايهما اقرب الى الارض فاردت ان احقق ايهما اقرب الى
الارض فنهاني الحافظ عن ذلك وصلاة الروح مقبولة على كل
حال فقلت لانها لا ترى فلا يدخلها رياء فقال رضي الله عنه
لا بل لكونها مقاما من الحق الى الحق وصلاة الظاهر انما شرعت
لعجز اكثر الخلق من صلاة الروح والعارفون رضي الله عنهم
وان كانوا يصلون بارواحهم فانهم يصلون بذواتهم ايضا لجري
العادة بذلك وحفظا لظاهر الشريعة ثم ضرب مثالا بمن يخدم
صنعة الدرازة ليجعلها وسيلة الى تعلم صنعة الحرارة ثم فتح الله
عليه في صنعة الحرير بلا شيخ ولا تعلم اصلا فبقي مغمورا في
جملة الدرازين ونفرض لهم زيا وعوائد واموراً يعرفون بها
ويجري على ظواهرهم فترك هذا الرجل المفتوح عليه في صنعة
الحرير زيهم فسالوه عن ذلك فقال لاني رجعت حراراً وسبق
في علم الله ان فتح عليه فيه وزاد عليهم بمعرفته لا يظهر الا يوم
القيامة فمن اللائق بهذا الرجل ان يتبع عادة الدرازين ويتحلى
زيهم ويبقى على حالته الاولى والله اعلم وسالته رضي الله عنه
عن فلان من اهل القرن العاشر فقال رضي الله عنه انه فتح عليه
ووقف به الحال فرجع ساحرا من جملة السحرة فقلت وكيف
ذلك فقال رضي الله عنه اول ما يفتح على العبد يرى معاصي
العباد واسبابها وكيف يقعون فيها والضبابة الظلمانية التي
تستمد منها ذوات اهل الظلام والعياذ بالله وغير هذه الامور
فاذا اراد الله بصاحب الفتح شرا ركن عقله اليها وادام الفكر فيها
فان وقف به الفكر فيها ساعة واحدة انقطع والعياذ بالله فلا
يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح في الذي سبق

هو جنس الشياطين وجعل فتنتهم لبني آدم فيصيرون منهم بعده وفيهم
الشياطين واحدا فيصيرون معه يدا بيد فيسعى على يده العسكر
ويرجع من جملة السحرة واذا اراد الله بصاحب الفتح خيرا فتح
عليه ما يشغل فكره عما سبق وهكذا لا يزال يرقيه في كل لحظة
الى ما لا نهاية والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول شأن
الفتح عجيب وامره كله غريب وكم من عبد لله محجوب عند الله
يمنعه الله سبحانه من الفتح رحمة به وذلك ان في الفتح امورا
اذا شاهدها المفتوح عليه قبل ان تطيب ذاته وان تصلح بالكلية
يرجع بها نصرانيا وفيه امور اذا شاهدها يرجع بها يهوديا وكم
من رجل لا يفتح عليه الا عند خروج روحه وكم من رجل يموت
غير مفتوح عليه ويبعثه الله تعالى على حالة هي اكمل واكبر من
المفتوح عليه وقال مرة لبعض اصحابه هذا الجمل الكبير الذي
خزنوه في هذا التابوت يشير الى المعنى السابق وسمعته رضي
الله عنه يقول لهذا الحبيب ان لك حسنات عظيمة جسيمة اذا
رايتها غبطتك فيها ومرة قال له هل لك ان تقسم معي حسناتك
فاني لا ازال اتعجب منها ومن عظمها وكان رضي الله عنه يقول
انه يزال عن المفتوح حين الفتح شيء شبه السلخ الاسود المظلم
المحيط بالذات كلها فاذا زال ذلك السلخ صب على الذات نور
الفتح وهو كبكبة عظيمة ياتي بها من شاء الله من الملائكة وقوم
اخرون يشتغلون بزوال السلخ والملائكة حاملة للسرور بنفس
زوال السلخ تضع الملائكة النور في الذات وفي وقت زوال السلخ
تدهش الخلائق على المفتوح عليه بجملتهم بعاقبة امره من موت
او زوال عقل او سلامة فلا يزالون يتضرعون الى الله تعالى
في ان يرزقه القوة والتاييد والتوفيق لحمل ما طوقه وكان رضي
الله عنه يقول ان نور الفتح يكون في ذات الشيخ فاذا اقتدى به

واراد

وارثه في آخر حياته اخذه بعد انفصال الشيخ عن هذه الدار وان
لم يقدر عليه بقي امانة عند سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة
والسلام الى ان يطيقه ذات المريد فيزال عنه السلخ ويأخذ السر
وكان رضي الله عنه يقول ان سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة
والسلام يجالس المفتوح عليه قبل الفتح ثلاثة ايام يؤنسه محبة
في النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده للطريق الى غير ذلك من الاسرار
التي ذكرها رضي الله عنه في شأن الفتح واياك ان تظن ان في ذكر
سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام هنا ايحاشا
كما يقوله ساداتنا الفقهاء رضي الله عنهم ويشددون النكير على من
يزعم انه يشاهد الملائكة فقد رد ذلك عليهم طائفة من الفقهاء
اخرى رضي الله عنهم بانه لا محال فيه ولا مزاحمة فيه للجانب العلي
الشريف البهي وايدوه بحكاية الصحابي الكبير الجليل الشهير سيدي
عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه وقوله انه كان يشاهد الملائكة
ويسلمون عليه فلما اكتوى انقطعوا عنه ومما عده الشيخ الشعراني
رحمه الله في كتابه المنن منة عظيمة ان جمعه الله مع من يشاهد
جبريل ويكلمه ولو سكت من لا يعرف عن الكلام فيما لا يحسنه
لخرج الى الناس علم عظيم وخير كثير وليت شعري ما يقول من
يمنع ذلك في الاخبار الصحيحة المتفق عليها التي اخرجها البخاري
وغيره المصرحة بوقوع ذلك لغير هذه الامة فكيف يمنع ذلك
في حق هذه الامة الشريفة وانظر اخبار بني اسرائيل في صحيح
البخاري وغيره والله اعلم ثم آن لنا ان نذكر بعض الامور الباقية
النورانية التي يشاهدها صاحب الفتح الكبير مثل البرزخ والجنة
والنار والصراط والحوض والارواح والملائكة والحفظة والاولياء
وغير ذلك فنقول الباب العاشر في البرزخ وصفته وكيفية
سيرالارواح فيه سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول في البرزخ

انه على صورة مخلوق ضيق من اسفله ثم ما دام يطلع وهو يتسع
فلما بلغ منتهاه جعلت قبة على راسه مثل قبة الفنار فينبغى ان
يمثل بالمهراس الكبير من العود فان اسفله ضيق ثم جعل يتسع
شيئا فشيئا الى اعلاه فاذا جعلت قبة فنار على راسه كان مثل البرزخ
فى الشكل اما فى القدر والعظم فان البرزخ اصله فى السماء الدنيا
ولم يخرج منها الى ما يلينا ثم جعل يتصاعد عاليا حتى خرق السماء
الثانية ثم تصاعد حتى خرق الثالثة ثم تصاعد حتى خرق الرابعة
ثم تصاعد حتى خرق الخامسة ثم تصاعد حتى خرق السادسة
ثم تصاعد حتى خرق السابعة ثم تصاعد الى ما لا يحصى وقد
جعلت قبته عليه هذا طوله قال رضى الله عنه وهو البيت
المعمور فقلت والبيت المعمور انما هو فى السماء السابعة والبرزخ
مبدوه من الاولى الى ما فوق السابعة الى ما لا يحصى ثم فى كل
سماء قال رضى الله عنه انما اقتصروا على ذكر ما فوق السابعة
لان فيه القبة المذكورة وهى اشرف ما فيه اذ ليس فيها الا روح
سيد الاولين والاخرين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم
ومن اكرمه الله بكرامته كازواجه الطاهرات وبناته وذريته
الذين كانوا فى زمانه وكل من عمل بالحق بعده من ذريته الى يوم
القيامة وفيها ايضا ارواح الخلفاء الاربعة وفيها ايضا ارواح
الشهداء الذين ماتوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه
وبذلوا نفوسهم ليحيى صلى الله عليه وسلم ويبقى ولهم قوة وجهد
لا يوجد فى غيرهم اثابة لهم على حسن صنيعهم رضى الله عنهم
وفى القبة ايضا ارواح ورثته صلى الله عليه وسلم الكاملين من
اولياء الله تعالى كالغوث والاقطاب رضى الله عنهم اجمعين
فاشرف ما فى البرزخ القبة المذكورة فلذا اقتصر عليها من اقتصر
ثم رايت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر فى شرح البخارى ان فى كل

سماء

سماء بيتا معمورا فانظروه فى شرح حديث الاسراء من كتاب الصلاة فقد نقل ذلك عن بعضهم ولا يوجد ذلك فى جميع نسخه بل فى بعضها دون بعض وح فلا اشكال اصلا واما عرض البرزخ فحسبك ان الشمس فى السماء الرابعة لا تدور الا به على هيئة الطائف به فتقطعه فى عام وكله ثقب كما سيأتى فى صفة الجنة ان شاء الله تعالى وفى هذه الثقب الارواح فاما روح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومن اكرمه الله بكرامته ممن سبق ذكره فهى فى القبة قال رضى الله عنه وهذه القبة انقسمت الى سبعة اقسام بعدد اقسام الجنة كل قسم منها يشبه جنة من الجنان السبع قال رضى الله عنه وروحه صلى الله عليه وسلم وان كان محلها فى القبة فهى لا تدوم فيها لان تلك القبة وغيرها من المخلوقات لا تطيق حمل تلك الروح الشريفة لكثرة الاسرار التى فيها وانما يطيق حمل تلك الروح الشريفة ذاته الطاهرة الزكية الزاهرة صلى الله عليه وسلم فلذا كانت روحه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ غير مقيمة فى محل معين لانه لا يطيقها شئ والارواح التى فى البرزخ من السماء الرابعة فصاعدا لها انوار خارقة ومن الثالثة فسافلا فغالبهم محجوب لا نور لارواحهم وهذه الثقب التى فى البرزخ كانت قبل خلق آدم معمورة بالارواح وكان لتلك الارواح انوار ولكنها دون الانوار التى لها بعد مفارقة الاشباح قال رضى الله عنه فلما هبطت روح آدم عليه السلام الى ذاته بقى موضعها خاويا وهكذا كلما هبطت روح بقيت ثقبتها خالية منها فاذا رجعت الروح بعد الموت الى البرزخ لا ترجع الى الموضع الذى كانت فيه بل تستحق موضعا آخر غيره قلت كانه يقول بل تستحق منزلا اعلى اذا كانت مؤمنة واسفل ان كانت كافرة قال رضى الله عنه والثقب الخالية تعمر بمخلوقات من مخلوقات الله تعالى

وكانت الارواح قبل الست بربكم غير عارفة بالعواقب جاهلة
بمراد الله تعالى فيها فلما اراد الله تعالى ان يظهر لها ما سبق
في قضائه وازله امر اسرافيل ان ينفخ في الصور نفخة فجمعت
الارواح وحصل لها من الهول والفزع مثل ما يحصل في نفخة
البعث والقيام او اكثر فلما اجتمعت اسمعها الباري جل وعلا خطابه
الذي لا يكيف وقال الست بربكم فاما اهل السعادة فانهم استجابوا
لربهم مع الفرح والسرور وهنالك ظهرت تفاوتهم في الاستجابة
واختلاف مراتبهم في المشاهدة وتبين الشيخ من المريد وعلم ان
فلانا متصل بفلان وفلان منقطع عنه وظهر ايضا تفاوت
الانبياء عليهم الصلاة والسلام واختلاف اممهم واما اهل
الشقاء والعياذ بالله فانهم سمعوا الخطاب وتكدروا وتغيروا
واجابوا كارهين ثم نفروا نفرة البغل اذا دخل عليه ما يهابه
ذلة وانكسفت انوارهم وظهر المؤمن من الكافر في ذلك الوقت
وعند ذلك عين لكل روح الموضع الذي لها في البرزخ واما قبل
ذلك فكانت الارواح في البرزخ من اراد محلا اقام فيه ثم ينتقل
عنه ان شاء الى غيره قال رضي الله عنه ومن نظر اليوم الى البرزخ
علم الارواح التي خرجت من الاشباح بقوة انوارها او بكثرة
ظلامها وعلم الارواح التي لم تخرج الى الدنيا بقلة ذلك قال رضي
الله عنه وعند فراغ الارواح التي لم تخرج الى الدنيا واستكمال
الخروج اليها حتى لا تبقى روح الا وخرجت تقوم القيامة قلت
فيلزم ان يعلم ارباب هذا الكشف بالساعة ومتى تقوم وقد قال
تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث وقال النبي صلى
الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله فقال رضي الله عنه
انما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لامر ظهر له في الوقت
والا فهو صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة

فى الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والاقطاب السبعة
من امته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بالغوث
فكيف بسيد الاولين والآخرين الذى هو سبب كل شئ ومنه كل
شئ ثم قال رضى الله عنه وكان البرزخ قبل ان ترجع اليه الارواح
من الاشباح قليل الانوار وكان قبل خلق آدم وفى ايامه قليل
الانوار فلما صعدت اليه روح آدم وارواح الانبياء من ذريته
عليهم الصلاة والسلام وارواح الاولياء منهم كثرت انواره على
سبيل التدريج لان الارواح انما صعدت اليه بالتدريج فقلت
فاين ارواح الكفار فى البرزخ بعد خروجها من الاشباح فقال
رضى الله عنه فى اسفل البرزخ واذا نظرت الى مقرهم فيه
وجدته اسود مظلما مثل الفحم والذى سوده حال ساكنيه من
الكفرة وذلك ان الآخرة بعكس الدنيا فالشخص اذا لبس فى الدنيا
ثيابا بيضا فاخرة زاهرة تبقى على حالتها الى ان يدخلها الوسخ من امر
عارض واما فى الآخرة فوسخ الثياب من الذوات فلو فرض ان الكافر
لبس ما عسى ان يفرض من الثياب الحسان الشديدة البياض فانها
مقدار لحظة ترجع تلك الثياب اسود من الفحم قال رضى الله عنه
بل الهواء المحيط بنا انعكس حاله فى الدارين ففى الدنيا اذا كانت
مضيئا اضاء على الاجرام التى فيه من ذوات المؤمنين والكفار واما
فى الآخرة فان الذوات غالبة عليه وحاكمة فيه فذوات المؤمنين
تضيئ عليه ويكتسى من انوار المؤمنين ما يبهر العقول واما ذوات
الكفار فانها تسخمه وتسوده حتى يصير كالفحم الذى لا اسود منه
وبالجملة فالآخرة تظهر فيها احكام الامور الباطنة لانها هى
الحق والآخرة دار حق وبنحو هذا المعنى اجابنى رضى الله عنه
عن العرق فى الآخرة الذى يلجم بعضا ويبلغ الحقو وساقى قوم والى
ركب آخرين مع استواء الارض التى هم فيها واذا وقفت ثلاثة

في ماء في ارض مستوية في الدنيا فانه لا يمكن فيه هذا الاختلاف
فقال رضي الله عنه لا نهم لما تفاوتوا في الباطن في امر الدنيا ظهر
حكمه في الآخرة لانها دار حق ثم قال رضي الله عنه وفي البرزخ
الذي فيه الكفرة عراجين خارجة منه على صفة العمود المستطيل
ثم امتدت تلك العراجين الى ناحية جهنم فيفدو على اهل تلك
العراجين من عذابها ونكالها ورائحتها المنتنة ما يجعلهم بمنزلة
من هو في جهنم بذاته والذين يسكنون تلك العراجين هم المنافقون
ومن غضب الله عليهم من الكفار وفي البرزخ الذي فيه ارواح
السعداء عراجين ايضا خارجة منه مستمدة الى ناحية الجنة
فيفدو على اهلها من نعيم الجنة وخيرها ورائحتها الطيبة ما يجعلهم
بمنزلة من هو في الجنة بذاته والذين يسكنونها هم الشهداء ومن
رحمه الله تعالى وهذه العراجين المذكورة في برزخ الفريقين شيء
من البرزخ ولكنها على هيئة الزائد عليه الخارج منه الذاهب الى
ناحية اخرى غير ناحية البرزخ فقلت فاسفل البرزخ في السماء
الدنيا فاذا كان ارواح الكفار فيه فلا تكون فيه الا اذا فتحت لها
ابواب السماء وقد قال تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء وايضا فان
العلماء ذكروا ان البرزخ للمؤمنين من القبر الى اعلى عليين وللكافرين
من القبر الى سجين وهو اسفل سافلين فقال رضي الله عنه
مرة ان روح الكافر اذا كانت في السماء الدنيا اسفل البرزخ وقد
حجبت بان خيطت عينها واذنها وقلبها وجميع مشاعرها على
سبيل ضرب المثل فهي بمثابة من لم تفتح له ابواب السماء ومرة
اخرى قال ان ارواح الكافرين في البرزخ على قسمين قسم محجوب
لغلبة الظلام وسواد الحال حتى لا ترى الروح ولا تشاهد
قليلا ولا كثيرا وهو حجاب غضب والعياذ بالله وقسم غير محجوب
بل يشاهد ولكن لا يشاهد الا ما اعد له من العذاب وكل من

القسمين

القسمين في سخط الله فهو بمثابة من لم تفتح له باب السماء قلت
ويؤيده اختلاف العلماء في قوله لا تفتح لهم ابواب السماء فقيل
لأدعيتهم بمعنى انها لا تقبل وقيل لارواحهم بمعنى انها لا تفتح
لها كما تفتح لارواح المؤمنين وانظر البيضاوي واختلاف فهم ايضا
في حديث الأسودة التي على يسار آدم وهو في السماء وقوله
في الحديث انها ارواح الكفار من بنيه فحمله بعضهم على ظاهره
واوله آخرون ومرة اخرى قال انا اذا قلنا في البرزخ ان السماء
الدنيا على الصفة السابقة فلسنا نعني انه لا يكون الا من ناحية
رؤسنا بل ويكون من تحت ارجلنا لان السماء محيطة بالارض
وكل سماء محيطة بما في جوفها والعرش محيط بالجميع والبرزخ
مخلوق عظيم وعرض اصله الذي هو اضيقه قدر الارض سبع
مرات فهو اذا قلنا انه فوق رؤسنا فان طائفة منه تكون تحت
ارجلنا فمن قال من العلماء ان ارواحهم تكون في اسفل سافلين
فيعني به الجهة من اسفل البرزخ التي تسامت جهة اسفلنا
قلت فكأنه رضي الله عنه يقول البرزخ خرق السموات السبع
الى اعلى عليين وخرق الارضين السبع الى اسفل سافلين فاسفله
في سجين تحت الارض السابعة واعلاه في عليين فوق السماء
السابعة وقد صرح رضي الله عنه بذلك غير ما مرة وهذا هو الذي
يوافق ان الجنة فوق السموات وجهنم تحت الارضين فاسفله
الى ناحية جهنم وفيه ارواح الكفار والاشقياء الفجار واعلاه
الى ناحية الجنة وفيه ارواح المؤمنين والسعداء والاخيار
وهذا لا ينافي الاختلاف السابق في فتح ابواب السماء فانه
لا يلزم من كون البرزخ على هذه الصفة ان تفتح ابواب السماء
لارواح الكفار وقال رضي الله عنه مرة اخرى ان من الكفار اذا
مات حبست روحه عن الصعود الى البرزخ وسلطت عليها

الشياطين والابالسة الذين كانوا يوسوسون للذات التي كانت فيها في دار الدنيا فاذا خرجت الروح منها تلقاها اولئك الشياطين فجعلوا يلعبون بها والعياذ بالله لعب الصبيان بالكرة فيرميها شيطان لشيطان ويضربون بها الصخور ويعذبونها بما لا يطاق من عذاب الله حتى تفنى الذات التي في القبر وترجع ترابا وعند ذلك تصعد تلك الروح الى مقرها في اسفل البرزخ فمن حمل عدم فتح السماء لارواحهم على هذا المعنى ونحوه فهو صحيح قلت ولا تنافي بين ما قاله في هذه المرات بل هو كلام واحد وقول متفق فيهم بعضه الى بعض وانما فرقته بحسب ما سمعته فان قلت غالب هذا الكلام في هذه المرات يقتضي ان اسفل البرزخ في السماء الدنيا وقد صرح لك بان اسفله في اسفل سافلين وهذا ينافي هذا بلا شك فان هذا يقتضي ان اسفله تحت الارض السابعة وما قبله يقتضي انه في السماء الدنيا قلت اذا حمل ما قبله على الاسفل بالنسبة الى السعداء وحمل هذا على الاسفل بالنسبة الى الاشقياء لم يقع بينهما اختلاف كما لا يخفى فان قلت هذا صحيح ولكن ما سبق يقتضي ان ارواح الكفار في ذلك الاسفل الذي في السماء الدنيا وهذا يقتضي انها لا تكون في ذلك الاسفل بل في الاسفل التحتاني فجئنا في الكلام ان قلت ان ارواح الكفار مختلفة كما سبق فمنها ما يكون في هذا الاسفل ومنها ما يكون في ذلك الاسفل ومنها ما يكون في تلك المراحيض ومنها ما يكون في وسط بيت الاسفلين ومنها ما يكون في الارض الثالثة وقد قال لي رضي الله عنه انه راى في الارض الثالثة اقواما في بيوت ضيقة ونار محرقة وابيار غامقة وعذابه دائم لا يتكلم الواحد منهم كلمة حتى تهوي به هاويته فهو في صعود ونزول قال رضي الله عنه وبينما انا انظر فيهم اذ لاح لي رجل منهم اعرفه باسمه وبذاته في دار

الدنيا فناديته باسمه وقلت ويحك ما انزلك هذا المنزل فاراد ان يكلمني فهوت به هاويته واكبر ظني اني قلت للشيخ رضي الله عنه هذا موضع من مواضع البرزخ لان البرزخ خارق للارضين السبع الى اسفل سافلين فقال صدقت هكذا قال لي والله اعلم وما دخل لي شك في جميع ما كتبته في هذا الكتاب الا هذه الكلمة فنبهت عليها لتعلم مرتبتها والله اعلم وهذا الرجل الذي رآه الشيخ رضي الله عنه في هذه الارض كان في دار الدنيا من جملة المؤمنين ثم قال رضي الله عنه ومن عجيب ارادة ربنا سبحانه وتعالى ان حجب بلا حجاب ارواح الكفار عن الانتفاع بارواح المؤمنين قال فتلك الانوار لها اشراق واضاءة لا يبلغها شيء من هذه النيرات بل نور هذه النيرات انما هو من تلك الانوار على ما سياتي ومع ذلك فان روح الكافر بالنسبة الى ذلك النور لا تنتفع به ولا تستضيء منه بقليل ولا بكثير بل هي في ظلامها وسوادها الذي لا يكيف فهي بالنسبة الى تلك الانوار في الحجب عنها بمثابة من جعلها في حق من هندي وقفل عليها بالرصاص والفرض انه لا حق ولا رصاص الا ارادته تعالى بمنع سريان النفع الى الروح الكافرة قال رضي الله عنه واما ارواح المؤمنين فانه ينتفع بعضها من بعض ويسقي بعضها بعضا ويشفع بعضها في بعض حتى انك تشاهد في بعض الارواح آثار ذنوب مما اكتسبته الذات وترى تلك الآثار ظاهرة على الروح ثم ان تلك الآثار تزول بسبب روح عزيزة عند الله تعالى قريبة من الروح ذات الآثار قال رضي الله عنه وبين البرزخ والاماكن التي فيه وبين الجنة خيوط من نور لا تحدث فيه الا بعد صعود الروح من الاشباح وذلك النور هو نور الايمان فتراه خارجا من روح زيد مثلا في البرزخ خارقا الى الجنة فتستمد ذات ذلك الولي من الجنة بسبب ذلك النور

وكذلك بين برزخ ارواح الكفار وبين جهنم خيوط وظلام ولا
تحدث فيه الا بعد صعود الروح من الاشباح وذلك الظلام
هو الكفر اعاذنا الله منه فتراه خارجا الى جهنم فتستمد ارواح
الكفار من سموم جهنم وعذابها قال رضي الله عنه وكذلك بين
البرزخ وبين ذوات المؤمنين في الدنيا خيوط هي نور ايمانهم
فيرى صاحب البصيرة خيط الايمان ابيض صافيا مثل شعاع
الشمس النافذ من منفذ ضيق اذا ضربت الشمس في باب مثلا
فانك ترى فيه سلوكا وخيوطا من شعاعها خارقة الى ما وراء
الباب كذلك يشاهد صاحب البصيرة في المؤمنين الاحياء خيطا
خارجا من كل احد مستمدا من راسه ولا يظهر له حتى يتجاوز
مقدار شبر فوق الراس فيراه ح ذاهبا في استداد الى مقر تلك
الروح التي في ذلك المؤمن في البرزخ وهو يختلف بحسب القسمة
الازلية فمنهم من يرى فيه على هيئة الخيط كما سبق ومنهم من
يشاهد فيه اغلظ من ذلك على هيئة غلظ القصبة ومنهم من
يشاهد فيه اغلظ من ذلك على هيئة النخلة وهم الاكابر من
الاولياء رضي الله عنهم وكذلك يشاهد مثل هذه الخيوط بين
ذوات الكفار وبين مقرهم في البرزخ الا ان خيوط الكفار لونها
ازرق يضرب الى سواد مثل نار الكبريت وكل من شوهد فيه
ذلك فهو علامة شقاوته والعياذ بالله وهو يختلف ايضا كما
سبق فمنهم من يرى فيه رقيقا ومنهم من يرى فيه غليظا مثل
النخلة على حسب تفاوتهم في الكفر نسال الله السلامة قال
رضي الله عنه وكم مرة انتبه الى ملوح اليهود فنرى الخيوط خارجة
من رؤسهم ثم تجتمع في الافق صاعدة مثل الضبابة السوداء
ونرى فيهم خيوطا قليلة بيضا صافية مشرقة فنعلم بذلك
ان اصحاب تلك الخيوط سينتقلون الى دين النبي اي نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم ونخرجه الى مدينة من مدن الاسلام فنرى الخيوط خارجة من رؤسهم صافية مشرقة صاعدة الى البرزخ وقد يشاهد فيهم بعض الخيوط التي فيها زرقة وهي قليلة وهي علامة شقاوة من شوهدت فيه كما سبق قلت وهم المشار اليهم في الحديث ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يظهر للناس ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها والمؤمنون المشاهدون في زمرة اليهود هم المشار اليهم ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال رضي الله عنه مرة من اراد ان ينظر الى السابقة والى قوله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي فلينظر الى الصبيان يعني ان كان من ارباب هذا الكشف فانه يرى فيهم من خيطه مشرق ومن خيطه ازرق وهم غير مكلفين بعد ولكن السابقة سابقة ومررنا مرة على صبيين صغيرين لهما نحو الاربعة اعوام وهما يلعبان فقال لي انظر اي شيء عمل هذا واي شيء عمل هذا يعني ان احدهما خيطه مشرق والآخر ازرق وقال لي رضي الله عنه مرة اخرى وقد مررنا على جماعة من الصبيان وهم يلعبون من نظر الى صبيان هذا الزمان علم حسن الزمان الذي ياتي في المستقبل فان غالب انوار صبيان هذا الزمان في غاية الحسن والملاحة وقد مررنا مرة على موضع فخرج منه صبي فنظر اليه فقال له ما اسمك فقال المقداد فقال رضي الله عنه هذا يخرج منه ولي كبير عزيز عند الله عز وجل ونظر مرة الى صبي آخر فقال لي انظر الى نور الولاية انظر الى حلاوتها على وجهه انظر الى الولاية في ذاته فانها لا تخفى على احد ثم قال لي رضي الله عنه اوصيك به خيرا قلت وقد كبر ذلك الصبي ورجع اليوم رجلا والحمد لله وقد حج وهو يرى مرائي عظاما مع حسن حالته واستقامته

امره وسطوع الملاحة على وجهه قال رضي الله عنه وبنفس
سقوط الذات من البطن الى الارض يعلم صاحب هذا الكشف
ما تصير اليه بمنزلة البحيرة فانها قبل ان تنبت لا يدري هل يكون
منها شيء ام لا فاذا انبتت وخرجت الى العيان علم منها ورقة البطيخ
من ورقة غيره وبمنزلة النوارة التي هي صفراء لا ترجع خضراء والتي
هي حمراء لا ترجع صفراء ثم قلت له رضي الله عنه لم كان المنافقون
اسوء الكفرة وفي الدرك الاسفل من النار مع ان لهم صلاة وصياما
وحجا وجهادا وان لم يكن شيء من ذلك فقد كفوا اذيتهم عن اهل
الاسلام فقال رضي الله عنه سبحان الله يا فلان الكفر وخبثه
وعظمه يمتد من السابقة لا من الاعمال فكم مرة ننظر الى البرزخ
فنرى فيه عمودا ظلمانيا ازرق خبيثا ممتدا ابطا منه ذاهبا الى
مدينة الكفرة لعنهم الله فاقول في نفسي هذا لا يحل الا في سلطانهم
ولا ينزل الا في طاغيتهم قال فاتبعه فنظرت فنراه نزل في شوبع منهم
جالس في حانوت يتمشى فاوحد الله تعالى واحمده واشكره على
نعمه وقال لي مرة ان الخيط الازرق وان كان يدل على الشقاء لكنه
قد يتبدل باذن الله اذا جعل صاحب ذلك الخيط يخالط اهل
السعادة ويداخلهم ويباطنهم فانه لا يزال خيطه يمحى شيئا
فشيئا حتى يصير مثل اهل السعادة والحمد لله وقال لي مرة قال لي ان الخيط
الازرق وان كان ازرق ولا اشراق فيه فانا شاهدناه ينقلب
وان كان مع الزرقة اشراق فانا لم نشاهده ينقلب وقال لي مرة
من حكمة بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم يجمعون
الناس على كلمتهم حتى يصيروا اهل ملة واحدة فيتناصحون
ويتناصرون ويتعاشرون وفيهم اهل سعادة وفيهم من خيطه
ازرق فاذا طالت صحبته لاهل السعادة انقلب سعيدا ببركة
الاجتماع مع اهل السعادة فبالبعثة حصل الاجتماع وبالاجتماع

حصل الانقلاب فهذا من فوائد البعثة قلت ويريفسر سر الامر النبوى بلزوم الجماعة وعدم الخروج عنها قيد شبر وان من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وكنت ذات يوم معه رضى الله عنه فى سوق من الاسواق ويده الكريمة فى يدى ونحن نتماشى وانا فائب فى سؤاله فى هذه العلوم الكشفية فلقينا رجل ينسبه الناس الى الصلاح وهو قد نصب نفسه لذلك فخاطبنا بكلمة ادرج فيها نصيحة ومقصوده شيئ آخر ظهر من قرائن احواله فسكتنا عنه فقال لى الشيخ رضى الله عنه بعد ذلك ان خيطه ازرق والعياذ بالله واقسم لى على ذلك غير مامرة ولا ادرى هل يتبدل خيطه اولا يتبدل قال رضى الله عنه فاذا ماتت الذات انقلبت الروح الى البرزخ وانقطع سرها عن الذات اذا اخذت الذات فى التغيير والفناء وقد يبقى سرها متصلا بالقبر فى بعض الاولياء فيبقى عمود نور ايمانه قائما بالقبر ممتدا الى الروح التى فى البرزخ كقيامه بالذات قبل قال رضى الله عنه وكم مرة انظر الى مقابر فاس وما حولها ومواضع منها فارى الانوار خارجة من الارض ذاهبة الى البرزخ على هيئة القصب الثابت من الارض الممتد الى البرزخ فاعلم ان اصحاب تلك الانوار اولياء اخيار وكم مرة يقول لى هاهنا ولى كبير فى موضع من المواضع ما هو نوره خارج الى البرزخ وكذلك هو فى قبر نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فعمود نور ايمانه صلى الله عليه وسلم ممتد من القبر الشريف الى قبة البرزخ التى فيها روحه الطاهرة وتاتى الملائكة زمرا زمرا وتطوف بذلك النور الشريف الممتد وتتمسح به وتتطارح عليه تطارح النحلة على يعسوبها فكل ملك عجز عن سر او عن تحمل امر او حصل له كلل او وقوف فى مقام فانه يجيئ الى النور الشريف ويطوف به فاذا طاف به اكتسب قوة كاملة ووجد اعظيما من نوره صلى الله

عليه وسلم فيرجع الى موضعه وقد قوي امره ولا يفرغ من طوافه
حتى تجيء جماعة اخرى من الملائكة كل واحد منهم يبادر الطواف
وقال لي مرة لما اراد الله ان يفتح علي وان يجمعني برحمته نظرت
وانا بفاس الى القبر الشريف ثم نظرت الى النور الشريف فجعل
يدنو مني وانا انظر اليه فلما قرب مني خرج منه رجل واذا هو
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي سيدي عبد الله البرناوي لقد
جمعك الله يا سيدي عبد العزيز مع رحمته وهو سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم فلست اخاف عليك تلاعب الشياطين
وقال رضي الله عنه ان شان البرزخ عجيب وانه يكتسي بانوار
ايمان المؤمنين ما يبهر العقول حتى ان نور الشمس انما هو من نور
تلك الارواح المؤمنة واما نور النجوم والقمر فانما هو من نور
الشمس وذلك لان اسفل البرزخ اسود مظلم كما سبق فلا يحصل
منه تنوير لما يقابله من النيرات وهو الحائل المانع من تنويرها
بالنور الذي تنورت منه الشمس لانها لو تنورت منه لتنور اهل
البرزخ منه فتنتفع ارواح الكفار من ارواح المؤمنين والله
تعالى لم يرد ذلك وانما تنورت تلك النيرات من الشمس لان
الشمس خارجة عن البرزخ وتلك النيرات تسامتها فيحصل
لها تنور والقمر في السماء الدنيا في هذا الوجه الذي يلينا فقلت
فالمنجمون يزعمون ان النجوم الثابتة في فلك الثوابت وهو الفلك
الثامن فقال رضي الله عنه من اين لهم هذا فقلت زعموا انهم
اختبروا سيرها مع سير السبعة السيارة فقال رضي الله عنه
لبس كما ظنوا النجوم كلها في السماء الدنيا ثم تكلم على كيفية كل
سماء وما فيها وسكانها وما يليق بها كتبه ولا تظن ايها الواقف
على هذا الكتاب اني كتبت كل ما سمعت من الشيخ رضي الله
عنه بل انما كتبت منه بعض البعض فهذا ما سمعت منه في امر

البرزخ والله ينفعنا به آمين الباب الحادي عشر في الجنة وترتيبها
وعددها وما يتعلق بذلك سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول
في جنة الفردوس ان جميع النغم التي يسمع بها في دار الدنيا والتي لا يسمع
بها موجودة فيها قال رضي الله عنه ومنها تفجر انهار الجنة قلت كما
في حديث البخاري وغيره قال رضي الله عنه وكيفية جري الانهار
انها تجري في النهر الواحد اربعة من الاشربة الماء والعسل واللبن
والخمر وتجري فيه ولا يختلط بعضها ببعض كالالوان التي في قوس
المطر ترى فيها الوانا احمر واصفر وازرق واخضر الوان غير
مختلطة كذلك الاشربة في الجنة تراها جارية مجموعة في نهر
واحد ولا يختلط بعضها مع بعض وهي تجري بحسب شهوة المؤمن
في الجنة فاذا اشتهى الاربعة جرت له فاذا كان من يليه يشتهي
اثنين فقط جرى الثنان وانقطع عنه اثنان بارادة الله سبحانه
فاذا كان من يليهما يشتهي واحدا انقطع عنه ثلاثة وجرى له
واحد فاذا كان آخر يشتهي اكثر من الاربعة جرى له ما يشتهي
باذن الله تعالى فاذا نظرت في الجرية من اولها الى آخرها رايت
جرية فيها انواع اربعة في موضع ونوعان في موضع ونوع في موضع
وخمسة في موضع من غير حاجز ولا فاصل فسبحان الملك
الخلاق قال رضي الله عنه وهي تجري في غير حفير قلت كما في
الحديث انها تجري في غير اخدود وكنت معه مرة في باب الفتوح
فقلت له اني سمعت سيدي فلانا نفعنا الله به يقول ان
بعضهم راى صفر وط الجنة قدر ذراع فقال رضي الله عنه وانا
رايته مثل حائط يعني الحائط المعترض في قبلة مصلى باب الفتوح
وقال لي مرة اخرى انه فيها مثل طول ذلك الحائط واصغر واكبر
ثم قال رضي الله عنه والناس يظنون ان جنة الفردوس هي
افضل الجنان واعلاها ولا تبلغها جنة من الجنان وليست

كذلك بل هناك جنة اخرى هي افضل منها واعلى وليس فيها من النعم شيئ ولا يسكنها الا اهل مشاهدة الله عز وجل من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ومن اوليائه رضي الله عنهم ونفعنا بهم قال رضي الله عنه ومشاهدة الله عز وجل عند اهلها اعز عندهم واحلى واعلى وافضل من كل نعمة تصور في الخاطر واهل هذه الجنة لا يحبون الخروج منها الى غيرها من الجنان كما لا يحب اهل الجنة الخروج منها الى الدنيا قال رضي الله عنه وغالب من يسكن جنة الفردوس امة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخرج عنها منهم الا نحو العشر من اهل الظلم والكبائر ومن شاء الله ان لا يسكنها من هذه الامة نسال الله عفوه وفضله قال رضي الله عنه ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة في امته فهو يحب ان يزورهم في الجنة ويصلهم كما يصل ذو الرحم رحمه فلذلك جمع الله له بين وسط الجنة العالية ذات المشاهدة السابقة وبين وسط جنة الفردوس ذات النعم الفاخرة فجعل مجموع ذلك مسكن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعط هذا واحدا من الخلائق غيره فيصل صلى الله عليه وسلم جميع امته من اهل المشاهدة وغيرهم جعلنا الله من امته ولا عدل بنا عن سنته وطريقته قلت وهذه الجنة العالية التي اشار رضي الله عنه اليها هي جنة عليين والله اعلم فقد اخرج ابن عساكر عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل عليين ليشرف احدهم على الجنة فيضيئ وجهه لاهل الجنة كما يضيئ القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم واخرج احمد والترمذي وابن حبان عن ابي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع فى افق السماء وان ابابكر وعمر منهم انظر الجامع الصغير ومن نظر ايضا البدور السافرة فى احاديث الرؤية وهى التى ختم بها الكتاب علم صحة ذلك واستخرج للجنة العالية اسما آخر وهو دار المزيد كما فى حديث حذيفة وغيره واخرج ابو نعيم عن ابى يزيد البسطامى قال ان لله خواص من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث اهل النار والله اعلم وسألته رضى الله عنه عما ظهر لى فى تسمية الجنة العالية المتقدم ذكرها فحكيت له انها جنة عليين فقال رضى الله عنه هى غيرها فقلت ان فى الحديث كذا وكذا نشير الى الحديث السابق عن ابى سعيد الخدرى فقال رضى الله عنه نعم فعلمت انه اراد ان يساعف فقلت له اذكر لنا ما عندك فقال رضى الله عنه جنة عليين هى فوق جنة الفردوس خارجة عن جهتها وليست مسامتة وهذه الجنة العالية جنة اخرى فقلت فهل تسمى دار المزيد فقال رضى الله عنه ذلك هو اسمها وليس فيها شئ من النعم سوى مشاهدة الله سبحانه وسبق ان مشاهدة الله عند اهلها اعز عندهم من كل نعيم قال لان مشاهدة الله تعالى فيها لذة جميع النعم التى فى الجنة ففيها ما فى الجنة وزيادة شئ آخر ولذة اهلها لذة الروح ولذة غير اهل هذه الجنة لذة ذواتهم الفانية قال رضى الله عنه ومن له لذة من احد النوعين لا يطيق الاخرى ولا يقدر على الجمع بينهما الا مخلوق واحد وهو سيد الاولين والآخرين نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فهو يطيق من لذة المشاهدة واسرارها ما لا يطيقه احد ويلتذ بذاته ايضا فى نعيم الجنة ما لا يلتذ منه احد ولا تشغله هذه عن هذه فسبحان من قواه على ذلك واقدره عليه قال رضى الله

عنه وهذه الجنة فوق جنة الفردوس ومساميته لها وعدد
ساكنيها قليل بالنسبة الى غيرها من الجنان واما جنة عليين فان
فيها من النعيم ما لا يحصى وجنة الفردوس اكثر انواعا منها وجنة
عليين نعيمها ارق وادق وكانه يقول انه كاد يكون معنويا لقربها
من دار المزيد التي نعيمها معنوي لا حسي فجنة عليين اعلى واحلى
ونعيم جنة الفردوس اكثر وفي جنة عليين يسكن جماعة من
الانبياء منهم سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام
فقلت فكيف نصنع بالاحاديث الدالة على ان جنة الفردوس
هي اعلى الجنان كحديث البخاري اذا سألتم فاسألوا الله الفردوس
فانه وسط الجنة واعلى الجنة قال بعضهم وسط الجنة اي جيدها
واعلاها حقيقة وقال بعضهم الوسط قد يكون اعلى كوسط الاكمة
فهو وسط واعلى قاله الحافظ السيوطي في البدور السافرة الى غير
ذلك من الاحاديث فقال رضي الله عنه لمن شاء ان يسمي هذه
الجنان الثلاثة جنة واحدة فله ذلك ويقول في المجموع انه جنة
فردوس باعتبار ان قبته صلى الله عليه وسلم اخذت من دار
المزيد ومن جنة عليين ومن جنة الفردوس فمن كان في جنة الفردوس
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان في عليين كان معه صلى
الله عليه وسلم ومن كان في دار المزيد كان كذلك معه صلى الله
عليه وسلم فمن نظر الى مقامه صلى الله عليه وسلم وجعل الجنان
الثلاث جنة واحدة فله ذلك قال رضي الله عنه والقبة المشرفة
اخذت وسط الفردوس وخرجت في طرف عليين فاخذته الى ان
بلغت دار المزيد فاخذت وسطها قلت وبهذا تجتمع الاحاديث
والله اعلم فقلت وبقية الجنان فيها نعيم فقال رضي الله عنه فيها
نعيم على قدر اعمال اهلها غير ان جنة الفردوس لهذه الامة ولمن
وحد الله بالهداية من غير بعثة نبي فقلت كقس بن ساعدة وزيد

ابن عمرو بن نفيل فقال رضي الله عنه فهل شهد لهما النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فلم استحضر في الوقت جوابا ثم رأيت في
شرح منظومة القبور لابن خليل السبكي التصريح بانه صلى الله
عليه وسلم شهد لهما بانهما يبعثان يوم القيامة امة وحدهما
وعبارته قال بعض العلماء اهل الفترة على ثلاثة اقسام الاول
من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة
كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل الى ان قال بعد ذكر القسمين
فاما القسم الاول فقد قال صلى الله عليه وسلم في كل من قس
وزيد بن عمرو بن نفيل انه يبعث يوم القيامة امة واحدة اهـ
قلت ومراده بالعلماء الابي في شرح مسلم وقد نقل كلام الحافظ
السيوطي في مسالك الحنفاء بابسط مما نقله شارح المنظومة
السابقة ثم لقيته رضي الله عنه فعرضت عليه هذا الكلام
فقال رضي الله عنه اردت ان اقول معناه فخفت ان ينقل عني
اني اقول ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لاهل الجاهلية
بدخول الجنة فاردت ان اختبر هل للعلماء في ذلك كلام فالحمد
لله على وجود كلامهم بالموافقة قال وانما كان هؤلاء ونحوهم
من اهل جنة الفردوس لان ايمانهم بالله وسط قومهم الكافرين
انما كان عن عناية عظيمة من الله تعالى بهم اوجبت لهم ان يكون
فيهم نور عظيم به خرقوا ظلام الكفار وتوصلوا الى توحيد الله
عز وجل من غيرها دٍ لهم من جنسهم قلت فعدد الجنان كم هو
فقال رضي الله عنه ثمان فقلت فما اولها فقال رضي الله عنه
دار السلام ثم يليها جنة النعيم ثم يليها جنة المأوى ثم يليها دار
الخلد ثم يليها جنة عدن ثم يليها جنة الفردوس ثم يليها جنة
عليين ثم يليها دار المزيد قلت ولم يقع للعلماء رضي الله عنهم
تحرير في عدد الجنان كما يعلم ذلك من البدور السافرة لها فقط

السيوطي رحمه الله فانه نقل عن بعضهم ان عددها اربع وعن
بعضهم انها سبع وعن بعضهم انها جنة واحدة قلت وكون
عددها ثمانية يناسب كون ابوابها ثمانية كما وردت به الاحاديث
الكثيرة في قوله في حديث فتحت له ابواب الجنة الثمانية ورد
هذا في احاديث كثيرة انظرها في البدور السافرة وقال رضي
الله عنه وليس ترتيبها كما يظن الناس انها لا تكون الا في جهة
فوق ثم بعد كونها في جهة فوق تكون جنة فوق جنة على
الترتيب السابق فانها ليست كذلك بل هذا العدد ثابت من الجهات
الست فمن جاء من جهة اسفل وجدها على هذا العدد ومن جاء
من جهة اليمين وجدها على هذا العدد وهكذا سائر الجهات وامر
الآخرة لا يشبه امر الدنيا والله اعلم وسألته رضي الله عنه مرة
اخرى عن الجنان وترتيبها وكيفية وضعها فقال رضي الله عنه ليس
على وجه الارض ولا في مخلوقات الله ما بينه وبين الجنة شبه
الا ان يكون البرزخ فان له شبها بالجنة والبرزخ لم يشاهده الناس
فكيف يصح التمثيل فقلت له بناء على ان البرزخ هو الصور سمعنا في
الاحاديث انه مخلوق عظيم على صفة القرن الدائرة الواحدة
منه قدر ما بين السماء والارض فقال رضي الله عنه نعم وفيه
ثقب كثقب شفافة البصر وفي تلك الثقب تكون الارواح ثم تلك
الثقب ليست في ظاهره فقط بل له عمق عظيم وهو كله ثقب كما
في ظاهره فلنجعل تلك الثقب بمنزلة الثقب التي في شهد النحل
الا اذا اردنا ان نقرب المثال نضم شهدة الى مثلها حتى يكمل ذلك
عدد عشرين شهدة مثلا فنلصق هذه بهذه وهذه بهذه حتى
يصير المجموع شيئا واحدا فيصير ظاهر ذلك المجموع وباطنه كله
ثقب ولنفرض الشهد محشوا بفشائه حتى لا يرى ما في الثقب من
العسل في المثل له قال رضي الله عنه فلننظر الى الجنة فاذا فرضناها

مثل

مثل ذلك المجموع على قدرما يترك التفهيم لا على ما هي عليه في نفس الامر اذ رحمة الله الواسعة لا نهاية لها حتى تحصى فنقول اذا قسمنا ذلك المجموع سبعة اقسام فتكون الفرقة في القسم الاول المشار اليه بالنقية قدر الدنيا وعشرة امثالها والقسم الثاني اضعاف اضعاف ذلك والقسم الثالث يتضاعف الى ما لا يحصى والقسم الرابع لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ففيه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والخامس مثل الثالث والسادس مثل الثاني والسابع مثل الاول قال رضي الله عنه واياك ان تظن ان اهل القسم الاول ادنى من الثاني وهكذا بل بعض من في الاول قد يفوق من في الثاني ومرة قال ان الله يعطي المؤمن في الجنة قدر ما فوق راسه في الدنيا الى العرش وما تحته الى العرش وما على يمينه الى العرش وما على شماله الى العرش وما خلفه الى العرش وما امامه الى العرش قال رضي الله عنه وهذا ادنى الناس منزلة في الجنة ثم قال رضي الله عنه واياك ان تظن ان المثال السابق موف بكيفية وضع الجنة او مقرب بل لا نسبة بينه وبينها اصلا وانما ذكرناه استئناسا لانه احسن من السكوت وسمعته رضي الله عنه يقول ان السرير الواحد يرى في الجنة على الوان شتى منها ما هو على لون الفضة ومنها ما هو على لون الذهب ومنها ما هو على لون الزمرد الاخضر ومنها ما هو على لون السندس ومنها ما هو على لون الياقوت الاحمر وغير ذلك من الالوان التي لا تكيف واصل الجميع واحد غير متعدد ولا مختلف فاذا اشتهى الذي على السرير النزهة والانتقال من موضع الى موضع انتقل به السرير ان شاء وان شاء انتقل هو بنفسه فيمشي الى اي جهة شاء من الجهات الست بخلاف الدنيا فانه لا يمشي الا الى جهة امام وفي الجنة يمشي الى فوق والى تحت والى يمين والى شمال والى خلف والى

امام وله ايضا جيران فى الجهات الست بخلاف غالب مساكن
الدنيا فانه لا شيء فيها فى جهة فوق ولا فى جهة تحت بل فوقه
السماء وتحته البهموت قال رضى الله عنه وجميع ما فى الجنة من
النعم وانواع الفواكه والثمار لا يشبهه شيء مما فى الدنيا ولو خرجت
اسماء نعم الجنة وفواكهها وثمارها على قدر انوارها وعلى حسب
ما هى عليه فى نفس الامر لما فهم الناس شيئا من الالفاظ الدالة
عليها لكنه تعالى بفضله ورحمته تنزل فسماها بهذه الاسماء التى
يألفون فى الدنيا ويعرفون فى معناها وتصرف خاطبهم بانواع الثمار
والفواكه التى فى الجنة بذلك ليقع لهم الفهم فى الجملة وان كانت
المعانى متباينة قال رضى الله عنه وما مثلت ذلك الا بهذه
الخطابات التى بيننا وبين اولادنا على قدر عقولهم وصغرهم فنسمى
لهم الخبزبت والبعرشتى وغير ذلك مما يقع فى مخاطبات الصبيان
قال رضى الله عنه فنحن نسمع ان فى الجنة عنبا فنحسبه مثل عنب
الدنيا ولو خرجت حبة عنب من جنة الفردوس الى الجنة التى
تليها لشغلت اهلها بنورها عما فى جنتهم وهكذا لو خرجت حبة
عنب من الجنة التى تليها الى الثالثة لوقع لاهلها مثل ما وقع
لاهل الثانية وهلم جرا الى ان تخرج حبة عنب من الجنة التى
تلينا الى اهل الدنيا اعنى السموات السبع والارضين السبع واذا
خرجت خسف لاجل نورها نور الشمس والقمر والنجوم ولا يبقى
الا نورها وضوءها والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول
ان ابواب الجنة ثمانية بعدد الجنان كما سبق وانما تكون هذه
الابواب قبل دخول الناس الجنة واما بعده فلا تبقى فقلت لان
المقصود من الباب الدخول والخروج فاذا انتفى الخروج لقوله
تعالى وما هم منها بمخرجين لم تبق فائدة للباب فسكت ولم يقل
شيئا فعلمت انه لسر آخر ابى ان يذكره ثم قال رضى الله عنه

وبازاء

وبازاء كل باب من ابواب الجنة ملك من الملائكة الثمانية الذين
يحملون العرش فقلت ماسره فقال رضى الله عنه هوان نور
نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله منه عدد هؤلاء
الملائكة الثمانية وعدد الجنان الثمانية بعد ان قسمه الى ثمانية
اقسام وخص كل قسم بسر من الاسرار فجعل من قسم من تلك
الاقسام ملكا وجنة فتناسبا فى الاصل والسر وجعل من قسم
آخر ملكا وجنة فتناسبا اصلا وسرا وهكذا الى تمام الاقسام
الثمانية فلذا كان بازاء كل باب ملك يناسب الجنة التى تشاكله
فيسقى ذلك بنور تلك الجنة فقلت وهل باب التوبة المفتوح
الى ان تطلع الشمس من مغربها من جملة ابواب الجنة كما هو
ظاهر بعض الاحاديث كما اخرجه ابو يعلى والطبرانى وابن ابى الدنيا
عن ابن مسعود رضى الله عنه فقال فى الحديث وللجنة ثمانية
ابواب سبعة منها مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع
الشمس منه اورده فى البدور السافرة فقال رضى الله عنه
مشيرا الى التاويل نور الايمان هو جنة من الجنان بل هو سبب
كل نعيم فى الجنان بل وسبب فى الجنان انفسها فهو سبب كل
خير وسعادة واذا كانت التوبة بابا له كانت بهذا الاعتبار
بابا من ابواب الجنان وايضا فداخل الجنان انتقل من حالة
سفلى الى حالة عليا وهى ما كانت عليه ذاته من الوسخ والخبث
وداخل التوبة كذلك انتقل من حالة سفلى وهى ظلام المعاصى
الى حالة عليا وهى نور التوبة والطاعة فالتوبة باب من ابواب
الجنة بهذا الاعتبار قال رضى الله عنه واما سده عند
طلوع الشمس من مغربها فكناية عن رفع نور الحق من الارض
ومن الخلائق التى فيها فذلك الرفع هو امر الله المشار اليه
فى الحديث لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتى

امر الله وهم اهل الدائرة والمدد وكل من اخذ بحظه من ذلك
النور فهم حملته وهم يمشون على وجه الارض فاذا اراد الله
تعالى رفعه من الارض لم يبق منهم احد فيرتفع النور لانه
لا حامل له وذكر كلاما آخر وهو سر من اسرار الله تعالى وان
وما ذكره في تاويل الحديث نقل نحوه الشيخ عبد الرؤف المناوي
في شرح الجامع الصغير عن ناصر الدين البيضاوي واقتصر عليه
مرتضيا له واذا تاملته مع ما اشار اليه شيخنا رضي الله عنه
وجدت ما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه اصح نظرا واظهر
معنى واوضح في التاويل والله تعالى اعلم وسالته رضي الله
عنه لم كانت الجنة تزيد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
دون التسبيح وغيره من الاذكار فقال رضي الله عنه لان
الجنة من نور النبي صلى الله عليه وسلم فهي تحن اليه حنين
الولد الى ابيه واذا سمعت بذكره انتعشت وطارت اليه لانها
تشتاق منه صلى الله عليه وسلم ثم ضرب مثلا بدابة اشتاقت
الى قوتها وعلفها وشعيرها فيجيء اليها بالشعير وهي اجوع
ما كانت فاذا شمت رائحته فانها تقرب منه واذا ابعد عنها
تبعته دائما حتى تدركه فكذا حال الملائكة الذين في اطراف
الجنة وابوابها يشتغلون بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فتحن الجنة الى ذلك
وتذهب نحوهم وهم في جميع نواحيها فتتسع من جميع الجهات
قال رضي الله عنه ولولا ارادة الله ومنعه لخرجت الى
الدنيا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وذهبت معه حيثما
ذهب وتبعته حيث بات الا ان الله تعالى منعها من
الخروج اليه صلى الله عليه وسلم ليحصل الايمان به صلى الله
عليه وسلم على طريق الغيب قال رضي الله عنه واذا ...

النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وامته فرحت بهم الجنة واتسعت
لهم وحصل لها من السرور والحبور ما لا يحصى فاذا دخلت
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامهم تنكمش وتنقبض
فيقولون لها في ذلك فتقول ما انا منكم ولا انتم مني حتى يقع
الفصل بواسطة الشهداء وانبيا ئهم من النبي صلى الله عليه
وسلم وسمعته رضي الله عنه يقول في قولهم ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا من كل احد
فقال رضي الله عنه لا شك ان الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم افضل الاعمال وهي ذكر الملائكة الذين هم على
اطراف الجنة ومن بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
انهم كلما ذكروها زادت الجنة في الاتساع فهم لا يفترون
عن ذكرها والجنة لا تفتر عن الاتساع فهم يجرون والجنة
تجري خلفهم ولا تقف الجنة عن الاتساع حتى ينتقل الملائكة
المذكورون الى التسبيح ولا ينتقلون اليه حتى يتجلى الحق سبحانه لاهل الجنة
في الجنة فاذا تجلى لهم وشاهده الملائكة المذكورون اخذوا في التسبيح فاذا اخذوا
فيه وقفت الجنة واستقرت المنازل باهلها ولو كانوا عندما خلقوا اخذوا
في التسبيح لم تزد الجنة شيئا فهذا من بركة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن القبول لا يقطع
به الا للذات الطاهرة والقلب الطاهر لانها اذا خرجت من الذات الطاهرة
خرجت سالمة من جميع العلل من الرياء والعجب والعلل كثيرة
جدا ولا يكون شيء منها في الذات الطاهرة والقلب الطاهر
وهذا معنى ما في الاحاديث الاخر من قال لا اله الا الله دخل الجنة
يعني به اذا كانت ذاته طاهرة وقلبه طاهرا فان قائلها حينئذ
يقولها لله تعالى مخلصا قال رضي الله عنه ومع ذلك اذا نظرت
الى سطوة الملك وغلبة قهره تعالى وكون قلب العبد بين
اصبعين من اصابعه يقلبه كيف شاء ويزين له سوء عمله

فى الوجه الذى قلبه اليه حتى يظهر له انه اولى من الحال الذى
كان عليه والعياذ بالله علمت انه لا يامن مكره تعالى الا من خسر
دنياه وآخرته والله تعالى اعلم قلت وهذا الذى ذكره الشيخ
رضى الله عنه فى قبول الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
هو الذى لا شك فيه وقد سئل عن هذه المسئلة الولى الصالح
العالم الراسخ سيدى محمد بن يوسف السنوسى رضى الله عنه
وقد ذكر له السائل انه سمع من بعض الفقهاء يقول ان الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة على كل حال فاجاب الشيخ
المذكور بانه وقع مثل ذلك لابى اسحاق الشاطبى شارح الشاطبية
واستشكل ذلك الشيخ السنوسى رحمه الله بانه لو قطع بالقبول
للمصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لقطع له بحسن الخاتمة
كيف وهى مجهولة باتفاق ثم اجاب عن الاشكال بجوابين وهما
فى الحقيقة اسما لان عقليان لا دليل عليهما من الشرع فلا
يقبلان فى باب القبول الذى هو جعلى لا يعلم الا من قبل
الشرع الجواب الاول معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله
تعالى للمصلى بحسن الخاتمة وجد حسنة الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم مقبولة لا ريب فيها بخلاف غيرها من
الحسنات فانه لا وثوق بقبولها وان مات صاحبه على
الايمان وفيه نظر فان هذا الفرق توقيفى لا يعلم الا من
قبل الشرع فكان الواجب بذل الجهد فى تعيين النص على
هذا التفريق من صاحب الشرع فان وجد فذلك والا فالعقليات
لا دخل لها فى امور الشرع الجواب الثانى ان معنى القطع بقبولها
انها اذا صدرت من صاحبها على سبيل المحبة للنبى صلى الله عليه
وسلم فانه يقطع بقبولها فينتفع بها فى الآخرة ولو فى تخفيف
العذاب ان قضى الله عليه به ولو على سبيل الخلود ثم قاس

ذلك

ذلك على انتفاع ابى لهب بسعيه فى نقرة الابهام وتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب عتقه الجارية بسبب ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى انتفاع ابى طالب بسبب محبته النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان اهون الناس عذابا فى الآخرة وانه لولا النبى صلى الله عليه وسلم لكان فى الدرك الاسفل من النار قال واذا حصل الانتفاع بسبب الحب الطبيعى وان كان لغير الله فكيف بحب المؤمن لهذا السيد وصلاته عليه يعنى فيكون القياس اخرويا وفيه نظر فان النصوص من الكتاب والسنة تكاثرت باحباط عمل الكافر وان الايمان شرط فى القبول وابو طالب وابو لهب خرجا من ذلك بنص فعدل بهما عن سنن القياس فلا يقاس عليهما لان من شرط المقيس عليه على ما تقرر فى الاصول ان لا يعدل به عن سنن القياس وقد قال الحافظ السيوطى فى الدر المنثور عند ما تكلم على حديث عرضت على اعمال امتى فوجدت منها المقبول والمردود الا الصلاة على لم اقف له على سند وقال صاحب تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الالسنة من الحديث كل الاعمال فيها المقبول والمردود الا الصلاة على فانها مقبولة غير مردودة قال ابن حجر انه ضعيف وقال السيد السمهودى فى كتابه الذى سماه الغماز على اللماز عند كلامه عليه ما نصه حديث كل الاعمال فيها المقبول والمردود الا الصلاة على فانها مقبولة غير مردودة قال ابن حجر ضعيف وقال صاحب التمييز ايضا حديث الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا ترد هو من كلام ابى سليمان الدارانى واورده فى الاحياء مرفوعا قال شيخنا هو مما لم اقف عليه وانما هو عن ابى الدرداء من قوله اذا سالتم الله حاجة فابدأوا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله اكرم من ان يسال حاجتين

فيقضي احداهما ويرد الاخرى اه وشيخه المشار اليه هو ابو الخير
شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي رحمه الله تعالى
صاحب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث الدائرة على
الالسنة اذا فهمت هذا ونحوه علمت انه لا دليل على القطع
بقبول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نعم هي ارجى في القبول
وادخل في باب الظنون من غيرها والله اعلم وسمعته رضي الله
عنه يقول في لباس اهل الجنة انها لا تفنى ولا تطرح وفي شأنها
يلبس الشخص مقدار سبعين الفا واذا كان لا يطرحها فكيف الحال
فانها تثقل عليه والجواب انها انوار فتجيء انوار وتذهب انوار
وقال رضي الله عنه ان نظر الذات في الجنة لا يقف على حد
ابدا الا ان نعم الله لا حد لها فاذا نظرت الذات الى نعمة فبمجرد
مشاهدتها تحصل لها نعمة اخرى في مشاهدتها ثم ثالثة
ورابعة وهي تتنعم بكل نظرة لا تنفد في المشاهد ثم ضرب
رضي الله عنه مثلا بالمرآة الكبيرة وكانت بين ايدينا وذلك انا تعجبنا
لما رأيناها لانها كانت كبيرة جدا بحيث ان الشخص يقف فيرى
ذاته كلها فيها فاشتد تعجبنا منها قال رضي الله عنه فاذا راينا
اخرى مثلها فلا نتعجب واذا راينا اخرى مخالفة لها فانا نتعجب
ايضا كما تعجبنا من الاولى وفي الجنة لا يرى الا ما يخالف قال
رضي الله عنه واختلفت الاولياء في انا لو رجعنا الى النعمة
الاولى هل نجدها على حالتها الاولى ام لا والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه وقد جرى في كلامه ان بعض من يكون في الجنة
قد يعرض له تحسر وحزن فحضر بعض اهل العلم فاراد انكار
ذلك وقال ان التحسر لا يكون في الجنة فقلت لا تنكر فاني
قط ما سمعته رضي الله عنه يقول شيئا الا وجدته منصوصا
عليه بخصوصه او عمومه او بذكر نظيره واخبرته على هذه

الحالة

الحالة نحوا من خمسة اعوام ثم قلت له وهذا الذى انكرته
منصوص عليه واستحضرت النص ونحن مسافرون والحمد
لله فاردت ان اكتب ما قال الشيخ رضى الله عنه ثم اذكر النص
فقال لى رضى الله عنه ولم انكر ذلك الفقيه ان اهل الجنة كلهم
اذا دخلوا الجنة سطع نور الحمد على السنتهم ويكون ذلك النور
على قدر معرفتهم بربهم فى دار الدنيا فاذا دخلوا الجنة وحصلت
لهم معرفة بربهم زائدة على ما عرفوا فى دار الدنيا زيادة لا تحصى
ندموا من عند آخرهم على ما قصروا فى حق ربهم وخدمته وعبادته
قال رضى الله عنه فهذا امر يكون فى الآخرة وهو حق لا شك
فيه ولا مرية قال رضى الله عنه وتقع مسالة اخرى لخصوص
الزناة اذا دخلوا الجنة وتجلى لهم الحق سبحانه فاذا علموا ما هم
عليه من الخساسة والجهل بربهم وعلموا ما ربهم عليه من
الجلالة والعظمة والكبرياء والقهر والغلبة وسعة الرحمة مع
ذلك ندموا واستحيوا حتى يغشى عليهم مدة وعند ذلك يقول
من عصمه الله من الزنا بعضهم لبعض لقد خصنا ربنا فى هذا
الوقت بجميع نعمه فاذا افاق اهل الغشية حصل لهم من القوة
وكمال المعرفة شئ لا يكيف فهذا ما استدل به رضى الله عنه
على وجود مطلق التحسر فى الجنة قلت وقد ورد النص بذلك
قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى البدور السافرة
ما نصه باب تحسر اهل الجنة على ترك الذكر اخرج الطبرانى
والبيهقى بسند جيد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة الا
على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها واخرج احمد والترمذى
وابن حبان والحاكم وصححه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم

يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا
كان عليهم حسرة يوم القيامة وان دخلوا الجنة للثواب واخرج
البيهقي وابن ابي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ساعة مرت على ابن
آدم لم يذكر الله فيها بخير الا تحسر عليها يوم القيامة اهـ ما اورده
الحافظ في هذا الباب وقال في باب لباس اهل الجنة اخرج
الطيالسي بسند صحيح والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو وقال في
موضع اخر اخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا
ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة والاحاديث في هذا كثيرة
فلنقتصر على هذا القدر لان الغرض جمع كلامه رضي الله عنه
ونفعنا به وسمعته رضي الله عنه يقول ان المؤمنين يستحضرون
النعم في عقولهم ويجرونها على قلوبهم ويفرحون بالجنة وبما
اعد الله تعالى لهم فيها من النعيم واما الولي ففكره منقطع عن
غير الله تعالى وليس المراد ان فكره يتوجه لغيره تعالى وهو يقطعه
بل المراد انه لم يخلق في عقولهم ولا يخلق ابدا الفكر في غير الله
تعالى ولذا سموا اولياء الله لانقطاعهم عن غيره تعالى فهذا
الكلام منه رضي الله عنه جمع على الله ودلالة عليه وترفيع لهمة
العبد حتى لا يشتغل بالنعمة وينسى الذي انعم عليه سبحانه بل
الواجب عليه هو الاشتغال بالمنعم عليه والابتهال اليه والتضرع
بين يديه والخضوع اليه هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه العبد
المؤمن واما النعمة فلا يكون تشوفه اليها الا على طريق التقرب

الى ربه والتودد اليه والاقرار بانها منه سبحانه فلا ينظر اليها
الا بهذه العين واما قبلها فهو مع سيده وبخالقه حتى لو فرضنا
فقدان تلك النعمة او عدم وجودها اصلا فان القلب يبقى على
ما هو عليه من التوجه الى سيده والاستغراق في بحار توحيده
واسرار الوهيته فلا يشغله وجود نعمة ولا زوالها عن المنعم
سبحانه ولذا سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول اذا حصل
للولي مراده من الحق سبحانه فلا يبالي اين ينزله الحق سبحانه
ثم ضرب مثلا بدودة متشوفة لاكل العسل بجميع عروقها
واجزائها فاذا جعلت هذه الدودة في خابية عسل واتصلت
بمطلوبها وجعلت تاكل ليلها ونهارها منه فاذا جعلت هذه
الخابية التي فيها العسل والدودة في خابية اخرى اكبر منها
مملوءة بالقطران فان الدودة لا تبالي بذلك ولا يقع في قلبها
غير عسلها ولا يتكدر عليها مشربها برائحة قطران ولا بغيره
لان ذاتها وكليتها متشوفة الى العسل منقطعة عن غيره
فلا تتشوف للقطران فضلا عن ان تتكدر به والله اعلم

الباب الثاني عشر في ذكر جهنم اعاذنا الله منها وبعض
ما سمعناه من الشيخ رضي الله عنه سمعته رضي الله عنه يقول
ان اهل جهنم لا يرون الاشجار والانهار التي هي قريبة منهم
بل لا يرون الا ما هو بعيد منهم قدر الارضين السبع وما بينهن
ليزدادوا عذابا على عذاب فيرون على بعد المسافة السابقة
في نار جهنم ما هو على صورة الاشجار ولها ثمار واوراق خضر
فيسرعون اليها ليذوقوا العذاب الذي يصير باكل ثمارها والدنو
منها فيقطعون المسافة السابقة في نحو ثلاث خطوات اليها الا
فياخذون من ثمارها واوراقها فيجعلونه في افواههم قال رضي
الله عنه وكلما دخل الفقر في جهنم والجنة لا يستطيع العبد

اخراجه كما يستطيعه فى دار الدنيا فاذا وقع فى قعرهم ودق
او ثمر كان اشد عليهم من العذاب السابق فيرجعون القهقرا
فيقطعون المسافة السابقة فى نحو خطوة وينصف لما بهم
من الحريق والله اعلم وسمعته رضى الله عنه يقول فى نار
جهنم انها لا ترى شاعلة نيرة كنار الدنيا لان النار التى تشتعل
تستانس بها الذات مع الطول فلا تتالم بها ولا ترجع عليها عذابا
وان صفة جهنم ظلام محض وانه لو اخرج منها قدر الثمرة وفرق
جرمه فى الهواء حتى يصير فى تفريقه مثل الدخان فانه يظهر
فيه الضياء والاشتعال قال رضى الله عنه ولو ملأنا الدنيا
نارا ثم قدرنا انها ضمت وجمعت جمعا شديدا حتى صارت
فى مثل الصندوق فانها ترجع سوادا محضا وظلاما خالصا
وسمعته رضى الله عنه يقول فى جهنم اودية وان المراة من
اهل جهنم تحمل ولدها على ظهرها ذاهبة لنحو الوادى مسيرة
المسافة السابقة لشدة العطش النازل بها فاذا بلغت
الوادى وكرعت فيه سقيا هى وولدها قلت كذا سمعت
الشيخ رضى الله عنه يقول فى ولدها ولم اساله عن الولد هل هو
من ولادة جهنم حتى يكون فيها تناسل او هو من اولاد الدنيا
فان كان من اولاد الدنيا فقد علمت اختلاف العلماء رضى الله
عنهم فى اولاد الكفار وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال الله اعلم بما كانوا عاملين لما سئل عنهم وهو
الذى اختاره امامنا مالك رضى الله عنه فعلى هذا فمن علم
منه تعالى انه لو كبر لآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو من
اهل الجنة وعليه يحمل حديث جابر بن سمرة فى رؤياه صلى
الله عليه وسلم لاولاد الكفار فى الجنة ومن علم منه تعالى
انه لو كبر لكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو من اهل النار

وعليه

وعليه يحمل هذا الحديث وعليه تتخرج ايضا قصة غلام الخضر حين
قتله مع صغره وقال العلماء رضي الله عنهم انه مع صغره طبع على
الكفر والعياذ بالله وقد سالت الشيخ رضي الله عنه عن هذه
المسئلة فقال رضي الله عنه الصحيح فيها ما دل عليه هذا الحديث
وزاد رضي الله عنه فقال وكم صبي يموت صغيرا ويبعث من
حملة كتاب الله عز وجل لانه تعالى علم انه لو عاش اقرا كتاب
الله فيبعث من جملة حملته وكم من صبي يموت وهو صغير فيبعث
من جملة العلماء والاولياء وغير ذلك لعلمه تعالى بانه اذا كبر
كان من تلك الطائفة قلت وقد وقعت حكاية لبعض اصحابنا
وقد ناهز الاحتلام وقرا القران برواية قالون او قراءة ابن كثير
فذهب لزيارة الولي الصالح سيدي ابي يعزى نفعنا الله به بنية
ان يقرا القران بسبع روايات وكانت له في ذلك نية صالحة وعزيمة
نافذة فجعل يطلب ذلك من الشيخ المذكور ويؤكد عليه في الطلب
وقال له يا سيدي جئتك مسيرة ثلاثة ايام ولا حاجة لي اطلبها
منك سوى هذه الحاجة فلا تخيب طلبتي فبينما هو كذلك اذ غابت
عيناه فوقف عليه الشيخ ابو يعزى رضي الله عنه برسم مكتوب
على هيئة الاجازة التي يكتبها السبعيون ببلاد المغرب وفيه
خطوط العلماء والقراء بان الزائر من جملة السبعيين وانه من حفاظ
فقال له الشيخ ابو يعزى هذا اجازتك فانت من جملة حفاظ الس[illegible]
فلما قدم من زيارته مرض ومات رحمه الله ولم يزد في القراءة [illegible]
فسالني ابوه عن وجه الرؤيا وتاويلها فاجبته بما سبق ففرح
كثيرا وزال ما به من الغم والله اعلم وانظر الحافظ ابن حجر في [illegible]
من كتاب الجنائز والحافظ السيوطي في البدور السافرة لتعلم ما قاله
المحدثون والعلماء رضي الله عنهم في اولاد الكفار والله اعلم وسمعته
رضي الله عنه يقول ان مالكا خازن النار عليه السلام مرارا [illegible]

يمر بالنار مؤمن او كافر الا ان المؤمن يراه ويعلم انه مخلوق من
سر ايمان المؤمنين فلا يدهش منه واما الكافر فانه يموت منه
رعبا والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان اضيق كافر
له في جهنم قدر الدنيا وعشرة امثالها في الاتساع فقلت واين
ضيقها فقال رضي الله عنه من احاطة العذاب بهم فقلت فلو كان
رجل في دار وهو يضرب فيها ليلا ونهارا العلم بالاتساع وترتاح
نفسه له ولا يكون في قلق من يضرب ليلا ونهارا في مكان
ضيق مثل زج الرمح فقال رضي الله عنه لان الهواء لاعذاب عليه
فيه وهواء جهنم نار خالصة فهو فيها معذب ظاهرا وباطنا
يتخبط فيها تخبط الدجاج المذبوح وتارة يستغيث ويصرخ
فلو مر بهم مؤمن وسمع صوتهم حين يستغيثون ويصرخون
لتعطلت حواسه كلها ولا يزيدهم ذلك الا بعدا وعذابا لان النار
تزيد قوتها وحريقها فهم ح بمنزلة مرايا تحذا اعواد النار التي
في الكانون وينفض عنها الجمر والرماد فان النار يزيد اشتعالها
في تلك الاعواد والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول ان في جهنم
دارا وقصورا وابوابا واشجارا وحيطانا واودية كمال مدينة من مدن
الدنيا غير انك اذا اخذت اي جوهر اخذته من اجزائها واجزاء دورها
وقصورها وغير ذلك وجدته نارا خالصة وعذابا صرفا فالدور
والقصور والاشجار والاودية كلها نار خالصة لو خرج جوهر
منها الى دار الدنيا لاحرقها برمتها وان العبد في دار الدنيا يعمل اعمالا
تبنى له قصورا في جهنم فاذا تاب من تلك الاعمال او عمل عملا صالحا
تقبله الله منه زالت تلك القصور التي بنيت له في جهنم وبنيت
له قصور في الجنة وحكى لنا رضي الله عنه ان امراة من المؤمنات
كانت حاملة بغوث الزمان وكان عند جيرانها عرس فذهبت الى
دارهم لتتفرج فسرقت حاجة لها قيمة لاولاد العرس فاتهمت

بما تلك المؤمنة وحبستها عن الذهاب الى دارها وكان زوجها
شريفا لا يرضى بخروجها من باب الدار فضلا عن ذهابها الى
البلد وراى الجيران وكانت له نفس ابية وخافت المراة المؤمنة ان
يعلم زوجها الشريف بخروجها فكيف بنسبتها الى السرقة فكيف
بحبسها فنزل بها من الخوف من زوجها ما لا يعلمه الا الله فحصل
للحمل ضرر فى بطنها فبنيت قصور قد ولتلك المراة الكاذبة فى جهنم
ثم بقيت القصور مبنية الى ان زاد ذلك الحمل وكبر وماتت امه ومات
ابوه واراد ان يتزوج فاعطته تلك المراة ما اصدقه لزوجته فازال
الله تعالى قصورها من جهنم وتقبل الله عز وجل منها بفضله
ورحمته ما فعلته مع ذلك الولد فسبحان من له هذا الملك وقال
رضى الله عنه ما يحرك العبد رجله يدها او يردها الا بنى له
قصر فى جهنم او فى الجنة ولا يختلج فى باطنه عرق حالة نومه
الا بنى له قصر فى جهنم او فى الجنة واذا كان هذا فى هذه الافعال
التى لا يقصدها العبد فما ظنك بالافعال التى يقصدها وقد
نهى عنها الشرع او امر بها فقلت وكيف تبنى القصور على الافعال
التى لا تقصد لا سيما افعال النائم فقال رضى الله عنه المعتبر
فى بناء القصور الحالة التى يرجع الشخص اليها عند القصد فهى
السبب فى بناء قصوره سواء كان له قصد او لم يكن له فالحالة
التى يرجع اليها الكافر حالة قصده هى حالة كفره وطغيانه فهى السبب
فى بناء قصوره فى جهنم على اى حالة صدرت منه افعاله سواء
صدرت على سبيل القصد او الغفلة او حالة النوم والحالة التى
يرجع اليها المؤمن حالة قصده هى حالة ايمانه وشيبته النبى صلى
الله عليه وسلم فهى السبب فى بناء قصوره فى الجنة سواء صدرت
منه افعاله قصدا او غفلة او نوما جعلنا الله من المؤمنين ولا
اخرجنا من دائرتهم آمين قلت وهذه مسئلة جليلة نفيسة

طال نزاع العلماء فيها حيث تكلموا على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة
فانهم اختلفوا هل يجرى هذا الخلاف فى افعال الكفار المباحة مثل
الاكل والشرب ونحوهما فقالت طائفة انه يجرى وانه لا مباح عند
الكفار اصلا لان الاباحة خطاب شرعى من نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ شرائع غيره منسوخة بشرعه وهم لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم
بل يزعمون انهم غير داخلين تحت شرعه الشريف فيلزمهم انهم لم يدخلوا
تحت الاباحة الشرعية والى هذا ذهب المحققون منهم كتقى الدين السبكى
وهو الذى كان يظهر لنا صوابه فتكون افعال الكفار لعنهم الله باسرها
معاصى وذنوبا وعليه كلام الشيخ رضى الله عنه وسمعته رضى
الله عنه يقول انك اذا نظرت الى جهنم او الجنة ونظرت الى قصور
اهلها وبساتينها وجدت اعمال العباد فى الدنيا مرتبطة بتلك النقم
او النعم التى فى الآخرة ثم حكى لى رضى الله عنه فى ذلك حكاية
فقال نظر بعضهم الى قصر بعض المؤمنين الاحياء فى الجنة فرآى فيه نعمة
تحركت للزيادة واردت ان تتهيأ للانتقال من حالة الى حالة قال رضى
الله عنه كحبة العنب اذا اراد ان يجرى فيها الماء والحلاوة ثم نظر الى ذلك
المؤمن الذى له القصر فرآه فى حانوته يبيع الثياب ثم تحرك خاطره وانزعج
فقام من حينه واغلق حانوته وذهب الى داره وقال لاهله هذا اليوم
يوم نفقة وجيراننا لا شئ عندهم قال رضى الله عنه وكان فى جيرانه امرأة
لها بنات وكن صغارا فامرتهن امهن بالاجتهاد فى الغزل لعلهن ان يفرغن
فى اول النهار فتبيع ما تشترى به قوتا لهن حتى تسد اطماعهن عن الخلق فقال
الجار اصنعوا طعاما لنا ولجاراتنا فاخذت المرأة فى تصويبه وامرها بالعجلة
فيه والاتقان له والاكثار منه واخذ قبين وخرج الى السوق وملأهما
لبنا فلما اكملت المرأة الطعام قسمه نصفين واخذ نصفا له والنصف الآخر
جعله فى آنية وسقاه ثم حمله بنفسه وحمل احد القبين الى جيرانه والبنات
مشتغلات بالجد فى الغزل وهن جياع فلم يرعهن الا وصاحب الطعام

يدق

يدق الباب عليهن وقال قد علمت انه لا داخل عليكم فى هذا اليوم وانه يوم
نفقة فهذا ما يكفيكم من الطعام فخذوه وخذوا هذا اللبن ففرحن بذلك غاية
وانصرف واكلن وطلبن الله له فى القبول فنظر ذلك الولى الى تلك النعمة التى تحركت
للزيادة فوجدها قد زادت وانتقلت الى حالة لا تكيف ولا توصف هذا والامر
غيب على صاحب الطعام والرب سبحانه يحرك عباده فيما يصيرون اليه والله اعلم
وسالته رضى الله عنه ذات يوم عن بعض اهل الظلم وقد اشتد طغيانه وعتوه
وكرهه الناس وتبرموا منه غاية فقلت ادع الله عليه فقال رضى الله عنه انه الى
الآن لم يكمل قصوره فى جهنم وبقيت له قصور كثيرة ولا يموت حتى يكملها وقد توفى
الشيخ رضى الله عنه وذلك الرجل فى قيد الحياة الى الان نسال الله السلامة والله
اعلم وسالته رضى الله عنه عن بعض اهل الظلم والطغيان وقد عزل عن مرتبته
وفرح الناس بذلك غاية فكلمته فى ذلك فقال رضى الله عنه اوه يا سيدى فلان
الى الآن لم يكمل نصابه فرد الى مرتبته ورجع الى حالته ولم يزل فى قيد الحياة الى وقتنا
هذا وهو آخر يوم من رمضان سنة ست وثلاثين ومائة والف والله اعلم
وسمعته رضى الله عنه يقول فى ارواح الحيوانات التى لا ثواب لها ولا عقاب
عليها منها ما يكون فى جهنم عذابا على اهل جهنم ومنها ما يكون فى الجنة نعمة
لاهلها فارواح الكلاب والسباع والذباب وما يستقبح من هذه الحيوانات
فى جهنم ان كانت مع الكفرة فى الدنيا والا فلا والله اعلم وسمعته رضى الله عنه
يقول وكان اليوم يوم العيد الا ... ملائكة لقبض ارواح
الضحايا فبرى على كل بلدة ... ملائكة كرام
يحومون لا ينزلون الا ... ضحية اخذوا
روحها وذهبوا اليها ... صاحبها صالحة
فى ذبحها وانه لم يرد بها ... الا الكبر ولا الرياء
ولا خيلاء اخذوا روح ضحيته ... الجنة فتصير من جملة
نعمه التى فى الجنة وان كانت نية صاحبها ... ذلك وكانت نيته فاسدة
وعمله لغير الله عز وجل اخذوا روح ضحيته وذهبوا بها الى جهنم وتصير نقمة

من النقم التي اعدت له في جهنم واذا نظرت الى تلك الروح رايت كبشا بذاته
وصورته المعلومة وبقرونه وبصوفه والكل نار حامية فشعر صوفه كله
نار وقرونه نار وذاته كلها نار نسال الله السلامة وقال لي رضي الله عنه
اذكر هذا الكلام للناس فانهم في غاية الاحتياج اليه فذكرته لجماعة من
الناس وفقنا الله واياهم وجميع المسلمين للنية الصالحة والله اعلم
وسمعته رضي الله عنه يقول ان الجن في جهنم لا يعذب في النار الحامية
لانها طبعه فلا تضره وانما يعذب بالزمهرير والبرد والجن في الدنيا يخاف من
البرد خوفا شديدا فتراهم اذا كانوا في زمن المصيف في الهواء يتخوفون من
هبوب الريح الباردة فاذا هبت فروا فرار الوحش واما الماء فلا يدخله
الجن ولا الشياطين ابدا فان قدر على احد الا يدخله طفي وذاب كما يذوب
احدنا اذا دخل النار والله اعلم قال رضي الله عنه واذا خفي عليك كيف هو
الجن فانظر الى نار مظلمة جدا بكثرة دخانها مثل ما يكون في الفخارين وصور
فيها صورته التي خلق عليها فاذا اجملت الصورة في ذلك الدخان والبسته
اياها فذلك هو الجن والله اعلم وسمعته رضي الله عنه يقول في عذاب
قاتلي الارواح انه ليس كعذاب اهل النار فقلت وكيف هو فبينه رضي الله
عنه بضرب مثل فقال لو فرضنا ملكا له طاعات فيها اليهود والمؤمنون
وله سوران احدهما يعلق فيه اليهود والاخر يعلق فيه المؤمنين ثم انه عصا
واحد من المؤمنين فعلقه في سور اليهود فنعلم انه اهانه اهانة عظيمة
حيث جمعه مع اليهود [illegible] فقلت بين لنا فقال رضي الله عنه ان
في جهنم نار الحارة [illegible] نار الباردة وبها يعذب الشياطين
كما سبق بيانه وفي [illegible] نار يعذبون مع الشياطين قال رضي
الله عنه ولا يختص [illegible] بل بعض العصاة كذلك ثم ادا [illegible]
بينهم وبين الحكمة في [illegible] بالنار الباردة فيا من قطع الكلام
والله اعلم وقال لي رضي الله عنه مرة اتدري من اشد الناس عذابا يوم
القيامة فقلت من هو فقال رضي الله عنه عبد اعطاه الله ذاتا كاملة

وعقلا كاملا وصحة كاملة ومهد له في العيش واسباب الرزق ثم يبقى هذا
الرجل اليوم واليومين واكثر ولا يخطر بباله خالقه سبحانه واذا امكنته
المعصية اقبل عليها بذاته الكاملة وعقله الكامل واستحسنها واستلذ بها
من غير فكر مشوش عليه من ناحية ربه تعالى فتجده متصلا بالمعصية
غاية الاتصال ومنقطعا عن ربه كل الانقطاع يميل بكليته وهويته
الى المعصية ويستحليها غاية الاستحلاء فيكون جزاء هذا يوم القيامة
بان ينقطع الى العذاب بجميع شراشره ويتشوف الى ... يقع فيه
بالمرة الواحدة قال رضي الله عنه فالغفلة عن ... به ولاسيما
في حال المعصية شانها عظ... ... جسيم فينبغي للمو... اذا عصى ان
يعلم ان له ربا قادرا عليه فيـ... له الخوف والوجل فتنكسر بذلك
سورة العذاب ان لم يقع السمح بكلية والله اعلم وهذا والله اعلم آخر
ما كتبه الفقيه العلامة الدراية الفهامة الحافظ الرواية شيخ الجماعة
سيدي احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي رحمه الله تعالى مما سمعه
من شيخه سيدنا ومولانا عبد العزيز بن مولانا مسعود الدباغ الادريسي
الحسني رضي الله عنه وارضاه ونفعنا بعلومه امين يارب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا



قد استوت سفينة طبع هذا الكتاب على جودى التمام
واستقرت مع السلامة بعون الملك العلام وظهر انه
افصح عما كانت السن الفصحاء فيه محتبسه وقرب العرفاء
من شرح دقائقه مقتبسه فانه اظهر بكشفه ما طوى عن
التكشف بحقيقته عقول العلما وطارت عن استدراك
معرفته بصائر الحكما فرجعت العقول منهم ناكسة خاشيه
وانقلبت [illegible] اليهم خاسئة هائمة تقطع البلاد لاتنال
الشاهد [illegible] فما وتذللا لها تلك المقاصد حتى طابت للانام
رياح العنايه وظهر عبد العزيز فاستخرج جواهر الهدايه لاشباحها
وقد اخرجها من لجج بحور حقائقها ونظمها في قلائد سطورها
فوضحت طرائقها وحلى بها جياد الافهام فانقشعت
بلوامع انوارها سحائب الاوهام فاصبح سفر الثالث المصيبه
بما ازاله من وهم الشك وحجب الريب كالنور للبصر والشمس
للشجر والزهر للرياض والماء للحياض ولا يبقى من الثالث
التعريف وخصوصا اذا وصفت الجواهر بالابيات *

يا ثالث المصيبات اللذا ظهرا * على الوجود ظهور الشمس والقمر
عززت معناها بالكشف عن شبه * وكنت كالنور للعينين والبصر

والطور وكتاب مسطور بانه البرهان الذى ظهرت منه نار التكلم
الى كل قلب كليم [illegible] فما انتابكل قبس [illegible]
منه الكليم [illegible] القصا الرقيب [illegible] من الوادى
المقدس [illegible] طالع [illegible]
مغارب الاشراق [illegible] طلعت فيه شمس [illegible] من مغربها
فتح في كنوز التوبة باب [illegible] كل سالك [illegible]
في وقت غربت فيه شمس المعارف [illegible]
فيا ايها المشارق [illegible] الكلمه [illegible]

٩١٩ ز
٣ ج ٣٤٦١١ - ع ١٨١٤٥

الذهب الابريز — الجزء الثاني

Date	No	Date	No.